

النص الكامل
نصه الفهرية الأولى والوحيدة باللغة العربية

أحداث كربسي



رُكوبُ التَّيَّارِ



الأجيال
للترجمة والنشر

٤٧

منشورات
Chassey

تمهيد

- ١ -

في كل نادٍ شخصي تمثلُ القبلَ، ولم يكن نادي كورنيلين
استثناء من هذه القاعدة، ولم نجد في تغيير المسار اليومي المعتاد
حقيقة أن غارة جوية كانت تُنسبُ في تلك الأثناء.

فلو السيجر بورتر، الضابط السابق في جيش الهند، صحيفته
وتحتج استعداداً للكلام. تجنب الجميع نظراته، ولكن ذلك لم ينجبه
هو الآخر. قال السيجر: أرى أنهم نشروا إعلان وفاة غوردون كلود في
صحيفة النائم، وقد صيغ الإعلان بطريقة مبهمه بقصد التضليل طبعاً؛
وفي الخامس من تشرين الأول، نتيجة عمل قام به العدو، لم يُنشر
أي عنوان. والحقيقة أن بيته كان قريباً من بني الصغير، حيث كان
واحداً من تلك البيوت الكبيرة على قمة كامبدن هيل. ولقد أدهشني
الأمر - فعلاً - إلى حد ما، فأنا أحد متطوعي الدفاع المدني كما
تعلمون، وكان كلود قد عاد لتوه من الولايات المتحدة؛ إذ كان هناك
في مهمة المشتريات الحكومية تلك. وقد تزوج أثناء وجوده هناك
بأرملة شابة، شابة يكاد يظنها العمرة ابنة، واسمها السيدة أندرهلي.

والحقيقة أنني كنت أعرف زوجها الأول في نيجيريا

سكت الميجر بورتر، ولكن أحداً لم يظهر أي اهتمام، أو يطلب منه الاستمرار. كان الجميع قد رفعوا الصحف أمام وجوههم عمداً، ولكنني لم أكن أعرف بورتر عن الكلام كان يتطلب إجراء أوقع بكثير من ذلك. كانت لديه -دعوة- قصص طويلة يرويها، وكانت غالبيتها عن أناس لا يعرفهم أحد.

ركز الميجر بورتر نظراته -وهو شارد الذهن- على حذاء جندي ذي مقدمة مدببة جداً، ذلك النوع من الأحذية التي لم يكن الميجر يمشي بها أبداً، ثم قال: أمر مثير، إني -كما أسلفت- أحد متطوعي الدفاع المدني. تلك الانفجارات أمرها غريب، لا يعرف المرء ما الذي يمكن أن تفعله، فقد دخلت القبيلة في القبر وانفجرت فيه فمزقت السفف، ولكن الطابق الأول لم يصب بسوء تقريباً، وكان في البيت ستة أشخاص، منهم ثلاثة خدم: زوجان وفتاة، بالإضافة إلى غوردن كلود وزوجته وأخيهما. كانوا جميعاً في القبر باستثناء أخي الزوجة -وهو أحد عناصر المفاويز السابقين- فقد كان يفضل النوم في غرفة نومه في الطابق الأول، والمحجوب أنه نجا بقليل من الرضوض، وقتل الخدم الثلاثة جميعاً بالانفجار. لا شك أن غوردن كان يملك أكثر من مليون من الجنيهات!

سكت الميجر بورتر ثانية، وصعدت نظراته من الحذاء الجندي، إلى البنطال المفلم، إلى المعطف الأسود، ثم إلى الرأس البيضوي، والشاربين الضخمين، إذن فهو أجنبي بالطبع! وهذا يفسر ارتداده مثل هذا الحذاء. وفكر الميجر قائلاً لنفسه: إلى أين يمشي

هذا النادى؟ ألا نستطيع التخلص من الأجانب حتى هنا!

ولكن هذه السلطة المنفصلة من الأفكار كانت تجري مع حديثه دون أن تقطعه. ولم تخفف من تحيز الميجر بورتر أبداً حقيقة أن هذا الأجنبي بدأ مصغياً بكل اهتمام له، ومضى قائلاً: لا يمكن أن تكون قد تجاوزت الخامسة والعشرين من عمرها، ومع ذلك أصبحت أرملة للمرة الثانية. أو أن ذلك -على أية حال- هو ما نظنه هي.

سكت منتظراً شيئاً من القصور أو تعليقاً، ومع أنه لم يحصل على أي من ذلك، فقد مضى بكل إصرار: الحقيقة أن لديّ رأي في هذا الأمر. أمر غريب. كنت أعرف -كما أسلفت- زوجها الأول أندريه. كان رجلاً من الطراز الأول -تزوج هذه الفتاة في كيب ناو حيث كانت مسافرة هناك مع شركة سياحية، وكانت كثيرة التذمر من حظها، جميلة ياتسة... إلى آخر ما هنالك. وقد أصحبت للسيد أندريه المسكين وهو يتكلم بحماسة عن مقاطعته وعن روعة الطبيعة الواسعة الفسيحة، فبدأت تبدي إعجابها بذلك، ونشرح رغبتها في الابتعاد عن كل شيء. حسناً، تزوجته، وابتعدت كما تريد. وقد أحبها المسكين حباً جماً، ولكن الزواج لم ينتج أو نعم له قائمة منذ البداية؟ فقد كرهت المنطقة ذات الطبيعة البدائية، وكانت تحس بالرهب من السكان المحليين، وأصابها ملل قاتل. كانت الحياة التي تعيشها هي حياة التردد على المقاهي والمسارح والثرثرة مع الناس، وليس حياة زوجين وحيدتين في الغابة. ومع ذلك أحب أن أؤكد لكم أنني لم أقابلها شخصياً أبداً، بل سمعت ذلك كله من المسكين أندريه. فقد أثر فيه ذلك تأثيراً شديداً، ولكنه أقدم على

التعريف التزيه الشريف، إذ أرسلها إلى الوطن ووافق على طلاقها، وقد كان لقائي به بعد ذلك مباشرة. كان مكتئباً متنعلاً يستحوذ عليه ذلك المزاج الذي يطغى المرء معه للكلام. كان رجلاً غريباً بعض الشيء، قديم الطراز في تفكيره، ولم يكن يأبه كثيراً لقضية الطلاق، قال لي: "توجد طرق أخرى لإعطاء المرأة حريتها". فقلت له محذراً: "اسمعني يا صديقي، لا تقم بأي عمل أحمق، فما من امرأة على الأرض تستحق أن تنتحر من أجلها".

قال لي إنه لا يفكر بذلك أبداً، وقال: "ولكنني رجل وحيد لا أقارب لي يحزنون علي، فإذا ما وصل إلى الوطن تقرير بوقائي فإن ذلك سيجعل من روزالين أرملة، وهو الأمر الذي نريده". سأله: "وماذا عنك أنت؟" فأجابني: "حسناً، ربما رأيته أظهر باسم إيلوك آردين في مكان ما على بعد ألف ميل للبدء بحياة جديدة". حذره قائلاً: "ربما وجدت روزالين الأمر فظيحاً ذات يوم". فأجابني قائلاً: "آه، لا، سأحب اللعبة يا فتان، سيكون روبرت أندريه ميتاً بالتأكيد".

لم أفكر في الأمر أكثر من ذلك، ولكنني سمعت بعد ستة أشهر أن أندريه توفي بالحصى هناك في مكان ما من المقاطعة البدائية. كان أصحابه من السكان المحليين جماعة محل ثقة، فمادوا بقصة مفصلة جيداً، ويضع كلمات أحيرة كتبها أندريه بخط يده يقول فيها إنهم بذلوا ما بوسعهم من أجله، وأنه كان يخشى أنه يحتضر، ويمتدح فيه زعيم القبيلة. وقد كان ذلك الرجل مختلطاً له شأنه في ذلك شأن الآخرين جميعاً، وكان من شأنهم أن يقسموا على أي أمر يطلب منهم أندريه أن يقسموا عليه، وهكذا... هذا هو الوضع.

ربما كان أندريه دفين التراب هناك وسط أفريقيا الاستوائية، ولكن العكس ممكن أيضاً! فإن لم يكن دفين التراب فربما تلقت السيدة كلود صدمة ذات يوم، وأظن أنها تستحق ذلك. أنا لم أقابلها أبداً، ولكنني أستطيع تمييز رائحة صيادي الثروات! لقد دمرت المسكين أندريه تماماً، إنها قصة مثيرة.

نظر الميجر بورتر حوله بشيء من الاكتئاب بحثاً عن شخص يؤيد تأكيده الأخير، ولكنه لم ير أمامه سوى نظرتين جامدتين ضحكيتين: نظرة الشاب السيد ميلون المشبعة، ونظرة الانتباه اللبق للسيد هيركبول هوارو. بعد ذلك سبغ صوت صحيفة تطوى، ونهض رجل أبيض الشعر ذو وجه جامد تماماً وبخال من أي تعبير. نهض بهدوء من مقعده قرب الموقد وخرج.

قرر الميجر بورتر فاه، وأطلق الشاب ميلون صفرة خافتة وقال: ها قد فعلتها! أعرف من هذا الرجل؟

قال الميجر بورتر بأسى: يا إلهي، بالطبع، لا أعرفه عن كثب، ولكن سبق وتعارفنا، إنه جيري مي كلود، أليس كذلك؟ شقيق غوردون كلود؟ يا إلهي، يا لسوء الطالع! لو أنني انتبهت...

قاطعه الشاب ميلون قائلاً: إنه محام، وأراهن على أنه سيقتطعك بتهمة القذف والدم أو تشويه السمعة.

كان الشاب ميلون يستمع بإثارة الذعر والجنون في أي مكان لا يصنع «قانون الدفاع الوطني» إثارة تلك المشاعر فيه. أما الميجر جودو فقليل ما يهتم بردد عبارته بعصبية: مؤسف جداً، مؤسف جداً.

- يستشر الخير في ورمزلي حيث مساء اليوم، حيث تقطن عائلة كلود، ويسسهررون في مناقشة الإجراء الذي سيتخذونه ضدك.

ولكن في تلك اللحظة سمعت صافرة الإنذار إيذاناً بانتهاء الغارة، وتوقف الشاب ميلون عن ممارسة مكره، وقاد -بطعقب- صديقه هيركيول بوارو ليخرجا معاً إلى الشارع.

علق ميلون قائلاً: جو قطع في هذه النوادي. أبغض ما خلقه الله من المجائر الممليين، على أن بورتر هو الأسوأ بلا منازع. إنه يقضي ساعة كاملة واصفاً احتفال تعلق الهنود المزعوم لعبال في الهواء، ويزعم معرفة جميع من مرت أمهاتهم يوماً في مقاطعة بونا الهندية!

• • •

كان ذلك في عريف عام ١٩٤٤، وفي نهاية ربيع عام ١٩٤٦ استقبل هيركيول بوارو زائراً في مكتبه.

• • •

-٢-

ذات صباح جميل في يوم من أيام شهر أيار كان هيركيول بوارو جالساً على طاولته المربعة حين اقترب منه خادمه جورج ونتمم باحترام: سيدة تطلب مقابلتك يا سيدي.

سأله بوارو بحرص: أي نوع من السيدات هي؟

كان يجده دوماً متعة في وصف جورج التفصيلي الدقيق.

- عمرها بين الأربعين والخمسين كما أظن، غير مربة وفي مظهرها شيء فني ما. ذات حذاء يصلح للسير، ومعطف صوفي وثنورة فوقها قميص، مع بعض عقود الخرز التي يُشك في أنها مصرية، وشاح من الشيفون الأزرق.

ارتعد بوارو قليلاً وقال: لا أظنني أرغب في رؤيتها.

- أقول لها يا سيدي إنك متوعدك قليلاً؟

نظر إليه بوارو متأملاً وقال: ولكنني أظنك قلت لها أصلاً إنني مشغول بعمل مهم ولا أريد إزعاج أحد؟

تمتحنح جورج وقال: لقد قالت -يا سيدي- إنها جاءت من القريف خصيصاً، وإنها لا تمنع في انتظارك مهما طال ذلك.

تتهد بوارو وقال: لا ينبغي للموء أن يصارع قدره محتوماً. فإذا ما جاءت سيدة في منتصف عمرها، تلبس عقد خرز مصري زائف، وعزمت أمرها على مقابلة هيركيول بوارو الشهير، وقطعت الطريق من الريف من أجل ذلك، فإن شيئاً لن يشبها عن عزمها. ستبقى جائلة هناك في الصالة حتى نال مطلبها. أدخلها يا جورج.

تراجع جورج - وسرعان ما عاد ليعلن رسمياً: السيدة كلود.

دخلت المرأة بمطبخها الصوفي الذي أبلاه طول الاستخدام ووشاحها الطليق وقد انفرجت أساورها. تقدمت من بوارو بيد ممدودة، وعقدوها الخرزية تاراجع وتصل: سيد بوارو، لقد جئت مدفوعة بهذي روعي.

ورف بوارو بجفنيه قليلاً وقال: أهلاً يا سيدتي. هل لك أن تجلسي وتخبريني...

ولكنها لم تتركه يكمل: هدي روعي بكلا الطريقتين يا سيد بوارو! بالكتابة الآلية وأيضاً باستخدام لوح الأحرف الذي يستخدم في جلسات التحضير. كان ذلك في الليلة قبل الفائتة كنت أنا والسيدة إيلفاري - وهي سيدة رائعة - نستخدم لوح الأحرف في جلسة التحضير الأرواح. وقد وقع اختيار الروح على نفس الأحرف الأولى في كل مرة: «هـ. ب.»، «هـ. ب.»، «هـ. ب.»، «هـ. ب.». لم أفهم المفزى الحقيقي فوراً بالطبع! فالأمر يتطلب بعض الوقت كما تعلم. لا يستطيع المرء في هذه الدنيا الزائلة أن يرى بوضوح. لقد عصرت ذهني بحثاً عن شخص تطبق عليه هذه الأحرف الأولى. كنت أعرف أن ذلك مرتبط - لا شك - بجلسة التحضير السابقة... التي كانت حقاً مثيرة جداً.

ولكنني لم أهتم إلى الحقيقة إلا بعد مرور بعض الوقت. وبعدها اشتريت نسخة من مجلة بيكتشر بوست (وفي ذلك هدي روعي كما ترى، لأنني اشتري عادة مجلة نيوسبسمان). وهناك وجدتك. كان في المجلة صورة لك، وشرح، وتقرير عن إنجازاتك. إنه لمن الغريب كيف أن لكل شيء غاية، ألا تتفق معي يا سيد بوارو؟ من الواضح أنك الشخص الذي عنته «الهداية» لبجل هذه القضية.

أجال بوارو نظره في المرأة تأملاً. كان الغريب أن الأمر الذي لفت انتباهه حقاً هو عيناها الزرقاوان الفاتحتان اللتان نوحيان بفطنة وذكاء كبيرين. أحس كما لو أن عينيها تضفيان «هدفاً» على طريقتهما وأسلوبها الممشى غير المتجانس.

- وماذا يمكنك يا سيدة... كلود أليس كذلك؟

ثم قطب جبينه وقال: أظني سمعت بهذا الاسم منذ زمن.

هزت رأسها تأييداً بكل حماسة وقالت: إنه أخو زوجي، المسكين... غوردن. كان غنياً جداً وكثيراً ما تذكره الصحف، وقد قُتل في الغارات الجوية الألمانية قبل أكثر من عام. وكانت تلك ضربة كبرى لنا جميعاً. إن زوجي هو أخوه الأصغر، وهو طيب؛ الدكتور ليونيل كلود.

ثم أصافت وهي تخفض صوتها: هو لا يعرف - طبعاً - أنني جئت لاستشارتك؛ إذ ما كان لي قبل ذلك. لقد وجدت أن للأطباء نظرة مادية، تبدو الأمور الروحية خافية عليهم بشكل غريب، فهم يؤمنون بالعلم. ولكنني أقول: ما هو العلم؟ ماذا بوسع أن يفعل؟

بدا لهيركيول يوارو أنه ما من إجابة على سؤالها الأخير غير الدخول في وصف تفصيلي مضمّن يشمل فيما يشمل بامتور وليستر، ومصباح الأمان الذي اخترعه همفري دبليو والراحة التي تكفلها الكهرباء في البيوت، وبضع مئات أخرى من المخترعات المماثلة. ولكن ذلك لم يكن - بالطبع - الجواب الذي تريده السيدة كلود. فالحقيقة أن سؤالها - ككثير من الأسئلة غيره - لم يكن سؤالاً أبداً. كان مجرد عبارة بيانية. ولذلك أفتح هيركيول يوارو نفسه بالاكتماء بسؤالها بشكل عملي: بأية طريقة تقنين أنني أستطيع خدمتك يا سيدة كلود؟

- هل تؤمن بحقيقة عالم الأرواح يا سيد يوارو؟

أجابها يوارو بحذر: أنا لا أنكر...

لوحّت السيدة كلود بيدها وعلى وجهها ابتسامة شفافة وهي تقول: كثير من الناس مساكين حمقى... لا يفتحون صدورهم لحقيقة العالم الكامن خلف عالمنا هذا وجماله

- إن لديّ موعداً مهماً في الساعة الثانية عشرة.

كانت ملاحظة بوارو جيدة التوقيت، فقد انصرفت السيدة كلود للإمام وقالت: عليّ أن أدخل في الموضوع مباشرة. هل من الممكن يا سيد يوارو أن تعثر على شخص مفقود؟

رفع يوارو حاجبيه وأجابها بحذر: نعم من الممكن. ولكن الشرطة - يا سيدتي العزيزة - يستطيعون أن يفعلوا الكثير وبسهولة أكبر بكثير مني، فلديهم كل الجهاز المطلوب لذلك.

نمت السيدة كلود جانباً الشرطة بإشارة من يدها كما فعلت من قبل، وقالت: كلا يا سيد يوارو، غالبك تمت هدائيتي... من قبل أولئك الساكنين خلف الحجاب. اسمعني الآن: لقد تزوج أخو زوجي، غوردن. قبل بضعة أسابيع من وفاته بأرملة شابة اسمها السيدة أندره. أما زوجها الأول (ويا لحزن تلك الطفلة المسكينة) فقد ذكر أنه توفي في أفريقيا. بلد غامض، أفريقيا تلك!

صتخ يوارو لها: بل قارة غامضة. في أي جزء منها...

قاطعت قائلة: أفريقيا الوسطى. بلاد سحر القودو، وإعادة الحياة إلى الموتى...

- ولكنهم يزعمون أن ذلك يحدث في جزر الهند الغربية!

مضت السيدة كلود قائلة: بلد السحر الأسود، والممارسات الغريبة السرية. بلد يمكن للمرء فيه أن يختفي فلا يُسمع به من بعد. - ربما، ربما. ولكن الأمر نفسه ينطبق أيضاً على «سيرك بيكاديللي».

نمت السيدة كلود جانباً سيرك بيكاديللي بإشارة من يدها وقالت: لقد وصل اتصال مرّتين مؤخراً من روح لميت هزف نفسه باسم روبرت، كانت الرسالة واحدة في الحالتين: «ليس ميتاً...» ولقد أصابنا الحيرة، إذ لم تكن نعرف أحداً باسم روبرت. وعندما سألنا عن هدي إضافي حصلنا على ما يلي: «ر.أ.»، «ر.أ.»، «ر.أ.». ثم: «أخبروا ر. أخيراً»، «سألناه: "أخبر روبرت؟" فقال: "لا، من روبرت، ر. أ. سألناه: "إلام يرمز الحرف أ؟". وهنا - يا سيد يوارو -

جاء أكثر الأجوبة مغزى: النصبي الصغير الأزرق، النصبي الصغير الأزرق. هاهنا. هل فهمت؟

- لا: لم أفهم.

نظرت إليه بإشفاق وقالت: أغنية الأطفال التي تُغنى لهم عند النوم. «النصبي الصغير الأزرق، سرعان ما غفا، أندر هيكوك»... خذ مقطعاً من كل من آخر كلمتين فتصبح «أندرهى». أفهمت؟

هز بوارو رأسه بالإعجاب، ولكنه أحمج عن طرح سؤال جال في خاطره. فإذا كان بالإمكان النطق باسم روبرت، فلماذا لا ينطق ذلك على اسم «أندرهى» ولم النجوم (إلى مثل هذه الحيل الجانوسية الرخيصة؟

وأخيراً اختتمت السيدة كلود حديثها بلهجة المتعصر قائلة: إن اسم زوجة شوردن هو روزالين. أرايت؟ إن أحرف الراء هذه أربكتنا، ولكن المعنى واضح تماماً: «أخبروا روزالين أن روبرت أندرهى لبس ميناً».

- أمّا؟ وهل أخبرتموها؟

بدا وكأن السيدة كلود قد فوجئت بهذا السؤال وقالت: آه، حسناً، لم نخبرها. أترى... أعني أن الناس شكاكون جداً عادة. وأنا واثقة أن روزالين مشرب بالأمور، كما أن ذلك قد يزعجها. تلك العفلة المسكينة، إذ ستساءل أين كان وماذا كان يفعل.

- نعم، ماذا كان يفعل بالإضافة إلى بث صورته على موجات الاثير؟ صحيح. إنها - بالتأكيد - طريقة غريبة لإعلان سلامته.

- آه يا سيد بوارو، إنك لمست غوراً. كيف لنا أن نعرف طبيعة الظروف؟ ربما كان الثقب المسكين أندرهى... أم أنه كان رائداً؟ ربما كان مسجوناً في مكان ما في ظلمة مجاهل أفريقيا. ولكن إن كان بالإمكان العثور عليه - يا سيد بوارو - وإعادته إلى عزيزته الشابة روزالين فلنك أن تتخيل سعادتها! آه يا سيد بوارو، لقد تم إرسالني إليك، ومن المؤكد أنك لن ترفض طلب عالم الروح.

نظر إليها متأملاً وقال برفق: إن أجوري مرتفعة جداً، بل هي مرتفعة بشكل هائل! كما أن المهمة التي تفرحيتها ليست سهلة.

- آه يا عزيزي! ذلك مؤسف جداً بالتأكيد، فأنا وزوجي في حالة مادية سيئة للغاية. سيئة جداً في الواقع، وإن بلواي - في الواقع - لأسوأ مما يعرفه زوجي العزيز. لقد اشترت بعض الأسهم - بناء على هدي روعي - وقد أثبتت العملية حتى الآن أنها مخيبة للأمل، بل مقلقة جداً في الواقع. فقد هبطت أسعار تلك الأسهم إلى الحضيض، وهي الآن - كما فهمت - لا تلقى من يتعامل بها.

نظرت إليه بعينين زرقاوين جزعيتين. ثم أكملت: لم أجوز على إخبار زوجي. وأنا أقول ذلك لك أنت لمجرد شرح موقعي الحالي. ولكن - يا سيد بوارو العزيز - من المؤكد أن لم شمل زوجين شابين يعتبر... مهمة نبيلة.

قاطعها بوارو قائلاً: إن النبيل يا سيدني العزيزة لن يدفع أجور البواخر والقطارات والطائرات، ولن يغطي تكاليف التبرقيات المطلوبة، واستجواب الشهود.

نظر إلى البطاقة التي تركتها المرأة على المكتب وقرأ: «ورمزي
قبل». قال مخاطباً نفسه: لماذا - بالفيط - جاءت إلي؟ وما الذي كان
يجري؟ ليتني أعرف!

• • •

بعد خمسة أيام رأى فقرة صغيرة في صحيفة مسائية. كانت تشير
إلى وفاة رجل يُدعى «إيثوك أودن» في «ورمزي قبل»، وهي فقرة
صغيرة قديمة على بعد نحو ثلاثة أميال من ملعب غولف ورمزي
التيه.

حدث هيركيول بوارو نفسه ثانية: حجباً، ما الذي كان يجري
في ورمزي قبل؟

• • •

«ولكن إن تم العثور عليه، إن تم العثور على القريب أتدري
حياً وبصحة جيدة... عندما... حسناً، أظنني أستطيع أن أعدك أنه
بمجرد تحقيق ذلك فموقوف، قصوف لن تبقى مشكلة في... في
تعويضك.

- أه، فهو غني إذن... هذا القريب أتدري؟

- لا، لا. ولكنني أؤكد لك وأعطيك عهدي بأن الواقع
المالي لن يشكل أية صعوبات.

مز بوارو رأسه بالرفض منهلاً وقال: «إني آسف يا سيدتي
جوابي هو: «لا».

وجد شيئاً من الصعوبة في حملها على تقبل ذلك الجواب.
وعندما غادرت أخيراً، وقف مغطياً عينيه مشتم الأفكار. تذكر الآن
لماذا كان اسم كلود مألوفاً لديه. عاد إلى ذهنه الحديث الذي سمعه
في النادي يوم الغارة الجوية، وصوت الميجر بورتر الهادر الممل
وهو يمضي ويمضي في سرد قصة لم يُرد أحد سماعها.

تذكر غششة إحدى الصحف، وكيف ففر الميجر بورتر فاه
فجأة. وتعبير الذعر والأسى على وجهه. ولكن ما أقلقته هو محاولته
تكوين رأي محدد بشأن هذه السيدة الكهولة المتفهفة التي غادرت
مكتبه لتوها. بماذا تروحي تلك اللغة الروحانية المهددة، وفلك
الغموض، والوشاحات الطليقة العائقة، والسلاسل والتمائم التي
تختش حول عنها... وأخيراً - وباختلاف طفيف عن ذلك كله -
تلك الانتماعة الذكية المفاجئة في عيني زرقاوين باهتين.

الكتاب الأول

الفصل الأول

تتألف منطقة ورمزلي هيث من ملعب للفولف، وفندقين، وبعض الدارات الحديثة الفخمة المطلة على ملعب الفولف. بالإضافة إلى صف من المحلات التي كانت قبل الحرب محلات لآخرة، ومحطة قطار. ومن محطة القطار يخرج إلى اليسار طريق رئيسي يقضي إلى لندن، وإلى اليمين يخرج طريق تراثي صغير مخترقاً أحد الحقول. وقد رُفعت عليه شاحنة نقول «طريق إلى ورمزلي فيل».

أما ورمزلي فيل فتمرمة بين هضاب حرجية فقد كانت أبعد ما تكون شيئاً بوزمزي هيث، فهي -في جوهرها- بلدة صغيرة جداً بُنيت لتكون سوقاً على الطراز القديم، وتدهورت أحوالها الآن لتصبح مجرد قرية ذات شارع رئيسي واحد تحيط به بيوت من الزمن والطراز الجورجي، وبضغ مفاد. وبعض محلات قديمة الطراز، ويعطي شكلها العام انطباعاً بأنها تبعد عن لندن مئة وخمسين ميلاً، وليس ثمانية وعشرين ميلاً كما هو الحال. أما سكانها فيستقون جميعاً على ازدهار النمو السريع الذي تشهده ورمزلي هيث.

وفي أطراف القرية توجد بعض البيوت الراضعة ذات الحدائق

الجمعية التي تعود للعالم القديم، وقد كان أحد تلك البيوت - واسمه «دايت هاوس» (أي: البيت الأبيض) - هو الذي عادت إليه لين مارشمنوت في مطلع ربيع عام ١٩٤٦ عندما تم تسريحها من سلاح البحرية الملكي

وفي ثالث صبح لها هناك، نظرت من نافذة غرفة نومها عبر المرجة الخشبية غير المنظمة إلى أشجار الدردار في الأرض الخضراء، وتشتت الهواء بسعادة فقد كان صباحاً لطيفاً غائماً يعبق برائحة الأرض المبللة، تلك الرائحة التي افتقدتها طوال السنوات الثلاث الماضية

ما أروع أن تكون في بلدها من جديد، ما أروع أن تكون هنا في غرفة نومها الصغيرة التي طالما فكرت بها بكل حنين عندما كانت في المناطق النائية وراء البحار. ما أروع أن تنزع أنفيساً زوي خدمتها في البحرية، وتتمكن من ارتداء كنزة ونورة صوفية حتى وإن كانت حشرات العث قد فعلت فيهما فعلها بكل نشاط خلال سنوات الحرب!

كان من الأخير أنها أنها خرجت من سلاح البحرية وعادت امرأة حرة من جديد، مع أنها قد استمعت -حفاً- إلى أبعد مدى في خدمتها فيما وراء البحار. كان عملها مثيراً إلى حد لا بأس به، فقد حفل بتسوية جمعة، ولكن كانت فيه أيضاً مزعجت الروتين، وإحساسها بأنها ورملاها وزميلاتها يُعانقون جميعاً مثل قطع ذلك الإحساس الذي جعلها تشعر برغبة جامحة في الخلاص. وفي ذلك الوقت والظرف، خلال ذلك الصيف اللاهية في الشرق،

أخذت تفكر -مكل ذلك الشوق والحنين- بورمزي قبل، وبالبيت القديم البارد الجميل، وبألمها الغالية.

كانت لين تحب أمها وتزجج منها في آن معاً، وعندما كانت -هناك- بعيدة عن الوطن، بقيت على حبها لها ونسبت الإزعاج، لو أنها لم تذكره إلا مع وخزة حنين إضافية للوطن. باللام الغالية، إنها بالغة الروعة! كانت مستعدة لبذل أي شيء مقابل سماع أمها وهي تطلق إحدى عباراتها المكرورة بصوتها الشاكي العذب. أه، ما أجمل العودة للوطن، وعدم مفادته ثانية أبداً أبداً!

ها هي ذي الآن، خارج الخدمة، حرة، تقف ثانية في بيتها، لقد مضت على عودتها ثلاثة أيام، ومع ذلك فإن شعوراً غريباً بالتململ وهدم الرضا قد بدأ يتسلل إلى نفسها. كان كل شيء كمهدد، كمهدد تماماً: البيت، والوالدة، وراول، والمزرعة، والأسرة. أما ما كان مختلفاً -وما كان ينبغي له أن يختلف- فقد كان هي نفسها..

تناهت إليها صيحة أمها، السيدة مارشمنوت، من أسفل الدرج قائلة: حيتي. هل أحضر لطفلي إفطاراً رائعاً على السرير؟

صاحت لين بصوت عال: كلا بالطبع، إتني تازلة. وفكرت: ولماذا تضطر أمي لقول: «طفلي»؟ إنه تعبير سخيف جداً.

نزلت الدرج مسرعة ودخلت غرفة الطعام. لم يكن الإنظار متميزاً، وكانت لين قد بدأت تدرك ما يتطلبه البحث عن الطعام من وقت واهتمام أكثر من المعتاد ومن الطبيعي. لقد كانت السيدة مارشمنوت وحيدة في البيت باستثناء امرأة لا يمكن الركون إليها،

ثاني صباحاً أربعة أيام في كل أسبوع. وفيما عدا ذلك كانت السيدة مارتشمونت تجاهد في الطبخ والتنظيف. لقد كانت في الأربعين من عمرها تقريباً عندما أنجبت لين. ولم تكن صحتها جيدة. كما لاحظت لين -بشيء من الأسى- كيف تغيرت أوضاع الأسرة المالية. فالدخل الثابت الكافي -على أقله- الذي مكّهم من الاستمرار في العيش المريح قبل الحرب كاد يتضاءل الآن إلى النصف بسبب الضرائب، فيما ارتفعت كل التكاليف والأجور.

حدثت لين نفسها باكتئاب قائلة: آه! العالم الجديد المجري.

ثم وقعت عيناها على أعمدة الصحيفة اليومية، فقرأت «عضوة سابقة في سلاح الجو الملكي تبحث عن عمل يُقدّر روح المساعدة والحماسة». «عضوة سابقة في سلاح البحرية الملكي تبحث عن وظيفة تتطلب قدرة تنظيمية ونحماً للمسؤولية».

الجرأة، المبادرة، القيادة... تلك هي السلع المعروضة، وتكر ما هي السلع المطلوبة؟ المطلوب هو أناس يطبخون وينظفون. أناس يتناول الاختزال بصورة صحيحة. أناس مثابرون يعرفون صجريات العمل المثمرة ويستطيعون تقديم خدمة جيدة.

حسناً، إن ذلك لا يؤول فيها. فطريقها واضح أمامها: الزواج بابن خالتها راوولي كلود! فهو قد خطبها منذ سبع سنوات. قبل اندلاع الحرب تماماً. ويقدّر ما تذكره. فقد كانت دوماً تعتزم الزواج براوولي. وقد وافقت بسرعة على اختياره لحياة الزراعة، فهي حياة جيدة.

صحيح أنها قد لا تكون حياة مثيرة، وأنها مليئة بالعمل الشاق،

ولكن الاثنين كانا يحبان العمل في الهواء الطلق، وتربية الحيوانات. وهذا لا يعني أن تطلعاتهما هي الآن كما كانت من قبل، فقد كان الطفل غوردن دائماً يحد...

قطع جبل أفكارها صوت والدتها الكئيب: لقد كانت وفاته ضربة موجعة جداً لنا جميعاً يا عزيزتي لين، كما كتبت لك. لم يكن قد مرّ على وصول غوردن إلى إنكلترا سوى يومين فقط، حتى إننا لم نره! لو أنه لم يبق في لندن، لو أنه حضر مباشرة إلى هنا.

- نعم، لو...

هناك، بعيداً عن الوطن، كانت لين قد صُغت وحزنت لخبر وفاة خالتها، ولكنها لم تبدأ بإدراك المصير الحقيقي لوفاته إلا الآن. كان غوردن كلود يتحكم بحياتها، وحياة الآخرين جميعاً، طوال السنوات التي تبعها ذكرياتها. فذلك الرجل الفني (الذي لم يكن له أولاد) ضم كل أفكاره تحت جناحه تماماً.

وحتى راوولي... كان راوولي وصديقه جوني فاغافور قد بدأ شراكة بينهما في مزرعة. وكان رأس مالهما قليلاً، ولكنهما كانا متفهمين بالأمل والنشاط. وكان غوردن كلود محبداً للفكرة، وقد ألغى لها بما هو أكثر من ذلك، إذ قال: «لا يمكن للمرء أن ينجح في الزراعة دون رأس مال. إن أول ما ينبغي اكتشافه هو مدى امتلاك هذين الشابين حقاً للإرادة والنشاط الضروريين لانطلاق العمل، فإن أنا دعمتهما الآن فلن أستطيع اكتشاف ذلك قبل مرور سنوات، ولكن إن كان لديهما الخامة الجيدة، واقتنعت بأنهما يبدآن -من طرفهما- الجهد المطلوب، فعتدها -يا لين- لا تقلقي بشأنهما؛

فأموالهم بالعالم الكافي ولذلك لا تشاعري من أفقر مستظفك
يا فتاتي: إليك الزوجة التي يحتاجها راولي تماماً وتكون لحظتي ما
أخبرتك به طلي الكتمان.

حسناً لقد أبت الأمر سرّاً وتكون راولي نعمة أحسن يا هشام
ناله، وكان عليه أن يثبت له أنه وشريكه بشكل عملي ناجحاً.

نعم، لقد اعتمدوا جميعاً على غوردون كلود، وهذا لا يعني
أن أحداً من أفراد العائلة كان يتصف بالطبيلة أو الكسل. فقد كان
جيري مي كلود شريكاً أساسياً في شركة للمحاسبة، وكان ليونيل كلود
طبيباً ممارساً ولكن الاضطرابات المالي كان يقف في خلفية حياتهم
العينية البرية، ولم تكن لها حصة أبداً للتفسير أو التوفير؛ إذ كان
المستقبل مضمناً، وكاد من شأن غوردون كلود الأرض الذي لا طلب
له أن يهتم بذلك، وقد أخبرهم جميعاً -ولأكثر من مرة- بأن الأمر
على هذا النحو.

كانت أخته الأرملة، أدبلا مارشمونت، قد بقيت مقيمة في
منزلها وأبنت هروس رغم أنها كانت تستطيع الانتقال إلى بيت أصغر
وأوفر عملاً، كما تلقت لين تعليمها في أفضل مدارس لدرجة الأولى.
ولو أن الحروب لم تندلع لكانت قادرة على اختيار أي تخصص تريده
مهما بلغت تكاليفه، فقد كانت شبيكة التحال غوردون تترق بانتظاره
مربح لشكفل الوفاء بمتطلباته المتع الصعبة والتحياك لشرفة كان كل
شيء محلولاً تماماً، مصحوناً تماماً، ومجاة جاء زواج غوردون كلود
غير المتوقع على الإطلاق.

تابعت أدبلا مارشمونت حديثها فذلت: لقد شعقت جميعاً

بالطبع، فلتن بدا شيء أكيداً تماماً، فقد كان ذلك الشيء هو عدم
بقدام غوردون على الزواج ثانية أبداً. لم يكن الأمر ناتجاً عن أي نقص
لديه في العلاقات والروابط الأسرية.

ورأت لين أنه كانت توجد بالفعل الكثير من الروابط الأسرية،
لكن تكن تلك الروابط أحياناً أكثر من الحد الطبيعي؟

تابعت السيدة مارشمونت حديثها: كان دوماً في غاية اللطف،
رغم أن ذلك كان يشوبه قدر ضئيل جداً من الطغيان. لم يكن يحب
أبداً عادة تناول الطعام على مائدة عارية، بل كان يصعد دوماً على
ضرورة نسكي بتلك العادة القديمة في نغطة المائدة بمفارش
خاصة، بل إنه أرسل في مرة مفارش جميلة جداً من صنع البندقية
هتلما كان في إيطاليا.

قالت لين ببساطة: ولقد كانت مطاوعة رغبته امرأة مجزياً
بالتأكيد. لم أضرب بشيء من الفصول. كيف التقى بهذه المرأة...
الزوجة الثانية؟ لم تخبرني بذلك في رسائلك.

- في غارب ما أو على متن طائرة أو شيء كهذا خلال بعض
أفكاره. بعد كل تلك السنين، وبعد كل تلك السكريرات والطابعات
ومديرات المنازل وغيرها!

ابسمت لين، فبقدر ما نية ذاكرتها كانت سكريرات غوردون
كلود ومديرات منزله وموظفات مكتبه عرضة للمراقبة الدقيقة
والشكوك.

أضفت بغضول: هل كانت جميلة؟

- حسناً يا عزيزتي، أنا شخصياً أظن أنها ذات وجه سخيف.

- أنت لست رجلاً يا أمي!

- وقد أصبحت المسكينة طبعاً في الغارة. وحدثت ومروست مرضاً بالغ الشدة بعدها، ورأيي أنها لم تتعاف أبداً منذ ذلك الحين. إنها كتلة أعصاب متوترة، إن كنت تدركين ما أعنيه. وهي تبدو - فعلاً - بنصف عقل في بعض الأوقات. لا أشعر أنه كان بإمكانها أن تكون رفيقة مناسبة لغوردون المسكين.

ابسمت لين. إذ راودها الشك في أن يكون غوردون كلود قد اختار الزواج بالمرأة الصغيرة سنين عديدة بدافع رقتها العقلية والفكرية.

خفضت السيدة مارشumont صورتها وقالت: ثم إنها يا عزيزتي، وأنا أكره قول ذلك، ولكنها ليست «سيدة»!

- يا لهذا التعبير يا أمي! وما أهمية ذلك في هذه الأيام؟

- ما تزال للأمر أهمية في الرتبة يا عزيزتي. إنني أعني أنها ليست بالضبط واحدة منا!

- يا للشفقة المسكينة!

- لا أعرف حقاً ما الذي تعنيه يا لين. لقد كنا جميعاً حربصين جداً على أن نكون لطفاء ومهذبين، وعلى الترحيب بها بينما، وذلك من أجل غوردون.

سألت لين بقصول: أمي في منزل «فورويانك» إذن؟

- نعم، بالطبع. وهل كان لديها مكان آخر تقصده بعد خروجها

من المستشفى؟ لقد نصح الأطباء بعدم بقائها في لندن. إنها في فورويانك مع أخيها.

- وما حال أخيها هذا؟

- شاب فظيع.

سكنت السيدة مارشumont لحظة، ثم أضافت بكثير من التركيز: إنه وقع.

هزت عقل لين موجة مؤفة من التعاطف. وطافت في ذهنها الأفكار: «أراهن أنني سأكون رقيقة لو كنت مكانه!»، ثم سألت أمها: ما اسمه؟

- ديفيد هنتر، وأخيه أيرلندياً. إنهما - بالطبع - لا ينتميان إلى عائلة معروفة. كانت هي أرملة، واسم زوجها السابق أندريه. لا أريد التقني، ولكن المرأة لا يملك إلا أن يسأل نفسه: «أية أرملة تلك التي تسافر متجولة عبر أمريكا الجنوبية وقت الحرب؟». لا يملك المرأة إلا الشعور بأنها كانت تبحث عن زوج غني.

- وفي هذه الحالة لم يذهب بحثها عبثاً!

تهددت السيدة مارشumont وقالت: يبدو الأمر غريباً جداً. لقد كان غوردون دوماً رجلاً بالغ الذكاء. رغم أن النساء لم يفصرون في محاولة استمالته. تلك السكرتيرة قبل الأخيرة مثلاً... كانت بالفعل سمجة تماماً. أظن أنها كانت عالية الكفاءة، ولكنه اضطر إلى التخلص منها.

علقت لين بغموض: أحسب أن لكل امرئ معركة يخسرها.

- اثنائية والستون؟ إنه من نتائج الخطورة، كما أحسب أن الحرب تُفقد المرء استغرابه وهذوه، ولكنني لا أستطيع أن أصف لك الصدمة عندما تلقينا رسالته من نيويورك.

- ما الذي قاله فيها بالضبط؟

- كتب إلى فرانيس، ولا أفهم حقاً لماذا اختارها. ربما تخيل أنها - بحكم تربيتها - ستكون أكثر تعاضداً وشجاعةً. قال إنها ربما ستفهمنا بسماع خبر زواجه، وإن الأمر كله حدث بشكل مفاجئ بعض الشيء، ولكنه وثق بأننا جميعاً سمح بـ روزالين (وهو اسم مسرحي جداً - أليس كذلك يا عزيزتي؟ أعني أنه يبدو اسماً زائفاً بعض الشيء). قال إنها عاشت حياة نعمة جداً، وعانت الكثير رغم أنها شابة صغيرة، وبأنها واجهت الحياة بشجاعة رائعة جداً.

- حيلة معروفة تماماً.

- آه، أعرف ذلك. أتفق معك، فلقد سمعت مثل هذه الدبيجات كثيراً جداً، ولكن كان من شأن المرأة أن يظن بأن غوردن تحديدًا، بكل خبرته... ولكن، مع ذلك، هذا ما حدث. إن لها عينيْن واسعتين جداً، غامقتي الزرقاء، غامقتي الزرقاء تماماً.

- أهي جميلة؟

- آه، نعم، ربما كانت كذلك، ولكن جمالها ليس من النوع الذي يعجبني أنا.

علقت لين بانتباه كثيرة: أنت لا تعجبك أي جمال!

- نعم يا عزيزتي. ولكن يا للرجال! لا يمكن التنبؤ بتقلبات الرجال، حتى أكثرهم: نترانا يقدمون على ارتكاب أفظع الحماقات! وقد مضى غوردن ليؤكد في رسالته أنه لا ينبغي أن يخطر ببالنا - للحظة واحدة - أن زواجه سيأتي تخفيفاً من الروابط والوشائج القديمة، وأكد أنه ما زال يحترنا جميعاً مسؤوليته الخاصة.

- ولكنه لم يكتب وصية بعد زواجه، أليس كذلك؟

- آخر وصية كتبها كانت عام ١٩٤٠، لا أعرف تفصيلاتها، ولكنه افهمنا بأنها قد اهتمت بنا جميعاً في حالة حدوث مكروه له. لقد أبطل زواجه تلك الوصية بالطبع. ولعله كان سيكتب وصية جديدة عند عودته إلى الوطن، ولكن لم يتح له الوقت لذلك، فقد قُتل - عملياً - في اليوم التالي لوصوله إلى البلاد.

- وهكذا فإن روزالين تحصل على كل شيء، أليس كذلك؟

- بلى، لقد أبطل زواجه الوصية القديمة.

ظلت لين صامتة؛ فهي لم تكن أكثر حباً للمال من أغلب الناس، ولكنها لم تكن لتمتلك طبيعة البشر لو لم تغضب من الحالة الجديدة. لقد شعرت بأن غوردن كلود لم يكن ليخيل أو يقبل مثل هذه الحالة. ربما كان من شأنه أن يترك معظم ثروته لزوجته الشابة، ولكن كان من شأنه أيضاً أن يترك حصصاً معينة بالتأكيد للعائلة التي شجعها على الاعتماد عليه. فلطالما شجعهم مراراً وتكراراً على عدم التوغير وعدم ادخار شيء للمستقبل. لقد سمعته يقول لجيرمي: "ستكون رجلاً ثرياً عندما أموت"، وإحاطاً قال لأمي: "لا تقلقي يا أديلا: ستكون لين دوماً محل رعايتي وأنت تعرفين ذلك، وإنني

لأخبره أن تركي هذا المنزل، فهو بيتك. أرسلني إلي كل الاتصالات الترميم. ولقد شجع راولي على امتحان الزواجر. كما أصغر على النحاق أنطوني، ابن جيريبي، بالحرص الملكي. وكان يخصص له دوماً مختصات سنية. وقد شجع لبويل كلود على اتباع مسارته معينة في البحوث الطبية لم تكن ندر أرياحاً فورية، وعلى إهمال ممارسة الطب.

ولكن تسلسل أفكار لين انقطع، فقد أخرجت أمها على نحو مؤثر - مجموعة من الإيصالات وقالت وشعاعها ترنصف. انطوي إلى هذه الإيصالات، ماذا عساي أفعل؟ ماذا عساي أفعل بالله عليك يا لين؟ لقد أرسل لي مدير المصرف ملاحظة صباح اليوم بأنني سحب من الأموال ما لا يني حسابي به. لا أستطيع أن أرى مخرجاً. لقد كنت بالغة الحرص، ولكن يبدو أن امتصاصاتي لم تعد تُدر من الدخل ما كانت تدره سابقاً. قال إنها الزينات في الضرائب، وكل تلك الأوراق الصفراء التي يسمونها «التأمين ضد أضرار الحرب» أو ما شابه هذا... على المرء أن يدفعها شاء أم أبى.

أخذت لين الإيصالات وألقت نظرة عليها. لم يكن فيها ما يوحى بأي ترف، إذ كانت بتكاليف تبديل الألواح التي تكسو سطح البيت، وإصلاح سياجه، وتبديل مرجل المطبخ الذي أصابه الجلي. ولكن مجموع هذه المصاريف بلغ مبلغاً كبيراً.

قالت السيدة مارشمونت بأسلوب يثير الشفقة: أظن أن علي الانتقال من هنا، ولكن إلى أين عساي أذهب؟ ما من منزل صغير هنا أبداً، لا يوجد منزل صغير أبداً. آه، إني لا أريد إزعاجك بكل

هذه الأمور يا لين، ليس الآن وقد وصلت لتوئك إلى الوطن. ولكني لا أدري ما أفعل. حقاً لا أدري.

نظرت لين إلى أمها التي تجاوزت الستين من عمرها. لم تكن أبداً من تلك النساء القويات جسماً. كانت قد امتصفت خلال الحرب مدنيين عن ثم إغلاؤهم من لندن، وكانت تطبخ لهم وتنظف، وعملت مع جمعية «خدمات ضحايا الحرب»، فصنعت المربعات، وساعدت في وجبات التغذية المدرسية. كانت تعمل أربع عشرة ساعة في اليوم، مقابل حياتها الهادئة المنقمة قبل الحرب. رأتها لين الآن على شفا الانهيار، منهكة وخائفة من المستقبل.

تسلل غضب بطيء هادئ إلى عقل لين، وقالت بنمهل: ألا تستطيع هذه ال... روزالين... أن تساعد؟

توردت وجنتا السيدة مارشمونت وقالت: ليس لنا حق بأي شيء... على الإخلاقي

اعترضت لين قائلة: أظن أن لك حقاً أدياً، فقد كان الخال غورون يساعدنا دوماً.

هزت أمها رأسها بالرفض وقالت: لن يكون جميلاً يا عزيزتي أن نطلب إحساناً، ليس من أناس لا نحبههم. وعلى كل حال فإن أخاها فاك لن يدهمها تتخلي عن فرش واحد! ثم أخافت وقد ظهر في صورتها المكر الأنثوي الخالص: هذا إن كان حقاً أخاها!

• • •

الفصل الثاني

نظرت فرانسيس كلود بتأمل إلى زوجها الجالس قبالتها على طاولة العشاء. كانت في الثامنة والأربعين من عمرها، وهي من أولئك النساء النحيلات الثلاثي بناسيهن ارتداء الملابس الصوفية كان في وجهها شيء من الجمال المتعجرف الذي تحلا من الأصابع، باستثناء القليل من أحمر الشفاه الذي رُسم على شفها دون اعتناء. أما جيريبي كلود فقد كان رجلاً نحيلاً أشب الشعر في الثالثة والستين من عمره، ذا وجه جاف يخلو من التعابير. وقد كان وجهه في هذه البيئة أكثر افتقاراً للتعبير من عادته. وقد أدركت زوجته ذلك بنظرة خادقة سريعة.

دايرت حول الطاولة فتاة في الخامسة عشرة من عمرها تصنع الأطباق. كانت نظرة الفتاة المعلقة مركزة على فرانسيس. إذ أن نظرية جيب من فرانسيس تكاد تجعلها تسقط ما في يدها، ولكن نظرة استحيان جعلت أساورها تنفجر.

كان يتردد في ورمزلي قبل -بشيء من التحديد- أنه إن كان لأحد أن يتخذ خدمة فإن فرانسيس كلود هي أول من يليق به ذلك. أنه تكن تُعزى الخدم بالأجور المرتفعة. كما أنها كانت تشدد كثيراً على

الأداء المثالي لخدمها. ولكن استحيائها الرقيق الدافئ لمجهوداتهم، وطاقتها وحماسها اللتين تشعان وتؤثران فيمن حولها، كل ذلك قد جعل من الخدمة في البيت عملاً مبدعاً في أعين خدمها. كانت قد اعتادت طوال حياتها أن يكون لديها من يقوم على خدمتها، إلى الحد الذي جعلها تأخذ الأمر كإيديهة مسلم بها، ودون وعي ذاتي منها. كما كُنْ تقديرها لطباخة جيدة أو خادمة قديرة يشبه تماماً تقديرها لعازف بيانو بارع.

كانت فرانسيس كلود الابنة الوحيدة للورد إدوارد تريتن، الذي اعتاد على ترويض خيوله وتدريبها في منطقة ورمزلي هيث. وقد اعتبر أولئك المظلومون على الأمور أن الإللاس الأخير للورد إدوارد كان بمثابة مخرج رذوف جنبة ما هو أسوأ، فقد جرت شائعات عن خيول فشلت فشلاً ملفتاً للانتظار في متبعة الباقي حتى النهاية، وفي لحظات غير متوقعة، وشائعات أخرى عن تعقبات يُجرى بها مسؤولو هندي الباقي. ولكن اللورد إدوارد نجا بسبعة لم تتلخخ إلا قليلاً، ونوصل إلى تسوية مع دائته سمحت له بالعيش حياة مرفهة تماماً في جنوب فرنسا. وقد كان الفضل في هذه النجاة غير المتوقعة عائدًا لدهاء معلمه جيريبي والمساعد الخاص الذي بذلها. لقد فعل جيريبي أكثر بكثير مما يفعله المساعد عادة لموكله، بل إنه قدم ضمانات منه شخصياً. وقد أوضح جيريبي أنه يُكُنْ إعجاباً عميقاً بفرانسيس تريتن، ومع مضي الأيام، وعندما انتهت مشكلات والدها بشكل مُرضٍ أصبحت فرانسيس السيدة جيريبي كلود.

لم يُقَسِّنْ لأحد أن يعرف حقيقة مشاعرها تجاه هذا الأمر، وكل ما يمكن قوله هو أنها أوفت بتوصيتها من الصفة بشكل رائع. فقد

كانت زوجة قديرة ومخلصة لجيريمي، وأما حريصة لأمه، وساعدت بكل طريقة ممكنة في دفع وتحرير مصالح جيريمي. ولم يسر معه أبداً - بالقول أو بالفعل - ما يوحى به هذا الزواج كان مدفوعاً بشيء غير رغبتهما الصاعدة عن إرادة حرة.

وفي مقابل ذلك كانت عائلة كمبود تكن احتراماً عظيماً هاتين تجاه فرانسيس. كانوا فخورين بها، ويسمون برأيها، ولكنهم لم يشعروا - فعلاً - بشعور حميم نحائها.

كما أن أحداً لم يعرف أيضاً ما الذي فكر به جيريمي كمبود بخصوص زواجه، لأن أحداً لم يعرف أبداً ما الذي يفكر فيه جيريمي أو يشعر به. كان الناس يصفونه بأنه «محب حافة».

كانت سمعته - رجعلاً ومحامية - مثارة. وتونكي شركة السجادة التي شترك في امتلاكها شركة برونسكيل وكلود. تدخل أحد من قضاة مشهورة قانونياً لم يكن الناس يظفرون إلى هذه الشركة على أنها من شركات المحامين الأهميين. ولكن المكرة السائدة كانت أن أصحابها يعتبرون موثوقين وقد ازدهرت الشركة. وعاشت عائلة جيريمي كلود في منزل جميل على الضار الجورجي قرب ساحل السرق. وخلفه حديقة واسعة من الضار القديم فحديقة يسور من الجدران، ترى فيها أشجار الكستاني وقد اكتست بعض من الأوراق البيضاء وقت الربيع.

عندما نهض الزوجان عن طاولة العشاء ذهب إلى غرفة تطل على تلك الحديقة في مريحة المنزل. أحضرت نهما إنداء الخدمة ذات الخامسة عشر ربيعاً، القهوة وهي تليث نتيجة حيويها الأعلى.

صبت فرانسيس قليلاً من القهوة في الفنجان. وكانت تهوى مركزة حارة. قالت لخدمتها بسرعة واستحسان: راتع يا إنداء.

أحمر وجه إنداء سروراً، وأخذت - مع ذلك - تتمسك بالأذواق بعض الناس. فالقهوة، في رأي إنداء، يجب أن تكون فاتحة اللون، وحلوة جداً، وفيها الكثير من الحليب!

شرب الزوجان فهرتها السوداء الشرة في الغرفة المظلمة على الحديقة. كما قد تحدثنا أحاديث لا رابط بينها على طاولة العشاء، عن معارف نهما التقيا بهما، وعن عودة لين وعن آفاق الزراعة في المستقبل القريب. أما الآن - وهما وحيدان - فقد ظللاً صامتين.

اتكأت فرانسيس إلى الخلف في مقعدها وهي تراقب زوجها، وهو غافل نائم عن خطراتها. كان يفر شفته العليا بيده اليمنى. وقد كانت تلك حركة مميزة من حركات جيريمي لتوافقه مع الاضطراب الداخلي لديه. رغم أنه لم يكن يعني شيئاً ذلك. ولم تكن فرانسيس قد شهدت كثير. وهو يقوم بهذه الحركة، فقد رآته يمارسها مرة عندما تعرض ابنهما أنطوني لمرض خطير وهو طفل، ومرة عندما كان يترقب مداوالات مئة محتفل قبل نطقها بالحكم. وحشية اندلاع الحرب وهو ينتظر قرب المذابح سماح تلك الكلمات المصيرية. وعندما غادر أنطوني للانطلاق بالخدمة العسكرية.

فكرت فرانسيس قليلاً قبل أن تتكلم. لقد كانت حياتهما الزوجية صعبة، ولكنهما لم تكن أبداً حميمة بكل ما في الكلمة من معنى. فقد احترمت حديثه وتحفظه كما احترام جدتيها وتحفظها، وحتى عندما وصلت تلك البرقية معنة وفاة أنطوني أثناء الخدمة، فإن أحداً منهما

ثم يصبه الانبيار. وقتها فتح البرقية، ثم رفع نظره إليها فذات له
 أهى...؟ أو ما يرأسه بالإيجاب، ثم تقدم ووضع البرقية في يدها
 الممدودة. وقف - وقتها - صامتين تماماً لبرهة ثم قال جبريمي: أتمنى
 لو أستطيع مساعدتك يا عزيزتي، فأجابه بصوت ثابت دون دموع
 وهي لا تعي إلا الفراغ والألم الفظيعين: إن ذلك يؤتمك بقدر ما
 يؤتمني، فربت على كتفها وقال: نعم، نعم. ثم اتجه نحو الباب
 مشدوداً متصلياً رغم بعض التميل في مشيته، وقد بدأ فجأة عجوزاً.
 ملى وهو يقول: أما من شيء؟ يقول: ما من شيء. يقول:

كانت مئة ثم من كل قلبها على هذا التلهم العبق. كما كانت
 تترق شفقة عليه وهي تراه يتقلب - فجأة - رجلاً عجوزاً. إن فداها
 لفناها قد جعل شيئاً ما يتصلب داخلها، وحرف شيء من اللطف
 الطبيعي المعقد فيها. أصبحت أكثر كفاءة وطاقة من أي وقت مضى،
 وأصبح الناس يشعرون بشيء من الخوف أحياناً من منطقها العملي
 المباشر الذي لا هوادة فيه.

تحركت أصبح جبريمي كلود ثانية فوق كتفه العليا مترددة قنفة
 راحته، وتكلمت فرانسيس بوضوح وحزم من تطرف الآخر لمعرفة
 هل من شيء يا جبريمي؟

جفل حتى كدد فتجان القهوة بقع من يده، ثم استعذ ببطونه
 على نفسه، ووضع الفنجان بثبات على الصينية، ثم نظر إليها وقال
 ماذا تعنين يا فرانسيس؟

- إنني أسألك إن كان يوجد شيء؟

- وماذا عسى ذلك يكون؟

- من الحماقة أن أبحث ذلك، أفضل أن تخبرني أنت.

تكلمت دون عاطفة، وبأسلوب عملي.

قال دونما إقناع: ما من شيء.

لم تجبه، بل اكتفت بأن انتظرت منسائلة، وبدأ أنها اعتبرت
 إنكاره أمراً جديراً بالتجاهل، نظر إليها بتردد، وللحظة واحدة سقط
 قناع رباطة الجأش من وجهه الشاحب، وتجلت لصحة من عذاب
 مضى كادت معه أن تطلق عبارة دهشة. كان ذلك للحظة واحدة،
 ولكن لم تداخلها ربة فيما رآته.

قالت بهدوء ودون عاطفة: أحب أن من الأفضل أن
 تخبرني.

تهدد بحمل وبؤس وقال: لا بد أن تعرفي بالأمر، عاجلاً أم
 آجلاً.

ثم أضاف عبارة بدت لها مدهشة جداً إذ قال: أخشى أن
 تكوني قد دخلت في صفقة خاسرة يا فرانسيس.

تجاوزت مباشرة الإشارة التضمينية التي تم تفهيمها لتعريف
 المحقائق الأساسية: ما هو الأمر، أي مسألة مال؟

لم تكن تعرف لماذا وضعت المال احتمالاً أول، فهي لم تر
 مؤشرات خاصة على صانقة مائة أكثر مما كان طيباً ومعهوداً في
 مثل هذه الأيام. كان في ملاك المكتب نقص وفيه عمل كثير يصعب

القيام به، ولكن ذلك كان شائعاً في كل مكان، ولقد عاد إلى المكتب في الشهر الماضي بعض العاملين فيه بعد أن سرحهم الجيش. كان بالإمكان أن تكون المسألة مسألة مرض يخفيه، فقد تغير لونه إلى الأسود مرة، وكان مرهقاً من ضغوط العمل المتزايد. ولكن غريزة فرانسيس اتجهت -مع ذلك- إلى المال. وبدأ أنها كانت محقة في ذلك.

أوما زوجها بالإيجاب.

قالت: فهمت.

ثم صبت لحظة تفكير. لم تكن هي شخصياً تهتم بالمال أبداً، ولكنها كانت تعرف أنه لم يكن بمقدور جيريمي أن يدركه فقد كان المال يعني بالنسبة له عالماً ثابتاً مستقراً، وإبقاء بالالتزامات، ومكاناً ومنزلة متعددة في الحياة.

أما هي فقد كان المال بالنسبة لها ثعباناً ثلثي بين يدي المرء ليظهر بها. لقد ولدت وترعرعت في جو من عدم الاستقرار المالي، إذ مرت على أسرته أوقات راضية كانت الجياد فيها تقوم بما هو متوقع منها، كما مرت أوقات عصيبة كان أهل المهنة فيها يمتنعون عن الدفع بالدين، ويضطر اللورد إدوارد إلى الانجاء إلى طرف شائنة لتجنب المطالبين بحقوقهم على عبة منزله. وقد اضطررت لتعائلة مرة إلى تسريع جميع الخدم والعيش أسبوعاً كاملاً على الخبز وحده. ومرة بقي وكلاء الدائنين ثلاثة أسابيع في المنزل عندما كانت طفلة، وقد وجدت -وقتها- أحد هؤلاء الوكلاء شخصاً من المجتمع النخب مع وسماع قصصه العديدة عن ابنته.

إلم يكن لدى المرء مال فيوسعه أن يحتال لنفسه، أو يسافر، أو يعيش لفترة على حساب أصدقائه أو أقاربه، أو ربما أنقله شخص ما بفرضي يعبه...

ولكنها أدركت، وهي تنظر إلى زوجها في الطرف الآخر من الغرفة، بأن المرء -في عالم عائلة كلود- لا يُقدم على مثل هذه الأمور، لا يتسول ولا يفرض ولا يعيش عائلة على الآخرين، (وبالمقابل فإن المرء -في هذا العالم نفسه- لا يتوقع من الآخرين أن يتسولوا منه، أو يفرضوا أو يعيشوا عائلة عليه!).

تحدثت فرانسيس بالحزن الشديد على جيريمي، كما شعرت بشيء من اللذبة لأنها لم تكن -شخصياً- قلقاً أو مشوشة كثيراً. احتمت بطريقتها العملية في التفكير وقالت: هل سنضطر إلى بيع كل شيء؟ هل نسير الشركة نحو الهاوية؟

طرف جيريمي كلود بعينه فأدركت أنها كانت محقة تماماً في حديثها. قالت بلطف: يا عزيزي، أخبرني رجاء، هل يمكن أن أمضي في التعليم.

قال جيريمي كلود بشيء من الشجاعة: لقد مرونا بأزمة سيئة تماماً منذ عامين، فقد فر الشاب وليامز كما تعلمين، وواجهنا بعض الصعوبة في تعديل أوضاعنا ثانية. ثم نشأت تعقيدات معينة ناتجة من الوضع في الشرق الأقصى بعد أن قامت ستغافورة...

قاطعت قائلة: لا تُلقي بالأسباب والمبررات، فهي غير مهمة أبداً. لقد كنت في ورطة ولم تستطع الخروج منها.

- لقد اعتمدت على غوردن. كان من شأن غوردن أن يضع الأمور في نصابها.

أطلقت زفرة سريعة تشي بنفاد الصبر، وقالت: طبعاً، إنني لا أريد لوم الرجل المسكين، إذ أن فقدان المرأة حيوانه أمام امرأة فائتة لا يعدو - في نهاية الأمر - كونه من خصائص النفس البشرية. ولماذا عساه لا يتزوج إن أراد ذلك؟ وتكن كان من سوء الطالع أن يُقتل في تلك الغداة الجوية قبل أن ينح له تسوية أي من أموره أو كتابة وصية مناسبة أو ترتيب شؤونه. والمحققة أن المرأة لا يقطن أبداً، ولو لدقيقة واحدة، بأنه هو نفسه سيقتل. بغض النظر عما يحدث به من اختصار، إذ يرى المرء أن القنبلة ستعيب دوماً الشخص الآخر.

قال الأخ الأكبر لغوردن كلود: لقد كنت مغرماً جداً به، وفخوراً به أيضاً. ولكن موته - بعداً عما شكله من خسارة لي - جاء كإثارة علي، فقد جاء في لحظة...

ثم توقف عن إتمام عبارته. وسألته فرانسيس: هل ستفكر؟

نظر إليها جبريسي كلود بنظرة تكاد تشي باليأس. كان من شأنه مرغماً أنها لم تدرك ذلك - أن يجد راحة أكبر لو أنها صاحت أو ذرفت دموعها. أما هذا الاهتمام البارد العملي المتحاذق فقد غلبه تماماً على أمره. وقال بصوت أجش: الأمر أسوأ من ذلك بكثير.

ثم راقبها وهي تجلس هذنة ثابتة تفكر في ذلك. قال لنفسه: سأضطر بعد لحظات لإخبارها. ستعرف من أكون... لا بد أن تعرف. وقد لا تصدق الأمر في البداية.

تهدت فرانسيس كلود وعدلت جلستها في مقعدها الضخم وقالت: فهمت. اختلاس أو شيء من هذا القبيل، ألم تكن كلمة اختلاس هي الكلمة الصحيحة. كما فعل الشاب ويليامز؟

- نعم، ولكنك لا تفهميني، ففي هذه المرة أنا المسؤول. لقد استخدمت مبالغ أمانية وقصصت في عهدي، وقد تمكنت حتى الآن من إخفاء المسألة...

ولكن الأمر كله سيظهر الآن، أليس كذلك؟

- ما لم أستطع الحصول على المال المطلوب... وبسرعة.

كان العار الذي يحس به أسوأ ما غيره في حياته. كيف ستنتفي زوجته هذا الأمر؟ لقد كانت تنلقاه في هذه اللحظة بكل هدوء. ولكنه فكر بأن فرانسيس لم تكن أبداً لتبدي عواطف مسرحية في مثل هذه الأحوال. لم تكن لتوبخ أو تؤنب.

قالت وهي مضطربة الجبين: ويدها على خدها: من الغباء أنني لا أملك أية أموال خاصة بي أبداً!

- لديك التسمية المالية المترتبة على زواجك، ولكن...

فأنت شاردة الذهن: ولكن أحسب أن تلك قد ذهبت أيضاً.

ظل صامتاً. ثم قال بصعوبة بصوته الجاف: إنني آسف يا عزيزتي. آسئ أكبر مما يسعني التعبير عنه... لقد دخلت صفقة خاسرة؟

رفعت نظرها إليه بحدة وقالت: لقد قلت ذلك من قبل ما الذي تعنيه بذلك؟

- عندما تكلمت بقبول الزواج مني - كان لك الحق في أن تتوقعي... في أن تتوقعي الاستقامة، وحياة تخلو من المكدرات.

كانت تنظر إليه بدهشة تامة. قالت: يا لك من رجل يا جيريمي! ولماذا نظمتي تزوجتك بالله عليك؟

ابتسم قليلاً وقال: لقد كنت دوماً - يا عزيزتي - مثلاً للزوجة المثالية الوفية. ولكنني لا أكاد أستطيع إطراء نفسي وإقناعها بأنك كنت ستقبليني في... في ظروف مختلفة.

نظرت إليه ثم انفجرت فجأة ضاحكة وقالت: يا لك من غريب مضحك ما هذا العقل الرومانسي الذي تخفيه خلف هذه الواجهة القانونية! انحسب - حفاً - أنني تزوجتك مقابل إنقاذك لأي من المذابح، أو من مسؤولي نادي الخيول... إلى آخر ذلك؟

- لقد كنت شديدة انشغال بأهلك يا فرانيس.

- لقد كنت أحب أبي. كان محبوباً جداً، وكانت الحياة معه أكبر متعة ولكنني كنت أصرف دوماً أنه سيء في عمله وإن كنت تعتقد بأنني مستعدة لبيع نفسي لصحامي العائلة لكي أتقذه مما كان يقع فيه دائماً فأنتك إذن لم تفهم أي شيء عني... أبداً!

حدثت إليه، وأحست بالاستغراب إذ تزوج امرأة رجلاً لا أكثر من عشرين سنة دون أن تعرف ما الذي كان يدور في عقله ولكن

كيف للمرء أن يعرف إن كان عقل الآخر مختلفاً إلى هذا الحد عن عقله؟ كان عقله رومانسياً بالطبع. صحيح أنه مُزوَّج جيداً، ولكنه رومانسي في جوهره. فكرت في نفسها قائلة: كان يجب أن أدرك طبيعة تفكيره منذ زمن بعيد. يا للعجيب المسكين الأبله!

قالت: لقد تزوجتك لأنني كنت أحبك بالطبع.

- تحبيني؟ ولكن ماذا عماك توين بي؟

- إن كنت تسأل عن ذلك يا جيريمي فأنا حفاً لا أدري. لقد كنت مختلفاً تماماً، مختلفاً عن كل أصحاب أبي، فأنت - مثلاً - لم تتكلم أبداً عن الخيل. إنك لا تفهم كم كنت أستمز من الحديث عن الخيول، ومن تلك الكهنات عن فرس الفوز بكأس السباقات. وجدت أنك لتناول العشاء ذات ليلة... هل تذكر؟ وجلست أنا بجانبك، وسألتك سؤالا اقتصادياً عن التعامل بالذهب. وأخبرتني حفاً أخبرني عن الأمر. وقد استغرق ذلك فترة العشاء كلها... وكان عشاء من ستة أصناف متعاقبة، إذ كانت لدينا أموال آنذاك وكان لدينا طباطخ فرنسي!

- لا شك أنني كنت مملاً جداً.

- كان الأمر أسوأ! لم يكن أحد قد عاملني بعجدة من قبل. وكنت مهبطاً جداً. ومع ذلك لم يبدُ عنك أنك كنت تنظر إلي أو تراتي تعظيماً أو جميلة... وقد دفعني ذلك إلى محاولة إظهار أفضل ما لدي، وأقسمت على أن أدفعك إلى الاهتمام بي.

قال جيريمي كلود بكتابة: لقد اهتممت بك تماماً. ذهبت في

قالت فرانسيس: أنت لم تخبرني بذلك! ظننت أن الآموان ملكتها إلى الأبد، وأن بوسعتها أن تتركها لمن تشاء.

- لا: قرفقاً للفقانون الخاص بالموت دون وصية.

لم يبدُ أن فرانسيس قد أصعبت شرحه. قالت عندما توقف صوته: لا يكاد الأمر يحينا شخصياً. فقبل أن تصل إلى منتصف عمرها ستكون نحن من أهل القبور. كم عمرها؟ خمسة وعشرون عاماً... ستة وعشرون؟ ربما عاشت حتى تبلغ السبعين.

قال جيري ميكلود بارتنياب: بوسعتها أن نطلب منها قرضاً، ونعزوه إلى أسباب عائلية، اليس كذلك؟ ربما كانت ثمة ذات عقل متفتح كريمة. إننا حقاً لا نعرف عنها إلا القليل القليل.

- وقد كنا على أية حال لطفاء معها إلى حد معقول. ولم تكن مناكفئين لها مثل أدريلا. ربما استجابت.

كان روحها محذراً. ولكن ينبغي أن لا تصدر أية إشارة إلى إني إني حالة طوارئ حفيظة.

قالت فرانسيس بنفاد صبر كلا، بالطبع! المشكلة أننا نر تعامل مع الفتاة نفسها، فهي تماماً كالمخاطم في أصعب أحوالها.

- إنه شاب كريم جداً.

السمعت فجأة انشامة فرانسيس وقالت: آه، نعم. ويخيل لي أيضاً أنه مثلك قليل التواضع إلى حد ما. ولكن - في هذه النقطة

والقاعات - فأتنا أيضاً قنبلة التواضع.

تصلبت انشامتها ونظرت إلى زوجها قائلة: لن نُهزم يا جيري مي.

يجب أن نجد طريقة ما... ولو اضطررت للسطو على مصرف!

- إن ذلك... إن ذلك عمل شنيع!

- آه، لا.

ثم توقف قليلاً وقال: [نتي أرغب بأن أشتري لك أنت معطف فرو يا لين.

- كيف هو شكلها يا راولي؟

كانت تريد حُكماً على المرأة من شخص في مثل عمرها.

- شربتها الليلة، في حفلة الخال ليونيل والخالة كاتي.

- نعم، أعرف ذلك. ولكني أريد منك أن تخبرني، إن أمي تقول إنها بنصف عقل، فما رأيك؟

فكر راولي، ثم قال: حسناً، لا أظن أن الذكاء هو أقوى ميثاقها. ولكنني أظن حقاً أنها تبدو - ظاهرياً فقط - بنصف عقل لأنها حريصة جداً.

- حريصة؟ حريصة على ماذا؟

- آه، مجرد حريصة. أحبها حريصة بشكل أساسي على لهجنها أو نكتتها. إن لها تكتة واضحة، آه، ثقل: تردداً إزاء طريقة المنطق. وإزاء أية تلميح أو أية يمكن أن تُطرح في أي مجلس محضر.

- إذن فهي - حقاً - غير... غير مثقفة؟

تصيح راولي وقال: إنها ليست أيدي! إن كان هذا ما تعنيه.

الفصل الثالث

قالت لين، المال!

هو راولي كلود رأسه بالإيجاب. ■ إن شأياً خصباً مريع القامة، ذا بشرة حمراء وعينين زرقاوين متاملتين وشعر أشقر بالغ الشفرة. كان في أسلوبه شيء من البطء الذي بدا مقصوداً أكثر منه ضيقاً. وكان يستخدم أنثني حيث يستخدم الآخرون سرعة اليديهة. فاق، نعم، يبدو أن المال يلف علف كل شيء هذه الأيام.

- ولكنني ظننت أن أعمال المزارعين ازدهرت خلال الحرب؟

- آه، نعم. ولكن ذلك لا يعني الخير الدائم. ففي غضون سنة سنعود إلى حيث بدأنا، مع ارتفاع الأجور، وعدم رغبة العمال، وعدم فتاحة أحد أو معرفته لمواقع أقدامهم. هذا - طبعاً - ما لم تكن زراعتك على نطاق واسع حقاً. لقد كان هورون العجوز يعرف ذلك. وفي هذه النقطة كان يُعدّ العدة لتدخل.

سأنت لين: والآن...؟

- والآن تذهب السيدة هورون إلى لندن فتصرف أنثني جنبه في شراء معطف فرو جميل.

لها عيدان جميلتان. وبشرة رائعة. وأظن أن ذلك هو ما أوقع غوردون العجوز بحبيها. مع الإحساس العارض الذي تثيره بأنها بسيطة ماذجة تماماً. ولا أحسب ذلك تظاهراً وخداعاً. مع أن الأمر لا يستطيع أن يجزِم طبعاً إنها تكفي بالوقوف كائبلها، نازكة ديفيد يفودها.

- ديفيد؟

- ذلك هو أخوها. ولا أظن أنه ترك باباً من أبواب الممارسات المستهجرة والمنفعية لم يدخه! وهو لا يحب كثيراً أيّ ما.

قالت لين بحدة: ونساءنا عمه محباً؟

ثم أضافت بشيء من الدهشة عندما نظر إليها: أعني أنك أنت أيضاً لا تحبه.

- أنا لا أحبه بالتأكيد، ومن تحبه أنت أيضاً إنه ليس من نوعنا.

- أنت لا تعرف من أحب ومن لا أحب يا راولي! لقد رأيت الكثير من أرجاء العالم في السنوات الثلاث الأخيرة. وأظن أن مداركي قد توسعت.

- لقد رأيت من العالم أكثر مما رأيت أنا، هذا صحيح.

قال عبارته تلك بهدوء، ولكن لين دفعت بصرها إليه بحدة. كان خلف تلك العبرات الهادئة المستوية شيء ما.

بادلها نظرتها بشكل مباشر ووجهه لا يسى بأية عاطفة.

وتذكرت لين أنه لم يكن من السهل أبداً معرفة ما يفكر به.

راولي بالاضبط. فكرت: يا لهذا العالم الغريب المقلوب رأساً على عقب! فقد جرت العادة أن يكون الرجال هم الذين يذهبون إلى الحرب. والنساء هن اللاتي يبقين في البيت. ولكن الموقف انقلب هنا! كان عني أحد الشابين (راولي وجوني) أن يبقى في المزرعة. افترعا بقطعة نقدية فكانا جوني فافاسور هو من وقعت عليه القرعة للذهاب إلى الحرب. وقد قُتل على الفور تقريباً في التروبيج. وطوال سنوات الحرب لم يتعد راولي إلا ميلاً أو ميلين عن بيته. أما هي، لين، فقد ذهبت إلى مصر وإلى شمال أفريقيا وصقلية، وتعرضت لثلاث الأعداء أكثر من مرة. وهذا هو الآن لين العائدة من الحرب وراولي بعيداً عن بيته. ونساءنا فجأة إن كان قد اهتم.

أصدرت ضحكة عصبية صغيرة وقالت: تبدو الأمور أحياناً مقلوبة قليلاً... رأساً على عقب، اليس كذلك؟

- آه، لا أدري.

ثم أرسل خاطره بفرغ إلى الريف المسند وأخاف: ربما.

ترددت قليلاً ثم قالت: راولي، هل اعتنمت... أعني بشأن جوني؟

حدق إليها مباشرة ببرود فاجأها. وقال: دهي جوني خارج الموضوع! لقد انتهت الحرب وكنت محظوظاً.

- هل تعني بمحظوظ أنك...

ثم ترددت قليلاً: أنك محظوظ لعدم اضطوارك... إلى الشعب؟

- إنه حفظ رائع. ألا تظنين ذلك؟

لم تدر تماماً كيف تفهم ذلك السؤال. كان صوته مسدوداً.
نهايات قاطعة. وما لبثت أن أضاف متبسماً: ولكنك بالقطع -معشر
المجندات- متجددن صعوبة في الاستقرار في الوطن.

قالت بانزعاج: آه، لا تكن سخيّاً يا راولي (وتكن: لماذا
انزعجت؟ لماذا، ما لم تكن كلماته قد أصابت الحقيقة في مكان
ما؟).

حسناً، أحب أن من الأفضل أن تفكر في زواجنا. ما
تكوني قد غيرت رأيك؟

- طبعاً لم أغير رأيي، ولماذا أغيرة؟

قال بشيء من الإبهام: الله أعلم!

- أنتي أنك تظنني اختلفت؟

- ليس هنّي وجه التحديد.

- ربما كنت أنت من غير رأيك؟

- آه، لا، أنا لم أتغير؛ فهذا في المزرعة لا يحدث إلا التقليل
من التغيير كما تعلمين.

قالت لين وهي تحس -بشكل ما- بهبوط الحديث إلى نتيجة
تافهة بعد أن كان متصاعداً: حساً إذن، لتزوج. متى ما شئت.

- في حزيران أو نحو ذلك؟

- نعم.

ثم صحت الاثنتان، انتهت المشككة، وشعرت لين -وعماً عنها-
أنها مكتبة متقبضة الصدر إلى حد بعيد. ومع ذلك، فإن راولي لم
يكن قد اختلف، بل بقي كما كان دوماً، مُحبباً لا تجرفه العواطف،
وميلاً -عن وعي وجهه- إلى نهوين الأمور وإعطائها أقل مما
تستحقه. لقد أحب كل منهما صاحبه على الدوام، ولم يسبق لهما
-أبداً- أن تحدثتا عن حبهما كثيراً، فلماذا يتعين عليهما أن يتحدثتا عنه
الآن؟ متزوجان في حزيران، ويعيشان في منزل لونغ ويلوز (وهو
اسم طالما أعجبها) وسوف لن يسافر أبداً مرة أخرى. أي أنها لن
تسافر بالمعنى الذي تعبه لها الآن كلمة السفر؛ أي بما كانت تجده
في تلك الكتلة من إثارة وانفعال عندما تُرفع معابر السفينة استعداداً
للإفلاع، ويتراخض طاقم السفينة كل إلى موقعه، والخوف الذي
يهيمن عندما تطلع طائرة ونطوف فوق الأرض، ومراقبة شواطئ غريبة
وهي تنضج تدريجياً وتأخذ شكلها. ورائحة اشراق المحار والبارافين
والثوم، وصجيج اللغات الأجنبية ورطابنها، والزهور الغريبة وشقائق
النعسان الحمراء تنهض بكبرياء من حديقة ترابية، ورزم الحفائب
وتفريخها، والتساؤل عن المحطة التالية.

كل ذلك قد انتهى. وانتهت الحرب، وعادت لين إلى الوطن.
وعاد البحار إلى وطنه، عاد من البحر... ولكنها فكرت فائلة لنفسها:
أنتي لست لين نفسها التي سافرت في البداية.

وفعت نظرها لترى راولي يراقبها.

كلود باسمها الأول، فرانسيس، إلا أن زوجة ليونيل كلود قد بقيت دوماً «العمة كاثي» بالنسبة لهما، وكان الاثنان مفرغين بها، رغم أنهما وجداهما سخيفة بعض الشيء.

كانت هذه «الحفلة» - الممثلة خصيصاً في الظاهر للاحتفال بعودة لين إلى الوطن - مجرد شأن عائلي.

وحيث العمة كاثي بابنة أخت زوجها بمحبة وقالت: تبدين جميلة جداً ومُفَسَّرَةٌ يا عزيزتي. أحسب أن مصر هي السبب. هل قرأت ذلك الكتاب الذي أرسلته لك عن نبوءات الهرم؟ إنه مثير جداً. إلا نربن أنه يفسر كل شيء.

جاء دخول أرملة غوردن كلود وأخوها ديفيد لينفذ لين من عناء الإجابة عن السؤال. قالت العمة كاثي: أقدم لك ابنة أخت زوجي، لين مارشمونت، يا زورالين.

نظرت لين إلى أرملة غوردن كلود بفضول مغلف بلذات من الفطنة. نعم، كانت حقاً جميلة، هذه الفتاة التي تزوجت غوردن كلود من أجل ماله. وكان صحيحاً ما قاله راوولي من أن فيها مسحة من البراعة، شعر أسود تدلّ على خصلاته خفيفة متموجة، وعينان زرقاوان إيرلنديتان يكمل طبعي، وشفتان مفرجتان قليلاً. أما ما تبقى منها فقد كان عالياً ثميناً جداً. الشياش والجواهر ووداء القفوف، منظر جميل تماماً، ولكنها لم تعرف حقاً كيف ترتدي ملابس ثمين. لم تلبسها كما كان يمكن للين مارشمونت أن تلبسها لو ستحت لها نصف فرصة لذلك!

الفصل الرابع

كانت حفلات ائعمة كاثي دوماً متشابهة: ضحك كاثي نصف بشيء مما يميز حفلات الهواة من إثارة، وكان ذلك جزءاً مما تتصف به المضيفة نفسها.

وكان الدكتور كلود يجد صعوبة في السيطرة على نزفه وانعاده فيما يبدو، ولكنه كان دوماً دمثاً لطيفاً مع ضيوفه، رغم أنهم كانوا يدركون أن لطفه ناتج عن جهد بدني.

لم يكن ليونيل كلود - من ناحية المظهر - يختلف كثيراً عن أخيه جيريمي، وكان محبلاً ومادي الشعر، ولكنه لم يكن يمتلك راحة جاش المحامي وهذا هو. وكان على شرفه من سرعة رد الفعل وسهولة الصبر في أسلوبه ونصرفته، بحيث أخرج هاجمه العصبي الكثير من مرصاه إلى حد الإهانة، وجعلهم لا يقصرون إلى ما يمنع به قبحاً من مهارة ونظف. وقد انصبت اهتماماته الحقيقية على البحث، وكانت هوايته هي استخدام الأعشاب الطبية عبر التاريخ. كان ذا عقل ممتاز بالذقة وقد وجد صعوبة في تحمل التطلعات العزاجية لزوجته.

ومع أن لين وراوولي اعتادا دوماً على تسمية زوجة جيريمي

(ووجدتها صوت في داخلها: إنك لن تجدي هذه الفرصة أبداً).

قالت روزالين كلود: «مرحباً». ثم التفت مترددة إلى الرجل الواقف خلفها وقالت: هذا... هذا أنتي

قال ديفيد هنتر: مرحباً!

كان شياً تخبلاً ذا شعر أسود وعينين سوداوين، وكان في وجهه حزن ونحس، بل وشيء من انعطفة الموقعة. وأدركت لين على الفور لماذا كرهته عائلة كلود كلها إلى تلك الدرجة. لقد سبق لها أن قابلت رجالاً من هذا النوع في الخارج، رجالاً كانوا مشهورين وخطيرين بعض الشيء، لا يستطيع المرء الاعتماد عليهم رجالاً وضعوا قوايلهم المخافة وأزادوا انعائهم كنه رجالاً كانوا يبنون وزيهم ذهباً في حماة الهجوم العسكري، ولكنهم أوصلوا فادتهم إلى حافة الجنون فيما عدا ذلك من حياة الجندية!

قالت لين لروزالين على سبيل بدء حديث: وكيف وجدت العيش في فورويانك؟

- أظنه بيتاً رائعاً.

أطلق ديفيد هنتر ضحكة خفيفة ساخرة وقال: لقد أحسن المجوز المسكين غوردن العناية بنفسه، ولم ييخل على البيت بشيء.

كانت تلك هي الحقيقة تماماً: فعندما قرر غوردن الاستقرار في رومزلي قبل ذاء بالأحرى قضاء جزء بسيط من حياته المعافاة

بالعمل هناك) اختار أن يني بيتاً جديداً. كان أكثر فردية من أن يهتم بالسكن في منزل مضمع بتاريخ أناس آخرين. استخدم مهندسا معمارياً عصري النظر وأطلق يده في اختيار تصميم البناء. وقد اعتبر نصف سكان رومزلي قبل البيت الجديد المسمى «فورويانك» سكناً فظيلاً. وكرهوا شكله السريع الأبيض وأثاثه الذي بُني في صلب الجدران، وأبوابه المتحركة، وموائد وكراسيه الزجاجية، وكان الجزء الوحيد الذي أعجبهم كثيراً هو حمامات المنزل. كان تمة رعية في جملة روزالين: «أظنه بيتاً رائعاً». وقد جعلت ضحكة ديفيد خديها يتوردان.

قال ديفيد مخاطباً لين: إذن فأنت العاتدة من سلاح البحرية، أليس كذلك؟

- بلى.

صعد النظر فيها كمن يفهمها، ولسبب ما تورد خديها، ظهرت التهمة كاشرين مجدداً فجأة. كانت تسمع بخاصية الحلول فجأة في مكان ما وكأنها جاءت من فراخ، ولعلها تعلمت ذلك من جلسات الأرواح الكثيرة التي تعطيها. نادى وهي تسحب أنفاسها: العشاء.

ثم أضافت مستدركة: إنه ليس عشاء رسمياً دسماً. لقد غدا كل شيء صعباً. أليس كذلك؟ تقول ميري لويس إنها تدس لبائع السمك عشر شبات كل أسبوعين. إنتي أرى في ذلك فساداً كبيراً.

كان ليونيل كلود يطلق ضحكته العصبية الترفة وهو يتكلم مع فرانسيس قائلاً: آه، لا تبالي يا فرانيس، لا أظنك تتوقعين مني أن أصدق أنك ترين ذلك حقاً. هيا ندخل.

دخلا إلى غرفة الطعام التي كانت سبة الحال، بشعة بعض الشيء. دخل جيريمي وفرانسيس ولوئيل وكاثرين وأديلا ونيس وراوني حفلة عائلية تضم آل كلود، مع اثنين من خارج العائلة؛ إذ أن روزالين كلود - رغم حملها ثلاثم - لم تصبح من آل كلود كما أصبحت فرانسيس وكاثرين.

كانت هي الغريبة، المقصّرة، القنفة أما ديفيد فقد كان الخارج عن القانون، وكان كذلك بالضرورة، كما بالاختيار أيضاً كانت لين تفكر بهذه الأشياء وهي تأخذ مكانها على المائدة.

كان الجبر زائراً بموجبات من المشاعر. ثيار كهربائي قوي من... من ماذا ترى؟ أهي الكراهية؟ أميكن حقاً أن تكون الكراهية؟ كانت - على أية حال - مشاعر... مدمرة.

ثم فكرت لين فجأة قائلة لنفسها: ولكن هكذا هي الحال في كل مكان، وقد لاحظت ذلك منذ أن عدت للوطن. إنها الآثار التي تركتها الحرب: الحقد، والضحية في كل مكان في القطارات والمحافلات، وفي المحلات، وبين العمال والموظفين، وحتى بين الفلاحين وأحسبها أسوأ بين هذه المتاجم والمصارع. إنها الضغينة، ولكنها هنا أكبر من ذلك. فهي هنا محددة، مقصودة!

ثم فكرت وقد حُدمت: هل نكرههما حقاً إلى هذا الحد، وقد أخذنا ما نراه منكأ لنا؟ وبعد ذلك فكرت: لا، ليس بعد. ربما كنا نكرههما، ولكن ليس بعد، لا، إنهما هما من يكرهاتنا.

بدأ ذلك لها اكتشافاً يخاف بعقل المرء إلى الحد الذي جعلها

تجلس صامتة تفكر فيه، ناسية أن تتحدث مع ديفيد هنتر الذي كان جالساً بجانبها. ثم ما لبث أن قال: أنتفكرين بشيء؟

كان صوته عذبا تماماً وفيه شيء من السرور، ولكنها شعرت بتأنيب القمير. إذ قد يظن أنها تحاول - جاهدة - أن تسيء معاملته. قالت: أنا آسفة، كانت تراودني أفكار حول حال الدنيا.

قال ديفيد ببرود: يائه من موضوع مكرور لا جديد فيه! - نعم، هو كذلك نوعاً ما. إننا - جميعاً - جادون جداً هذه الأيام، ولا يبدو أن ذلك يحقق أية فائدة أيضاً.

- إن الأكثر عملية - في العادة - هو تمنّي إيقاع الأذى. وقد استطعنا - خلال السنوات القليلة الماضية - أن نخرج ببعض الوسائل العملية بعض الشيء - في هذا الصدد، بما في ذلك تلك الوسيلة الأكثر أهمية، القنبلة الذرية.

- هذا ما كنت أفكر فيه. لا أعني القنبلة الذرية، بل عنيت الضغينة. الضغينة المؤكدة العميقة.

قال ديفيد بهدوء: إنها ضغينة بالتأكيد، ولكنني أميل إلى التركيز على كلمة «عملية» لقد كانوا أكثر عملية في هذا الأمر في المصور متوسطي.

- ما الذي تعنيه؟

- السحر الأسود بشكل عام، تمنّي السوء، والتعاقب الشحية لمن يُراد بهم الشر، والتعاويد لدى تحوّل القمر، وقتل قطعان

المأشية لدى العجيران، بل وقتل الجزار نفسه.

سأنته ليس غير مصدقة. لا أظنك تؤمن حقاً أنه كان يوجد شيء اسمه «الجزر الأسود»؟

- ربما لا أقوم بذلك، ولكن الناس - حتى آية حاف - حاولوا جاهدين. أما في أيامنا هذه

ثم دفع كفيه بلامبالاة وأضاف: مع كل ما في العالم من ضغينة، إلا أنك وعائلتك لا تستطيعون عمل الكثير بشأني وشأن روزالين، أليس كذلك؟

عادت لين برأسها إلى الحائط، وسرعان ما وجدت نفسها تستمع بالحديث. قالت بأدب: أصبح الوقت متأخراً قليلاً عن ذلك

ضحك ديفيد هتر. وبدأ أنه يستمع بالحديث هو الآخر: تعجب أننا نجونا بالنعيم؟ نعم - نحن مرتاحون تبعاً بوضعنا الحالي

- وأنتما تشعران بشوة بذلك!

- نعمين بامتلاك الكثير من المال؟ أظن أننا نشعر بذلك.

- أنا لم أقصد المال فقط، بل فصدت من وضعنا نحن.

- نعمين أننا غلبناكم على أهلكم؟ حسناً، ربما. لقد كان من شأنكم جميعاً أن تكونوا في غاية الرضا عن أنفسكم فيما يخص أموال الحبوب لو آلت إليكم، فقد كنتم تنظرون إلى تلك الأموال كما لو كانت في جيوبكم أساساً

- عليك أن تتذكر أنه قد تم تعليمنا على أن نفكر بذلك لسنوات طويلة، علمنا أن لا ندخر وأن لا نفكر في المستقبل - وتم تشجيعنا على المضي بكل أنواع الخطط والمشاريع، (وعندها فكّرت براولي وبالمزرعة).

قال ديفيد غرماً: شيء واحد فقط لم نتعلموه في الواقع.

- وما هو؟

- أنه ما من شيء مضمون.

صاحت العمة كاثرين وهي تنحني إلى الأمام هند رأس المائدة: لين، إن أحد وسطاء السيدة ليستر كان كاهناً في الأسرة المالكة الرابعة للفراخنة، ولقد أخبرنا أشياء رائعة. ينبغي أن تبادل حديثاً مطولاً أنا وأنت يا لين، وأشعر أن مصر قد أثرت فيك جسدياً ولا شك.

قال الدكتور كلود بعده: إن لدى لين أشياء تفعلها أهم من كل هذه السخافات الأسطورية.

قالت زوجته: إنك متعامل جداً يا ليونيل.

ابتسمت لين لعمتها ثم جلست صامتة، وفي عقلها آخر كلمات قالها ديفيد: «أما من شيء مضمون».

يعيش أناس في مثل هذا العالم، أناس يكون كل شيء بالنسبة لهم خطيراً، وقد كان ديفيد هتر من هذا النوع، لم يكن هذا هو العالم الذي نشأت فيه لين، ولكنه كان عالماً له - مع ذلك - مقرباته بالنسبة لها.

قال ديفيد بنسى الصوت المنخفض المبتهج: أما زالت علاقتنا
جيدة لتبادل الحديث؟

- آه - نعم.

- حسناً، وهل ما زلت تنضمين علي وعلى روزالين وحمولتي
السبي إلى الشرفة؟

أجابته لين بشيء من المزاح: نعم!

- رائع وماذا ستفعلين إزاء ذلك؟

- سأشتري بعض الشبع وأمارس السحر الأسود!

ضحك ديفيد وقال: لا، إنك لن تفعلي ذلك؟ فأنت لست ممن
يعتمدون الطرق القديمة التي بطل طرازها ستكون أساليبك حديثة،
وربما كانت فعالة جداً، ولكنك لن تفوزي.

- ما الذي يجعلك تعتقد أن معركة ستفوز؟ ألم تقبل الأمر؟

- إنكم تنصرفون جميعاً بشكل جميل... إنه لأمر مل.

قالت لين بصوت منخفض: لماذا تكرهنا؟

التمع ضياء ما في تلك العينين السوداوين اللتين لا يسر
غورهما، وقال: ربما لا أستطيع جعلك تنضمين.

- أظنك تستطيع.

صمت ديفيد لبرهة، ثم سأل بنبوة حديث عرشي لا: لماذا
ستتزوجين راوولي كلود؟ إنه أبنه.

قالت بجدية: أنت لا تعرف شيئاً عن الأمر... أو عنه، لا يمكن
أن تكون قد فهمت - بعد - أي شيء!

سأل ديفيد دون أي أثر لتبديل الحديث: ما هو رأيك بروزالين؟

- إنها جميلة جداً.

- وماذا أبهى؟

- لا يبدو أنها تستمتع بحياتها.

- هذا صحيح تماماً، إن روزالين حذقاء بعض الشيء. إنها
عاطفة مذعورة، وقد كان هذا شأنها دائماً. تدخل في الأمور على غير
هدى، وبعدها لا تعود تعرف شيئاً عنها. هل أخبرك عن روزالين؟

قالت لين بأدب: إن كنت ترغب.

- إنني أرغب فعلاً. لقد بدأت حياتها بالعمل بالمرح، ولم
تكن بارعة في عملها. ثم اشتركت مع مجموعة سياحية من الدرجة
الثالثة. كانت تخطط لرحلة إلى جنوب أفريقيا، فقط لأنها أحببت
اسم جنوب أفريقيا، ولكن المجموعة تطلعت بها السبل في كيب
تاون. بعدها تسافت إلى الزواج من مسؤول حكومي في نيجيريا، ولم
تعجبها نيجيريا، وأظن أن زوجها لم يعجبها كثيراً أيضاً. ولو أنه كان
رجلاً فقط قاسياً لكانت الأمور سارت على ما يرام، ولكنه كان مثقفاً
مفكراً يحتفظ بمكتبة ضخمة في تلك الأصقاع النائية. وهكذا عادت
ثقة إلى كيب تاون. وقد تصرفت الرجل بكل طيبة، فخصص لها مبلغاً
كافياً للعيش. وقد كان بوسعه أن يطلقها، ولكنه كان كاثوليكياً. على
أية حال فقد توفي بسبب الحمى، وتالت روزالين مخصصات بسيطة

ثم بدأت الحروب، فانتقلت -على متن باخرة- إلى أميركا الجنوبية. ولم تحبها تلك البلاد كثيراً فاستقلت باخرة أخرى، وعلى متن تلك الباخرة قابلت غوردون كلود وأقضت له بكل شيء عن حياته اليائسة. وهكذا تزوجا في نيويورك وعاشا سعيدين لأسبوعين وبعد ذلك بقليل لقي غوردون حرقه بقنبلة تركها لها بيتاً غليظاً، وكثيراً من المحلي الشبية، ودخلت عاتلاً.

• من الرائع أن تكون للفصاة مثل هذه النهاية السعيدة.

- نعم. رغم أن روزالين لا تملك عقلاً أبداً، إلا إنها كانت دوماً فتاة معظوفة.. لقد كان غوردون كنود مجوراً قوي البنية، في الثانية والثنين من عمره. وكان من شأنه أن يعيش عشرين سنة أخرى بكل سهولة، بل حتى أكثر من ذلك. وما كان ذلك ليشكل متعة لروزالين اليس كذلك؟ لقد كانت في الرابعة والعشرين عندما تزوجته. وهي الآن في السادسة والخشرين فقط.

- بل إنها تبدو أصغر من ذلك.

نظر ديفيد هيرو الحائفة كانت روزالين ترفع رقبها، وبدأت كطفلة عصية قل مثلاً! نعم، إنها تبدو كذلك. وأحب أن أفكر غائب عنها تماماً.

قلت لـ لين فجأة: يا انسكية!

فصّب ديفيد حاجبه وقال بحدة: ولم الشغلة؟ إنني أما أنفدي سيعتني روزالين.

- نعم، أظنك ستعتني بها.

فصّب حينه بشراة وقال: وأي امرئ يحاول خداع روزالين أو التغلب عليها فإنه سيجدني أمامه! وأنا أعرف العديد من وسائل شن الحروب... وبعض تلك الوسائل ليس مستقيماً تماماً.

سألته لين يبرود: هل أنا بصدد سماع قصة حياتك أنت الآن؟

ابتسم ديفيد وقال: إنها قصة مختصرة جداً. حين اندلعت للحرب لم أجد شيئاً يدعوني للقتال من أجل إنكلترا، فأنا إيرلندي. ولكنني -ككل الأيرلنديين- أحب القتال. وقد كان لسلاح المغاوير صحر لا يقاوم بالنسبة لي. وقد استنعت معهم قليلاً ولكنني -مع الأسف- اضطررت لتركهم نتيجة إصابة بليغة في ساق. بعدها ذهبت إلى كندا وجمعت من التدريب مهنة لي. ولكنني كنت عاطلاً عن العمل عندما استلمت برفقة روزالين من نيويورك التي تقول فيها إنها ستزوج وهي لم نعلن صراحة عن غيبته وفرواده، ولكنني تخاف تماماً من فزاة مدين أفسطور. سافرت إلى هناك، ووطئت نفسي مع الزوجين السعيدين وهدت معهما إلى لندن. والآن..

ابتسم لها بوقاحة وأضاف: ما قد عاد البتار من البحر (هذا أنت؟)، وهاء الصباد من التلة.. ما الأمر؟
- لا شيء.

تحدثت مع الآخرين. وفيما كانوا يمشون إلى غرفة الاستقبال قال لها رولوي: لقد بدا أنك انسجعت تماماً مع ديفيد هنتر. عم كتما تتحدثان؟

- لا شيء محدد.

• • •

الفصل الخامس

قالت روزالين: ديفيد، متى سنعود إلى لندن؟ متى سنسافر إلى أمريكا؟

رماها ديفيد منظره دحشة سريعة عبر مائدة الإفطار وقال:
لنا في عجلة من أمرنا، أليس كذلك؟ ما الميب في هذا البيت؟

ثم قلب نظره بسرعة وانجذب في الغرفة التي جلس الاثنان فيها لتناول طعام الإفطار. كان منزل فوردونك حبيبا على منفع ثلة، وكان بوسع المرء أن يرى من خلال نوافذه منظرا شمونيا لا يهوفه شيء للريف الانكليزي الغافق. ومنه انحدار الممرجة النحلية لحدائق المنزل ورعت آلاف نباتات الترحس التي تفترب موسم إزهارها من نهايته الآن، ومع ذلك بقي اللون الذهبي يغطيها كسباط مستد.

نمتت روزالين وهي تعتت النخيل المحدث في صحنها: لقد قلت إننا سنسافر قريباً إلى أمريكا بأسرع وقت ممكن.

- نعم، ولكن الأمر لا يمكن تدبيره بهذه السهولة. توجد أولويات، ولا أنت ولا أنا تملك أي أعداد عمل تقدمها. إن الأمور دائماً ما تكون صعبة في أعقاب الحروب.

شعر في داخذه بشيء من الانزعاج وهو يتكلم: فقد كانت الأسباب التي سافها - على صحنها - أقرب إلى التبرير. وتساءل إن كانت قد بدت كذلك لتفتاة الجائسة قبائله، كما تساءل لماذا أصبحت - فجأة - حريصة على السفر إلى أميركا إلى هذا الحد؟

نمتت روزالين: لقد قلت إننا لن نبقى هنا إلا لفترة قصيرة، ولم تقل إننا سنعيش هنا.

- ما هو الميب في ورمزتي فيل، وفي فوردونك؟ هيا، فولي.

- لا شيء، العيب فيهم... كنهم!

- هاتئة كلود؟

- نعم.

- هذا هو تماماً ما أجد متعة ونشوة فيه، إنني أحب رؤية وجوههم المخروقة بأكلها الحسد والضعيفة. لا تبخلي علي بهذه المتعة يا روزالين؟

قالت بصوت حذفت مضطرب: أتمنى أن لا تشعر على هذا النحو. إنني لا أحب ذلك.

- تشجعي يا عزيزتي. فلقد شردتنا الأقدار بما فيه الكفاية أنا وأنت، فيما عاشت عائلة كلود حياة هائلة... هائلة، عاشت على حساب الأخ الكبير غوردون، براغيث صغيرة عاشت على براغوث كبير. إنني أكره أمثالهم. وقد كنت دوماً كذلك.

قالت مصدومة: أنا لا أحب كره التنس، إنه أتم كبير؟

- ألا تظنين أنهم يكرهونك؟ هل كانوا لطفاء ودودين معك؟

قالت بارتياح: لم يكونوا مبينين، ثم يسبوا لي أي أذى.

- ولكنهم يودون ذلك يا طفلي، يبرينة، يودون ذلك

ثم ضحكك بنهور وأضاح ولولا حرصهم على أنفسهم لعرنا عليك ذات صباح جميل وقد عُززت سكين في ظهرك

ارتعشت وقالت: لا تقل مثل هذه الأشياء الفطيرة؟

- حسناً، لقد لا تكون مكينة، بل قليلاً من السم في حسانتك.

حدثت إليه وفيها بضطرب وقالت: لا بد أنك نمرح.

عاد ثانية إلى حديثه وقال: لا تقلقي يا روزالين، سأعني بك، سيجدونني أمامهم قبل أن يصلوا إليك

قالت وهي تتلطم بالكلمات: إن كان صحيحاً ما نقوله حوث كرههم ثلاً... أو كرههم نبي... فلماذا لا نذهب إلى لندن؟ سنكون في أمان هناك، بعيداً عنهم جميعاً.

- إن الرفيق جيد بالنسبة لك يا عزيزتي، وأنت تعلمين أن وجودك في لندن بمرصك.

- كان ذلك عندما كانت القنابل هناك... القنابل.

ثم ارتعشت وأغمضت عينيها وقالت: إنني لن أسي أبداً أبداً

- يلي، سنسرين.

ثم أمسكتها بلطف من كتفها وهزها برفق قائلاً: اخرجي من هذا الحال يا روزالين، لقد أصبت بصدمة عتيفة، ولكن الأمر انتهى الآن، لا مزيد من القتابل، لا تفكري بالأمور، لا تذكرني. لقد أوصى الطبيب بهواء الريف وحياته الهادئة، ولهذا أريد إبقاءك بعيدة عن لندن.

- أهذا حقاً هو السبب؟ أهذا هو يا ديفيد؟ ظننت... ربما...

- ماذا ظننت؟

قالت روزالين ببطء: ظننت أنك تريد البقاء هنا من أجلها.

- من أجلها؟

- أنت تعرف من أقصد، فناء السهرة التي كانت في البحرية.

فجأة اسود وجهه وتصبب، وقال: لين؟ لين مارتشمونت؟

- إنها تعني شيئاً بالنسبة لك يا ديفيد.

- لين مارتشمونت؟ إنها خطيبة راوولي، راوولي الطبيب قعيد البيت، ذلك الثور الموسم البليد بطيء التفكير.

- لقد راقبتك وأنت تتكلم معها في تلك الليلة.

- آه، يا الله هليك يا روزالين!

- وقد رأيتها وقابلتها بعد ذلك، أليس كذلك؟

- لقد فقتنيها قرب المررعة صباح أول أمس عندما كنت أقوم

- وسوف نقابلها ثانية.

- بالطبع سأقابلها دائماً! فهذه منطقة صغيرة بحيث لا نستطيع السير خطوتين دون أن تصطدمي بأحد أفراد أسرة كلود. ولكن إن كنت تظنين أنني وقعت في حب لين مارتشمونت فأنت مخطئة. إنها فتاة متكبرة متعمقة كريمة لا يعرف لسانها التهذيب. أوجو أن يفرح بأولي بها. كلا يا صغيرتي، إنها ليست من النوع الذي أحبه.

قالت بارتياح: أوافق أنت من ذلك يا ديفيد؟

- طبعاً واثق.

قالت بشيء من الخنوع: أعلم أنك لا تحب قيامي بكشف الطالع بورق اللعب، ولكن ذلك بعض نتائج وتخبينات صحيحة بالفعل. وقد رأيت من خلال ورق اللعب فتاة تحلب النعاح والعز، فتاة ستأتي من البحر. كما رأيت أيضاً غريباً أسمر يدحو حياتنا ويأتي معه بالخطر، ورأيت ورقة الموت. و...

قاطعتها ديفيد ضاحكاً: يا لك ويا تخيلاتك السمر! أية كلمة من انكوك أنت؟ لا تتعامل مع أي غريب أسمر، هذه نصيحتي لك.

ثم خرج من البيت ضاحكاً. ولكن عندما ابتعد عن البيت. عادت غمامة شغفي وجهه وعين وأخذ يتعمق مع نفسه. من سوء حظك يا لين أن تعودى إلى الوطن لتربكي الأمور العثرية. وفي تلك اللحظة أدرك أنه يتبع طريقاً يمكن أن يأمل فيه بلقاء الفتاة التي نكده عنها لئله بكل تلك القسوة.

راقت روزالين وهو يعبر الحديقة خارجاً عبر البوابة الصغيرة المقفلة إلى المشي الترابي العام عبر الحقول. صعدت -بعد ذلك- إلى غرفتها واستعرضت الملابس في خزانها. كانت تستمتع دوماً بتلمس معطفها المصنوع من القرو وتتحسسها لا يمكنها أن تتخلص أبداً من إحساسها بالدهشة والعجب لامتلاكها مثل هذا المعطف. وقد كانت في غرفتها عندما صعدت الخادمة لتخبرها بأن السيدة مارتشمونت قد أتت للزيارة.

كانت السيدة أديلا مارتشمونت جالسة في غرفة الجلوس وقد زمت شفتيها بإحكام وقليلها ينبض بضعف سرعته المعتادة. لقد مضت عليها أيام وهي تسجع فرنها وتعزم أمرها بغية تقديم مناشدة لروزالين، ولكن طبيعتها جعلتها تتردد. كما أنها اتزعجت إذ وجدت أن موقف لين قد تغير -على غير توقع- وأنها أصبحت الآن تعارض بقوة سمي أنها لأن تطلب من أرملة غوردن قرصاً تخفف به أعباءها وقلقلها. ولكن رسالة أخرى من مدير المصرف في ذلك الصباح كان من شأنها أن تدفع السيدة مارتشمونت للقيام بتصرف عملي. إذ لم يعد بوسعها التأجيل. وكانت لين قد خرجت في وقت مبكر، وقد لمحت السيدة مارتشمونت ديفيد هنتر وهو يمشي مبتعداً على الطريق الترابي. وهكذا كان الجو خالياً مهياً. كانت تريد -بشكل خاص- أن تتمكن من مقابلة روزالين وحدها، دون وجود ديفيد، إذ قدرت -وكانت على صواب في ذلك- بأن روزالين الوحيدة وحدها، ستكون هدفاً أسهل.

ومع ذلك فقد شعرت بعصية وخرج شديدين وهي تنظر في حرفة الجلوس المشمسة، رغم أنها شعرت بشيء بسيط من التحسن

عندما دخلت روزالين وقد بدا واضحاً عليها أكثر من المعتاد ما كانت السيدة مارتشمونت تسميه دوماً "نظرة نصف عقل" وفكرت أدبلاً مارتشمونت قائلة لنفسها: "أساءلُ إن كان ذلك ناتجاً عن الانفجار، أو أنها كانت دوماً كذلك؟"

قالت روزالين متلعثمة: "... صباح الخير، هل من شيء؟
تفضل، اجلسي."

قالت السيدة مارتشمونت باسهاج: "يا له من صباح جميل! لقد فتحت كل أزهار الربيع المبكرة لدي. هل تفتحت لديك؟"

حدثت الفتاة إليها ذاهنة وقالت: "لا أدري"

وفكرت أدبلاً وهي تحدث نفسها: "ماذا يفعل النمر بهشعري لا يتكلم في شؤون الحديقة أو شؤون الكلاب، ذبك الموضوع غير الاحتماليين الحاضرين للأحداث الريفية؟" أما لمصبتها فقد قالت دون أن تستطيع إخفاء نعة الحرارة التي تسببت إلى سرتها: "ديت - بالنظر - العديد من البنانيين، وهم يتولون ذلك كله."

- أظن أن لدينا نقصاً فيه. يقول البناني "الحجور مولارد إنه بحاجة إلى رجلين معه، ولكن يبدو أننا نعاني نقصاً حاداً في العمالة."

خرجت منها الكلمات بشكوى مرتجل أشبه بكلام الشيخ، أو كطفل يردد ما سمعه من شخص بالغ. نعم، لقد كانت حقاً ضعفة وتساءلت أدبلاً إن كان سحرها يكمن في خاصيتها الطفولية تلك؟ أكن هو ما جذب عوردهن كلود، رجل الأعمال التركي الوافعي.

وأعماه عن رؤية غباها وأصلها المتواضع؟ إذ لا يمكن - في نهاية المطاف - أن يكون الأمر مجرد جمال وحسب، فقد حاولت العديد من الجميلات أن يجذبه دون طائل، ولكن الطفولية بالنسبة لرجل في الثانية والستين من عمره يمكن أن تشكل نقطة جذب، هل كانت تلك الطفولية حفيظة طيعة، أم أنها مجرد تكلف، تكلف كان معجزاً، وبذلك أصبح طبيعة ثانية؟

كانت روزالين تقول: لقد خرج ديفيد...

وقد أعادت هذه الكلمات السيدة مارتشمونت إلى نفسها. فقد يعود ديفيد، وفرصتها سانحة الآن ولا ينبغي لها أن تخطئها، غلبت الكلمات سحرها، ولكنها أخرجتها أخيراً: "أساءل... إن كنت مستعدة لمساعدتي؟"

- مساعدتك؟

بدت روزالين مدهوشة لا تفهم شيئاً.

- إنني... إن الأمور صعبة جداً كما تعلمين، وقد ترك موت عوردهن فرقاً كبيراً في حياتنا جميعاً.

ثم خاطبت روزالين سرّاً في عقلها قائلة: "أيها الغبية الحمقاء، ألا بد من استمرارك في التعديق بي هكذا فاعرة الفم؟ إنك تعرفين ما أعنيه! لا بد أنك تعرفين، فقد كتبت أنت أيضاً فقيرة الحال، كرهت روزالين في تلك اللحظة، كرهتها لأنها وجدت نفسها هي - أدبلاً مارتشمونت - جالسة هناك تتحب طائفة المال. وفكرت مع نفسها قائلة: "لا أستطيع ذلك... لا أستطيع..."

وفي لحظة قصيرة واحدة التفتت في عثليا من حديد كل
اشاعات الطفولة من الفلق والتكبر والتخطيط تبيح البيت
(ولكن انى أين تنقل؟ لم تكن في الحجاز أية بيوت صغيرة ولا
وجود لبيوت رحيمة بالكبد). ستضيف تولاد بالأجرة. (ولكنها
لا تستطيع موظف ثلاث نالت وهي لا تستطيع ببساطة لا تستطيع
أداء تدبير كل أمور المطبخ والخدمات التي تتطلبها ذلك. ثم ما عدها
ليس ولكن أين ستزوج واولي؟ غيبلى في ميس مع اولي وليس
(كلا، لن تفعل ذلك أبدا!) تحصل على عمل. ثم عمل؟ وما
يريد امرأة كهلة متعبة غير مدربة؟ وأخيرا خرج صوته عاكسا على
ألحانها احتفرت غسها. انى انى الحائل

فماذا؟

بدأت مدعوته على نحو بارح. كما لو أن الحائل كان أحمر و
توفعت بقدرة ومفقت أدلة معاد. وهي تقصر الكلمات مصورا لشد
سحبها من حجابها المسمى في المصراع. ومعنى هو التبريد. إحصاءا حده
أعجب. البحر دفع أحرف بعد. لقد نهضت قلب شمس إلى النقص.
أعني دجاجة نهضت. وحبب لها الطيرانيات الخاتبة عند اتحاد عروق
عسى شديم المساعدة. أعني من سائر السرايل كان يقوم على
الإصلاحات بما هي ذلك الأسطح والجميع وما إلى ذلك. وعرض ذلك
منخفضات منقطة. كان يدفعها إلى المصروف كل ثلاثة شهور وكذا
يقول دوماً ألا تفكرى. وبالأطبع لم أكن أفكر أبدا أعني أن الأمر
كانت عسى ما يرام عندما كان جها. أما الآن...

لم سكنت. كانت تشعر بالخجل والعار. ولكنها شعرت

بالارتياح في نفس الوقت. فقد تجاوزت - في نهاية المطاف - أسوأ
ما في الأمر. وإن رفضت الفناء فلترفض. نعم. بهذه البساطة.

بدأ الانزعاج الشديد على روزالين وقالت: أه. يا عزيزي! لم
أكن أعلم. لم أتحيل أبدا. انى. حتماً. بالطبع سأسال ديفيد.

أمسكت أدبلا نظري بحرسها بضراوة وقالت بيأس: ألا
تستطيعين إعطائي شيكاً... الآن؟

- بللى. انى! أحسب أن بوسعي ذلك.

بدأت روزالين جفنة، نهضت ومضت إلى المكتب. بدأت في
عدو أدراج وأخرجت أخيراً دفتر شيكات وقالت: هل أكتب. كم؟

أمكن. . . أتمكن أن تجعلها خمسة جنيه؟

كنت روزالين بهياع «خمسة جنيه»

وضع حب. صعد من ظهر أدبلا. فقد كان الأمر سهلاً في
نهاية المطاف! وقد فرحت إذ حضر لها بأن ما أحست به لم يكن
استثانة بقدر ما كان إضراباً غريباً لسهولة انصافها! لقد كانت روزالين
- بالأكيد - بسيطة بشكل غريب.

نهضت الفناء عن المكتب وجاءته إليها. حاملة بيدها الشيك
بارشاك وقد بدأ أنها هي من استولى عليه المخرج الآن. قالت. أوجو
لقد يكون هذا مناسباً. انى أسفة حقاً

أخذت أدبلا الشيك، ونظرت إلى الخط الطغولي الغر وقد
خريش على الورق الأحمر: «السيدة مارتشمونت. خمسة جنيه

- إنه لطف بالغ منك يا روزائين شكراً لك.

- أود جداً. أعني أنه كان ينبغي علي أن أفكر بكم.

- إنه لطف بالغ منك يا عزيزتي.

شعرت أديلا مارتشمونت - بعد أن أصبح الشيك في يدها -
بأنها امرأة مختلفة. لقد كانت الفتاة حقاً في معنى اللطف إزاء هذا
الامر. سيكون من المخرج إحالة المقابلة. ولذلك ودعتها وأخرجت
صادقت ديفيد في معنى التحديقة فكانت يمسرون. أسعدت صبيحاً.
ومضت بسرعة

• • •

الفصل السادس

سأل ديفيد فور دخوله ما الذي كانت تفعله السيدة هنا؟

- آه يا ديفيد، لقد أرادت مالا كمحاجة ماسة فظيعة. لم أنجيل
أبداً..

- وأحبب أنك أعطينها.

ثم نظر إليها بشيء من اليأس المداعب وقال: ينبغي أن لا ألتق
بك يا روزائين

- آه، ديفيد. ثم يمكن بومسي الرفض ففي النهاية...

- هي نهاية ماذا؟ كم أعطينها؟

تمتمت روزائين بصوت خافت: خمسمئة جنيه.

كان من دواعي ارتياحها أن ديفيد قد ضحك قبل أن يقول.
مجرد عضة يرغوث طفيلي!

- آه، ديفيد، إنه مبلغ كبير!

- ليس كبيراً بالنسبة لنا الآن يا روزائين. يبدو أنك لم تدركي

حقاً بأنك امرأة غنية جداً. ومع ذلك، فإن كانت قد ظلمت خمسمئة
فقد كان من شأنها أن تفتح ثمانية مئتين فقط عليك أن تمنحني ثلثة
الاقتراض!

تمتعت قائلة: إنني أسفة يا ديفيد.

- يا فتاتي العزيزة، إنه مالك وحدك في نهاية الأمر.

- إنه ليس مالي في حقيقة الأمر.

- لا أهدني هذه الممزوجة من جديد. لقد مات غوردون كلود
قبل أن نتاح له كتابة وصية. هذا ما يسمى حظ اللعنة. نحن كسب - أن
وانت - والآخرون خسروا!

- لا يبدو ذلك... عدلاً

- هيا يا أغني الغالية الجميلة روزالين، ألا تستعجن بهذا كله؟
بيت ضخم، وخدم، وجواهر؟ أليس هذا محلاً لحق؟ أليس كذلك؟
الحمد لله، أحسب أحياناً أنني سأفقد لأجد الأمر حليماً.

ضحكت معه. وأحس بالرضا بعدما راقبها من كتب. كان
يعرف كيف يتعامل مع أخته: كان يرى أن من غير المفيد أو المناسب
أن يكون لها ضمير. ولكن الأمر كان كذلك قائت. صحيح تماماً
يا ديفيد أن الأمر كان محله أو كفضة سيمائية. إنني أتمتع بذلك كله
فعلاً، أتمتع حقاً.

حذرهما قائلاً: ولكن ينبغي أن نحافظ على ما نملكه. لا مبيع
بعد الآن لأسرة كلود يا روزالين. إن كل واحد منهم يملك من المال

أكثر بكثير مما كنت أملك أنا أو أنت.

- نعم. أظن ذلك صحيحاً.

سألها: أين كانت لبن هذا الصباح؟

- أظنها ذهبت إلى منزل لونج ويلوز.

إلى لونج ويلوز، لروثة راوولي الأبله الأحمق! نلشت روح
الدعاية لديه. هل هي - إذن - مصممة على الزواج بالرجل؟

خرج من المنزل معكر المزاج ومضى عبر مجموعة كثيفة
من نبات الأزاليا، ثم خرج من البوابة الصغيرة عند قمة التلة. كان
الطريق الترابي ينحدر من هناك إلى أسفل التلة مروراً بمزرعة راوولي.
وفيما كان ديفيد يقف هناك رأى لبن ترتقي قادمة من المزرعة. تردد
لحظة، ثم اتخذ وضع المشاكسة والخصام نزولاً لمقابلتها. التقى
الاثنتان عند درج ترابي في منتصف التلة. بادرها ديفيد قائلاً: صباح
الخير. متى العرس؟

- لقد سألت ذلك من قبل، وتعرف مواعده تماماً إنه في
حزيران.

- وهل أنت ماضية به حتى النهاية؟

- لا أدري ما الذي تعنيه يا ديفيد.

قال: آه، بنى، إنك تعرفين! ثم ضحك ضحكة أزدراء وقال:
راوولي؟ وما هو راوولي؟

قلت باستغفاف: إنه أفضل منك المسه إذ كنت تحرق.

- ربما كان أفضل مني - ولكنني أجرح بالأكيد. إتني أجرح عنى
أني شيء في سبيلك يا لين.

صمت لحظة ثم قالت أخيراً: أنت لا تدرك أنني أحب
راولي.

- ليتني أصدق

قلت بحماسة: أقول لك إنني أحبه، أحبه.

نظر إليها ديفيد متفحصاً ثم قال: نحن جميعاً نرى صوراً
لأنفسنا صوراً لأنفسك كما نريدها أن تكون. إنك ترون نفسك محبة
لراولي، مستقرة مع راولي، تعيش مع راولي مفتحة به ولكن ذلك
لا يمثل نفسك الحقيقية. اليس كذلك يا لين؟

- أه، ما هي نفسي الحقيقية؟ بل ما هي نفسك الحقيقية ان
كان لنا أن نتكلم في ذلك؟ ما الذي نريده أنت؟

- كان من شائي أن أقول إنني نريد الأمان. والهدوء بعد
الغصقة، والراحة بعد التعب. ولكني لا أدري أشك أحياناً يا لين
يا لن - أنت وأنت - نريد التحديد.

ثم أضاف باكتئاب: أتمنى لو لم تأتي أبداً إلى هنا. لقد كنت
سعيداً تماماً حتى جئت أنت.

- أأست سعيداً الآن؟

نظر إليها، فشعرت بالانفعال بتصاعد داخلها. وتسارعت
أنفاسها ثم يسبق لها أن أحست بالاجذاب ديفيد المكتئب القريب
لها بهذه القوة. مديده بسرعة وأمسك يكتفها وأدارها... بعدها،
ومضى السرعة. أحست بغيضته تترامح وهو يحدق خلفها إلى أعلى
الفتلة. أدارت رأسها لترى ما الذي لفت انتباهه. كانت امرأة تعبر لتوها
البوابة الصغيرة لمنزول قوروبانك. قال ديفيد بحدة: من هذه؟

- إنها تدعو فرانسيس.

- فرانسيس؟ وما الذي تريده فرانسيس؟ يا عزيزي لين!
لا يأتي لزوجة ووراثين إلا أولئك الذين يريدون شيئاً. وقد أنت
والدتك لزوجتها صاحب اليوم.

- أمي؟

تراجعت لين لتخلف وقطعت جيبتها وقالت: ما الذي أراده؟

- ألا تعرفين؟ أرادت مالا.

- مالا؟

تصلبت لين، فقال ديفيد: وأخذته كما أرادت.

كان الآن يتسم ابتسامته الباردة القاسية التي كانت تناسب وجهه
تماماً. كانا قبل دقيقة أو دقيقتين قريبين كل من الآخر. أما الآن فهما
على بعد أميال وإيمان تفصيليما الخصومة والنضاد.

صاحت لين: أه، لا، لا، لا!

قندها ساخراً نعيم نعيم نعيم.

- لا أصدق ذلك! كم أخذت؟

- خمسة جنيه.

سحب أنفاسها بحدة، وقال ديفيد مسلياً عجباً، كم ستطلب فرانسيس؟ ليس من الأمن حقاً ترك روزالين بمفردها لحسن دقاتها! الفتاة المسكينة لا تعرف كيف تقول - ولا.

- هل جاء أخرون؟ من غير أمي؟

ابتسم ديفيد ساخراً وقال: النعمة كاتي نهرمت لبعض الديور آه، ليس كثيراً، مجرد متين وخمسين كانت كافية لتعطيتها. ولكنها كانت نخشى أن يصل الأمر إلى مسمع اندكتور!

قالت لين بصوت منخفض: كيف ستكون نظرتك لنا؟

ثم لاجأته إذ انتفت وزكفت مسرعة باضطراب إلى أسفل القبة حيث المزرعة. قطعت جيبه وهو يرفقه: لقد ذهبت إلى روزالي طارت إلى هناك كما تغير حمامة من الحمامة الزاجل عندما تموتها، وقد أوجعه ذلك إلى درجة أكبر مما كان يعترف به.

نظر ثانية إلى أعلى القبة ورفض جيبه مفكراً، ثم قال محذراً نفسه بصوت منخفض: كلاً يا فرانسيس، لن تنالي ما تريدين. لقد اخترت يوماً سيئاً. ثم مشى بإصرار إلى أعلى القبة.

دخل البوابة، ومنى عبر لبتات الأتاليا، ثم عبر المرحلة العسبة في الحديقة ودخل بهذو، مر خلال الباب الزجاجي ثغرة الجنوس

في نفس الوقت الذي كانت فرانسيس تقول: أنصني لو كان بوسعي توضيح الأمر أكثر من ذلك. ولكن الأمر - يا روزالين - عصي جداً على الشرح...

جاء صوت من خلفها يقول: أهو كذلك حقاً؟

انفتحت فرانسيس كلود بعدة. لم تكن فرانسيس - على العكس من أدبلا مارشمونت - قد تقصدت المشور على روزالين بمفردها؛ فقد كان السيلع المطلوب ضخماً بحيث يجعل من المستبعد أن تقوم روزالين بإعطائه دون مشاورة أخيها، بل إن فرانسيس كانت تفضل متلقة الأمر مع ديفيد وروزالين مجتمعين؛ فذلك أفضل من أن يحس ديفيد بأنها حاولت الحصول على مال من روزالين أثناء غيابه من البيت.

لم تسمعه بدخول من خلال الباب الزجاجي المطل على الحديقة، إذ كانت خارقة في طرح قضية يمكن نقلها. وقد أجفاتها هذه المقاطعة، كما أدركت أيضاً بأن ديفيد هنتر كان - لسبب ما - في مزاج سيء جداً.

قالت بنيرة هادئة: آه، ديفيد، إنتي سعيدة لمضورك. لقد كنت أخير وروزالين لتوي. إن وفاة غوردن قد تركت جيري مي في مأزق فظيع، وكنت أتساءل إن كان بوسعها المبادرة للمساعدة والإنقاذ. إن القضية كانائي.

ولسبب الكلام منها بسرعة وهي تتحدث عن المبلغ الضخم المطلوب، ومساندة غوردن التي وعد بها فعلياً، والضوابط الحكومية، والرهونات...

تحدث في أعين عقل ديفيد شيء من الإعجاب بهذه المرأة -
إذ يأتها من امرأة كدوية أشد! لقد كانت فصتها مشددة، ولكنها -
تكن الحقيقة، كلا، وهو مستعد لأن يحفظه شيئاً عن ذلك، على
أنها ليست الحقيقة! وسألت: ترى ما هي الحقيقة؟ هل تورط جيرسي
في مارق مائة لا بد أن يكون يائساً جداً حتى يسمح لفرانيس أن
تأتي وتجرب هذه المسورة الجريئة. وقد كانت فرانيس، أيضاً،
امرأة ذات كبرياء.

قال ديفيد عشرة آلاف؟

تضمنت روزالين بصوت فرح: هذا مبلغ كبير.

سأرث فرانيس إني أقول: آه، أعرف أنه كبير، وما كنت
أظنني ألكم ثلثه! لكن من الصعب جداً جمع مثل هذا المبلغ
ولكن جيرسي لم يكن يبدع الصفقة لو لم يكن معتمداً على دعم
خبرته. أنه ليس سوء الحظ الكبير أنه يموت بخير على هذا النحو
المعاصر.

أقبل ديفيد بصوت بعض، ويتركك جميعاً هكفا في المرأة،
بعد حياة أمة نحت حاد.

ظهرت المتعة سافرة في جيب فرانيس وهي تقول: إنك تعلم
عن الأمور بطريقة تصورية جداً!

- ليس بمقدور روزالين أن تتصرف برأس المال نفسه كما
تعلمين، بل هي تستطيع التصرف فقط بما تتركه الشركة من دخل،
وهي تدفع مبلغاً هائلاً من الجنيهات ضريبة للدخل.

- آه، أعرف، القرائب فظيعة هذه الأيام، ولكن ربما كان
بالإمكان تدبير الأمر، أليس كذلك؟ وسوف نفعل..

قامتها قائلاً: بإمكاننا تدبير الأمر، ولكننا لن نفعل!

التفت فرانيس بسرعة إلى روزالين، وقالت: روزالين،
إنك كريمة...

ولكن صوت ديفيد قطع عليها كلامها: ماذا تحسبون روزالين،
إنتم معشر عائلة كلود؟ بقرعة حظياً؟ كذلك تكالبون عليها، تلهجون،
وتطلبون، وتشجعون، وحلف ظهرها تسخرون منها وتعاملونها
بقرعة وتكرهونها، بل وتتمنون موتها.

صاحت فرانيس: هذا ليس صحيحاً!

جس صحيحاً؟ لقد مشتكم جميعاً، وهي مشتكم جميعاً!
لن تتلوا من مالا، ولذلك توقفوا عن المجيء والتباكي في طلبه؟
هل فهمت؟

كان وجهه قد اسود حقاً وغضاً وقت فرانيس وقد هذا
وجهها كالحجر لا تعبير فيه. ليست قفازاً جندياً بشرد ولكن عن
قصد، ولكنه كان تصرفاً ذا مغزى. ثم قالت: لقد أوضح ما تعبه
تمام التوضيح يا ديفيد.

تضمنت روزالين: إني أسفة، إني حقاً أسفة.

ثم تعرها فرانيس اهتماماً، وكأن روزالين لم تكن في الغرفة.
وسارت خطوة باتجاه الباب الزجاجي ثم توقفت مواجهة لديفيد

وقالت: لقد قلت إنني أكره روزالين، وهذا ليس صحيحاً. فلماذا لم أكره روزالين أبداً... ولكنني أكرهك أنت!

سألتها وهو يحدق إليها عابساً: ماذا تقصدين؟

قالت: إن علي النساء أن يعيشن. لقد تزوجت روزالين رجلاً غنياً جداً يكبرها بسنوات. وماذا في ذلك؟ ولكن أنت! أنت تعيش على حساب نفسك، تستغل كل شيء، تهملك وتعيش حياة رغيدة على حسابها.

- إنني ألق حائلاً بينها وبين الطعامين

وقفت الاثنتان يتبادلان النظرات. كان يدرك غضبه. ولمعت في ذهنه فكرة أن فرانيس كلود عدو خطير، عدو ربما كان -في نفس الوقت- متهوراً ومنهراً لا وازع لديه

وعندما فتحت معها لتتكلم بلغ به الأمر أن شعر ملحظة من الخشية والخوف. ولكن ما فاته لم يكن رسم عن أي موقف. سأندكر ما قلته يا ديفيد. ثم تجاوزته وخرجت من الباب الزجاجي

تساءل: لماذا شعر بقوة بأن كلماتها كانت تنطوي على تهديد؟

كانت روزالين تصيح: أه ديفيد، ديفيد! ما كان عليك أن تقول لها تلك الأشياء. إنها -من بينهم جميعاً- الأنثى معي.

أجابها غاضباً: اسكني أيتها الحمقاء. هل تريدنيهم أن يستهينوا بك كثيراً ويستنزفوا كل جنيته تملكينه؟

- ولكن المال... ماذا إن لم أكن أملكه من حق؟

ثم ما لبثت أن تراجعت أمام نظراته وقالت: إنني... لم أقصد ذلك يا ديفيد.

- هذا ما أمله.

ثم فكر بأن الضمير هو الشيطان بعينه! لم يكن قد حسب حساباً ضمير روزالين هذا. ومن شأن ذلك أن يجعل الأمور عبثة جداً في المستقبل

المستقبل؟ نجهم وجهه وهو ينظر إليها وترك أفكاره ترح. مستقبل روزالين، ومستقبله هو لقد كان دوماً يعرف ما يريد، وهو الآن يعرف ماذا يريد. أما روزالين؟ فما هو المستقبل الذي ينتظر روزالين؟

وفيما ازداد وجهه نجوماً صاحبت هي وقد أخذت فجأة ترتجف: أه! إن شخصاً ما يحفر لي قبراً.

قال وهو ينظر إليها باستغراب: إذن فقد أدركت أن الأمور قد تصل إلى هذا الحد.

- ما الذي تعنيه يا ديفيد؟

- أعني أن خمسة أشخاص أو ستة لديهم كل الأسباب لكي يستعملوا دفعك إلى قبرك قبل أن يحين أوان رقودك فيه!

- لا أظنك تعني... القتل؟!

كان صوتها منعاً ثم قالت: أظن أن هؤلاء الناس يمكن أن يقتلوا! لا أظن أن ألباساً لطفاً مثل عائلة كلود يمكن أن يقتلوا ذلك.

- أظن بأن النطقاء من أمثال عائلة كلود هم فعلاً الذين يقدمون على القتل، ولكنهم لن ينجحوا في قتلك طالما أنا هنا أعني بك. إذ سيضطرون إلى إبعادني عن طريقهم أولاً. ولكن إن نجحوا في إبعادني عن طريقهم فعليك أن تحذري على نفسك.

- ديفيد، لا تقل مثل هذه الأشياء الغريبة.

أمست بذراعيها وقالت اسمعي. إن حدث أبداً ولم أكن هذا. داعثني بنفسك يا روزالين! فالحياة ليست آمنة. تذكرني... الأمر خطير. خطير جداً. واسي أرى أنه خطير بشكل خاص بالنسبة لك.

• • •

الفصل السابع

- راؤولي، هل نسمح بإفراضي خمسة جنيه؟

حديق راؤولي إثني خطيته لين. وقد رفقت هناك نلث من الركنس ووجهها شاحب وفيها مفتوح. جلس كمن يريد تهدئتها. ثم قال وكأنه يخاطب حصاناً: هيا، هيا امدني يا امرأة. ما الأمر؟

- أريد خمسة جنيه.

- أنا شخصياً بحاجة لمثل هذا المبلغ أيضاً في الواقع.

- راؤولي! أنا أتكلم بجدية. ألا تستطيع إفراضي خمسة جنيه؟

- أنا أصلاً مدين للمصرف؛ فذلك الجزار الجديد...

قاطعته لين وهي تنحي بإشارة من يدها تفصيلات المزرعة: نعم، ولكن بوسعك جمع المال بطريقة ما... إذا ما اضطرت لذلك، ليس كذلك؟

- لماذا تريدان المبلغ يا لين؟ هل أنت في ورطة ما؟

- أريد من أجله

وأشارت إلى الخنثى يتجه المنزل الضخم في أعلى التلة

- من أجل هتتر؟ ولماذا بالله عليك؟

- إنها أمي! لقد اقترضت منه. إنها... إنها في مأزق مالي.

قال راوولي بشيء من التعاطف: نعم، توقعت ذلك، فقروا

صعبة! ليتني أستطيع المساعدة قليلاً ولكنني لا أستطيع

- لا أستطيع تحمل اقتراضها من جديد!

- كفي من ذلك يا عزيزي. إن روزالين هي - عملياً - من يدفع

التقود ثم لم لا؟

- لم لا؟ أقول، ألم لا، يا راوولي؟

- لا أرى سبباً يمنع روزالين من المبادرة للمساعدة من

وقت لآخر. لقد وضعنا غوردون المجهز جميعاً في مأزق نظير

معه للاستعداد، وذلك بعدم كتابته توصية. ونو ثم شرح الموقف

لروزالين فلا بد أن ترى بنفسها بأن الأمر يتطلب بعض المساعدة

- لا أظنك اقترضت منها؟

- أنا لم أفعل. ولكن ذلك الأمر يختلف؛ إذ لا يمكن أن أذهب

وأطلب المال من امرأة. هذا أمر لا يحب المرء الإقدام عليه.

- ألا تستطيع أن تفهم بأنني لا أحب أن أكون... أن أكون مدينة

بفضل نديفيد هتتر.

- ولكنك نمت مدينة له بأي فضل، فالمال ليس ماله.

- بل هو - بالضغط - ماله عملياً؛ فروزالين طوع بئانه كلباً.

- آه، صحيح ولكنه ليس ماله قانوناً.

- وأنت لا تريد. لا تستطيع... بفرضي بعض المال؟

- اسمعي الآن يا لين. لو أنك كنت في ورطة حقيقية ما (من

قبل الانباز أو الذهن) فربما كان يوسمي أن أبيع جزءاً من الأرض

أو الماشية. ولكن من شأن ذلك أن يكون إجهاداً باتساً صعباً فانا

- في وضعي انراهن - لا أكاد أستطيع المحافظة على سير الأمور.

ومسبب عدم معرفة ما ستأتي به هذه الحكومة، والتقيود في كل ركن

وزلوية والاستبدادات التي أغرق بها وأبلى أحياناً حتى متصف النبل

كي أملاها... كل ذلك كثير على رجل واحد.

فالت لين بصرارة: آه، أعرف. لو أن جوني لم يقتل!

- دعي جوني خارج الموضوع. لا تشكلي في ذلك!

حدفت إليه ذهشة. كان وجهه أحمر محتقناً وبدأ أن الغضب

أخرجه عن طوره. دارت لين ومضت بهمة عائدة إلى وايت هاوس.

- ألا يمكنك إعادتها يا ماما؟

- آه يا حبيبي لين! لقد ذهبت بالمبلغ مباشرة إلى المصرف،

ثم دفعت بعدها ديون آرثر وبودغام ونيويرث. لقد أصبح نيويرث

في الفترة الأخيرة نحوها مزعجاً آه، يا عزيزتي، لو تعرفين حجم
الارتياح! لم تكن قادرة على النوم نياماً طويلاً. لقد كانت روزاثير
-حشاً- بالغة التفهم والنظف في هذا الأمر.

قالت لين بمرارة: وأنت هي أنك ستفهمين إليها المرة ثلث المرة
بعد الآن

- أأمل أن لا يكون ذلك ضرورياً يا عزيزتي. سأحاول أن أكون
اقتصادياً جداً، وأنت تعلمين ذلك، ولكن كل شيء ياهظ الثمن في
هذه الأيام، والأمور تزداد سوءاً كل يوم.

- نعم، ونحن أيضاً ستردد سوءاً كل يوم ونحصى في
الاستعداد.

نعمز وجه أديلا وقالت: لا أظن ذلك وصفاً خفيفاً للأمر
يا لين. فكما شرحت لروزاثير، لقد كنا دوماً نعتمد على غوردون
قالت لين: ما كان علينا أن نعتمد عليه. هنا يكمن الخطأ. ما
كان علينا ذلك. لم أخطأت: إنه محقق في "مختراته"

- من الذي يحقرنا؟

- ذلك الكوي، ديفيد هنتر

قالت السيدة مارشمونت بشيء من الكرامة: لا أرى أهمية لهذا
لما يفكر به ديفيد هنتر. ومن حسن الحظ أنه لم يكن في غوردونك
هذا الصباح: قلنا أظن أنه لو كان هناك لغير رأي تلك الفتاة، فهي
"بالطبع" طويلاً بقاته تماماً.

عدلت لين وفتحتها من قدم لآخر وقالت: ما الذي قصدته يا أمي
عندما قلت في ذلك الصباح: "إن كان حقاً أخاه؟"

قالت السيدة مارشمونت وهي معرجة قليلاً: آه، تلك العبارة،
حشاً، لقد انتشر قدر معين من الشائعات...

اكتفت لين بالانتظار المتسائل، فتحدثت أمها وقالت: ذلك
النوع من الشائعات، النوع المفسر (وبالطبع فإن غوردون المسكين قد
تحدث تماماً)... هذا النوع يكون لديهم دوماً... يكون لديهم شهاب
خاص بهم خلف الستار. افترضني أنها قالت لغوردون إن لديها أخاً،
وأبرقت لهذا الأخ المزعوم في كندا أو حيث هو، وظهر هذا الرجل.
لقد بقي لغوردون أن يعرف أكان أخاه حقاً أم لا؟ المسكين غوردون، لقد
ثوqe بها تماماً دون شك، وصدق كل ما قالته. وهكذا فإن "أخاه"
جاء معهم إلى إنكلترا وغوردون المسكين في غفلة تامة من أمره.

قالت لين بغسوة: لا أصدق ذلك، لا أصدق ذلك.

رفعت أمها حاجبها دهشة وقالت: عجباً لك يا عزيزتي!

- إنه لا يبدو من هذا النوع. وهي... هي أيضاً ليست من هذا
النوع. ربما كانت حمقاء مخفلة، ولكنها لطيفة طيبة. نعم، إنها لطيفة
بلا ريب، وهذه الإشاعات لا تعدو أن تكون من نسج عقول الناس
القليلة. إنني لا أصدق هذه القصة.

قالت السيدة مارشمونت بوقار: لا حاجة حقاً لأن تصرخي.

* * *

برتقالية وخضراء زاهية، وكانت البساطة المصطنعة للثوب قد كلفت من المال أكثر مما يمكن لرأولي أن يتخيله.

كان قد اعتاد على رؤيتها دوماً مرتدية ثياباً غالية الثمن، وكانت تلبسها بشيء من التصنع تكاد معه تشبه - كما تحيل إليه - عارضة أزياء لا تعرض ملابس لها بل للشركة التي تعمل لديها.

أما هذا المساء فقد بدا أنه يرى نشأة جديدة، بهذه التقاليد المرضية الزاهية الفلاحية لثوبها. كان أصلها الإيرلندي أكثر وطوعاً يشهرها الأسود المعقوص، وحبيها الزرقاوين الجميلتين، وحتى صونها كان ذا نبرة إيرلندية أنعم من الثيرات الحجرة المصطنعة التي كانت تحدث بها عادة. قالت: إنها أمسية جميلة جداً، ولذلك جئت للقيام برحلة على الأقدام.

ثم أضافت: لقد ذهب ديفيد إلى لندن.

قالت ذلك بشكل يكاد يظهر فيه تعبير عن الشعور بالذنب، ثم تورد عداها وأخرجت من حقيبتها علبة نقانات التبغ. قدمت لفافة لرأولي، ولكنه هز رأسه معتزلاً ثم أخذ يبحث عن نقاب ليضع لها لفافتها فيما كانت تقدم - دون نجاح - فداحة صغيرة ذهبية ظاهرة التفخامة أحدها لرأولي منها. وبحركة سريعة قوية اشتعلت.

خطت ووزائين خطوة إلى الوراء وقالت بإعجاب: إنه رائع ذلك العجل الذي تمتلكه، هناك في الحقل الأول.

بدأ رأولي - وقد أدهشه اهتمامها - يتحدثها عن المزرعة. لقد فوجئ باهتمامها، ولكن بدا واضحاً أنه اهتمام أصيل وليس مصطنعاً.

الفصل الثامن

بعد أسبوع من ذلك وصل قطار الساعة الخامسة واثنت إلى محطة ورمزلي حيث، ونزل منه رجل برونزي اللون، طويل القامة يحمل حقيبة ذات حمالات مشدودة إلى ظهره.

وعلى الرصيف المقابل كان عدد من لاهي العولف ينتظرون القطار المنجى إلى العاصمة. سُم الرجل الطويل المتحمي بهافنه وخرج من المحطة وقف لحظات حائراً. ثم رأى الشاحنة التي كتب عليها «مضيف نراي إلى ورمزلي فيل» فوجه بسلامت الانحاء بحضرة سريعة مصممة.

• • •

في منزل لونج ويلوز كان رأولي كلود قد انتهى اليوم من إعداد كوب من الشاي لفسه عندما وقع على مائدة المطبخ مثل جعله برقع نظره ولكن حسب - لأول وهلة فقط - أن الفتاة التي تفزع نفسها حين الباب هي ليس، فإن نوبة أمه تحولت إلى دهشة عندما رأى أن الفتاة هي روزالين كلود.

كانت ترتدي ثوباً من قماش فلاحى ثقله بخطوط عربية

وقد وجد -تدهشته- أنها كانت تلبس شوارب المزراع - وقد تحدثت
عن صنع الزبدة وإنتاج الألبان بكل ثقة.

قال مبتسماً: بوسعك أن تكوني زوجة مزارع يا روزالين.

فارتدت الجبوبة وجهها وقالت: كانت لنا مزرعة في أيرلندا قبل
أن أتى إلى هنا، قبل ..

- قبل أن تذهبي للعمل في المسرح؟

قالت باكتئاب وبهدوء خفيف - كما بدأته - من الشجور بالغضب
ثم يكن ذلك منذ وقت طويل جداً أتذكر ذلك كنه جيداً. ثم أضافت
بومضة حيوية: بوسي أن أحلب لك بقراتك يا راوولي. الآن.

كانت تلك امرأة مختلفة تماماً عن روزالين التي عرفها. هل كان
من شأن ديفيد حتى أن يوافق على هذه الإشارات التعريضة للماعز
الدلاحي؟ لا يظن راوولي ذلك. فالانطباع الذي يحاول ديفيد إعطاؤه
هو التمازج - وأخته - إلى طبقة هؤلاء الأراضي الإيرلندية القديمة
وفكر راوولي بأن ما يراه الآن من روزالين هو الأغرب إلى الحقيقة.
حياة زراعية بسيطة، ثم إغراء المسرح، ثم المجموعة السياحية
المتوجهة إلى جنوب أفريقيا والزواج والعزلة في أفريقيا الوسطى
والهرب، ثم فجأة، ثم الزواج أخيراً بملبورن في نيويورك.

نعم، لقد قطعت روزالين حتى شوطاً طويلاً منذ أن حليت
آخر بقرة. ومع ذلك فإنه وحده من الصعب - وهو ينظر إليها - أن
يصدق أنها قطعت حقاً كل ذلك الشوط. فقد كان يشرح في وجهه
ذلك التعبير البشري الذي يشي بنقص الذكاء. كان وجهها وجه امرأة

ليس لها أي تاريخ. كما بدت صغيرة جداً، أصغر كثيراً مما تعطىها
أهوامها السنة والعشرون.

كأن فيها شيء ما يجذب المرأة؛ كان لها نفس تلك الخاصية
المثيرة للشفقة التي رآها في العجول الصغيرة التي قادها إلى العجوز
ذلك الصباح. نظر إليها كما نظر إلى تلك العجول عندما فكر: يا لهذه
العجول المسكينة. من المؤسف أنها لا بد أن تُقتل!

بدت في عيني روزالين نظرة دعر. سألت بتلميح: ما الذي
تفكر فيه يا راوولي؟

- أترغبين بتفقد المزرعة ومشغل الألبان؟

- آه، إنني أرغب بذلك حقاً.

صحبها -وقد سرَّ باهتمامها- في كل أنحاء المزرعة. ولكن
عندما اقترح أخيراً أن يهد لها كوباً من الشاي بدا في عينيها تعبير دعر
وقالت: آه، لا، شكراً يا راوولي. الأفضل أن أعود إلى البيت.

ثم نظرت إلى ساعتها وقالت: آه، نكتم تأخر الوقت! سيحود
ديفيد في قطار الخامسة والثلاث فيسأله عن مكان وجودي. عليّ...
عليّ أن أسرع. ثم أضافت بحجل: لقد استمتعت حقاً يا راوولي.

فكر راوولي بأن ذلك كان صحيحاً؛ فقد استمتعت واستطاعت أن
تكون طيبة وتصرف على سجيته البسيطة البعيدة عن التصنع.

كان واضحاً أنها خائفة من أخيها ديفيد. لقد كان هو العقل
المفكر في العائلة. حسناً، لقد قضت -ولو لمرة- أمسية خارج

المتزل. نعم، هكذا كان الأمر. أمية خارج المنزل، تعلمنا كما نطلب
خدم المتزل! وهي هذه السيدة الثرية!

انهم يحكمهم وهو واقف قرب البوابة يراقبها فيما هي تصعد
السلطة بخطى حثيثة باتجاه منزل فوروينك، وقبل أن تصل إلى الدرج
المخصص لعبور السياج ظهر رجل في أعلاه. وتساءل راوولي إذا كان
ذلك هو ديفيد، ولكن الرجل كان أكبر وأضخم جسماً. تراجعت
روزالين لتفصح له المجال، ثم سعدت الدرج قفزاً وحضت وعطواتها
تصارع حتى تكاد تركض.

نعم، لقد قضت أمية في إجازة. وهو - راوولي - أصبح أكثر
من ساحة من الوقت الثمين! حسناً، ربما لم يكن ذلك هدواً. وفكر
"لقد بدا أن روزالين سعدت بصحبتها. ربما كان ذلك مفيداً يوماً ما.
أمر رائع، نعم، كما أن المعجول كانت رائعة أيضاً هذا الصباح... تلك
الحيوانات البائسة.

وبينما كان واقفاً هناك غارقاً بأفكاره جعل إذ سمع صوتاً ورمع
رأسه بحدّة كان يقف على الممشى، في الجانب الآخر من البوابة،
رجل ضخم يضع قبعة عريضة من اللباد وقد علق حقيبة على كتفه.

- هل هذا هي الطريق إلى رومزلي فيل؟

ثم كرر سؤاله وراوولي يحدق إليه. استعداد راوولي - بعد جهد -
أفكاره وأجاب: نعم، استمر مباشرة في هذا الطريق، عبر ذلك الحقل
التالي، ثم استدر يساراً عندما تصل إلى الطريق، وسوف تجد نفسك
في القرية في غضون ثلاث دقائق.

كان قد أجاب بنفس هذه الكلمات على السؤال نفسه مئات

المرات. إذا كان الناس يسلكون الطريق التالي من المحطة ويستمرون
فيه صعوداً إلى القمة، ثم يفقدون ثقتهم بالطريق عندما يتحدرون من
الجانب الآخر فلا يرون أي أثر للقرية لأنها - من هنا - محجوبة عن
الأنظار مرمية هناك في وادٍ خلف القمة.

السؤال الثاني لم يكن سؤالاً عادياً كسابقه، ولكن راوولي أجاب
عليه دون حيل تفكير: إما فندق ستاغ أو فندق بيلز أند موللي.
يمكنك اختيار ستاغ، فهما بنفس الدرجة من الجودة... أو من السوء.
أظنك ستجد غرفة شاعرة بالكيد.

حملة السؤال على النظر بتركيز أكبر إلى محدثه، فالتاس في
هذه الأيام يحجبون الغرف مسبقاً في أي مكان يذهبون إليه في
العادة. كان الرجل طويلاً ذا وجه بردي ولحية وعينين شديديتي
الزرقة وكان يشارب الأربعين من عمره، حسن المظهر ولكن يبدو
عليه بعض الفسرة والتهور. وربما لم يكن وجهه - عمومًا - بالوجه
الذي ليصح لداخلك إليه.

فكر راوولي بأن هذا الرجل يبدو كمن جاء من بلاد بعيدة،
وتساءل إن كان قد لاحظ شيئاً من نهضة أهل المستعمرات أو ساكنيها
في طريقة كلامه. وكان من الغريب - بشكل ما - أن الوجه كان مألوفاً!
لن عساه رأى ذلك الوجه من قبل، أو رأى وجهاً يشبه كثيراً؟

وبينما كان حائرًا في التفكير بتلك المشكلة دون جدوى فاجأه
الرجل الغريب مائلاً: هل تستطيع إخباري إن كان يوجد - بالقرب
من هنا - بيت يدعى فوروبانث؟

أجاب راوولي ببطء: نعم، هناك في أعلى التلة. لا بد أنك مررت

بجانبه... إن كنت قد سكت الطريق انترابي من المحطة.

- نعم، لقد سكت ذلك الطريق.

ثم التفت وهدق إلى أعلى التلة. وأضاف: إذن فذلك هو البيت... ذلك البيت الضخم الأبيض الذي يبدو جديداً.

- نعم، ذلك هو.

- بيت ضخم لا بد أن العناية به تكلف الكثير.

وذكر راوولي قائلاً لنفسه: أتكلم الكثير جداً... ومن مائة نحن! وثارت داخله حيرة غضب جعلته ينس نفسه لبرهة، ولكنه سرعان ما عاد إلى نفسه ليجد الرجل الغريب ينظر إلى أعلى التلة وهي حبه نظره تأمل غريبة، ثم ما لبث أن سأل: من الذي يعيش هناك؟ أهي سيدة تدعى السيدة كلود؟

- نعم، أرملة الراحل غوردن كلود.

رفع الغريب حاجبيه، وبدأ كسر رافقت له المعلومة ثم قال: آو، أرملة غوردن كلود، ذلك رائع بالنسبة إليهما؟ ثم هر وأسه قليلاً وأضاف: شكراً يا صاحبي.

عذل من وضع التحفة التي يحملها ومضى باتجاه ورمزني قبل. والتفت راوولي وعاد بعده إلى مزرعته وعقله ما يزال حائراً في أمره.

تألاً: أين عساه رأى ذلك الرجل من قبل؟

• • •

في نحو التاسعة والنصف من تلك الليلة نَحس راوولي جانباً كومة من الاستمارات التي كانت تغطي طاولة المطبخ ونهض. نظر -وهو شارد الذهن- إلى صورة لين الموضوعة فوق حافة المرفد، ثم غادر المنزل مقطب العجين.

بعد عشر دقائق دفع راوولي باب مقهى فندق شاغ. ابشمت نحية له بياتريس ليبينكوث وهي تقف خلف طاولة خدمة الزبائن. كانت الأئمة ليبينكوث ترى في راوولي كلود رجلاً حسن الهيئة.

تبادل راوولي الملاحظات المعتادة مع الحاضرين في المقهى، وصدرت تعليقات تناوت الحكومة والطقس وشؤوناً أخرى مختلفة.

بعدها، اقترب راوولي قليلاً بحيث أصبح قادراً على مخاطبة بياتريس بصوت منخفض وقال: هل استأنتم غريباً هنا؟ رجلاً ضخماً بفتحته مُهذلة الحاشية؟

- نعم يا سيد راوولي. جاء في نحو الساعة السادسة، أهدا الذي نصيه؟

أوما راوولي بالإيجاب، وقال: مز قرب مزرعتي، وسأل عن الطريق.

- نعم، يبدو أنه غريب.

- أتمنى: من عساه يكون؟

نظر إلى بياتريس وأبشمت بياتريس بدورها قائلة:

ذلك سهل يا سيد راؤولي إن كنت ترغب بمعرفته.

انحنت خلف طاولة الخدمة، ثم عادت لشغف ومعيها مجلد جلدي ضخم يُسجّل فيه أسماء القادمين للإقامة في الفندق فتحتة وقلبت إلى الصفحة التي تضم أحدث ما تم تسجيله من زوار. وكان آخر ما سجل على النحو التالي: «إيتوك أودن. كيب تاون، بريطاني».

الفصل التاسع

كان الصباح راتماً يُسمع فيه نغريد الطيور حينما نزلت روزالين لتناول إفطارها بشيها الفلاحية الشبنة وهي تشعر بالسعادة، وبدء أن الشكوك والمخاوف التي نفضت عليها عيشها في الآونة الأخيرة قد تلاشت. كان ديفيد ذا مزاج جيد، يمازحها ويضحك، وكانت زيارته إلى لندن في اليوم السابق قد حققت نتائج مرضية. وقد استمتع الاثنان بإفطار حسن الإعداد حسن التقديم. وعندما أكملوا إفطارهما وصل البريد.

كان في البريد سبع رسائل أو ثمان لروزالين، تضم فواتير ونداءات خيرية، وبعض الدعوات المحلية... ولم يكن فيه ما يشير اعتماداً خاصاً. نحي ديفيد قانونيين صغيرين جانباً وفتح المظلف الثالث. كانت الرسالة -شأنها شأن المظلف الخارجي- قد كتبت بأحرف كبيرة واضحة:

عزيزي السيد هنري.

أرى من الأفضل أن أحاطبك أنت وليس أختك السيدة كنود. خشية أن تشكل محتويات هذه الرسالة نوعاً من العدمة لها. إنني -باختصار- أمتلك معلومات عن

الكاتب روبرت ندرمي وحدا كانت أنتك سعيدة
بسماعها. إنني أقبه في فندق ستار، وإذا ما زرتني هناك
هذا المساء، فذاكرت سعيداً بمناقشة الأمر معك.

المخلص بيوتك أردو

خرج صوت ديفيد هتر محتوفاً من حجرة. رفعت روزالين
نظرها مبسمة، ولكن وجهها سرعان ما تحول لظهور فيه الذعر
قالت: ديفيد، ديفيد... ما الأمر؟

مد يده إليها بالرسالة عاجلاً، فأخذته وقراها. ثم قالت
وتنكر... ديفيد، إنني لا أفهم ما الذي تعنيه الرسالة؟

- برسمك أن تقرني، أليس كذلك؟

نظرت إليه بهلع وقالت: ديفيد، هل يعني ذلك... ما الذي
سمعت؟

كان عابساً بحفظ سرعة معناه السريع بعيد النظر قد
لا تمنني يا روزالين، لا داعي لأن تفتني. أنا سأعالج الأمر
- ولكن، هل يعني ذلك أن...

- لا تقلقي يا طففتي الحبيبة. أترك الأمر في أسمعني. هذا ما
ببني أن تفعل به. أتركه على الشو. ودعني أرى لندن أذهب
إلى الشقة. وأبقي هناك حتى اتصل بك. أفهمت؟

- نعم. نعم. أفهمت بالطبع. ولكن يا ديفيد...

- خذي فقط ما أقوله يا روزالين

ثم ابتسم. كان لطيفاً يبعث على الطمأنينة. وأضاف قائلاً:
أذهب وأتركك الحقيقية. سأوصلك إلى الجمعية بوسعتك اللحاف
بظلم الساعة العاشرة والدقيقة الثانية والثلاثين. أخبرني البواب في
مجمع الشقق بأنك لا تريد رؤية أحد. وإذا جاء أحد وسأل عنك
فليقل له إنك خارج المدينة، وأعطه جتهاً إكرامية له. أفهمت؟
يقترضي أن لا يدع أحداً يصعد إليك باستثنائي أنا.

قالت -منفعة- وبداها ترتفعان إلى خديها: آه! ونظرت إليه
يعين حيلتين خائفتين.

- لا تخافي يا روزالين. إن في الأمر حيلة ما، وأنت لست
بالخيرة في التعامل مع التحيل والألاعيب. هذا شأني أنا، وأريدك أن
تكوني بعيدة عن طريقني حتى أنصرف بحرية. هذا كل ما في الأمر.
- ألا يمكنني البقاء هنا يا ديفيد؟

- بالطبع لا يمكنك يا روزالين استخدامي عليك قليلاً. لا بد
أن أملك الحرية كي أتعامل مع هذا الرجل كائناً من كان.
- هل نظري أنه... أن الأمر

- إنني لا أظن شيئاً الآن. الأمر المهم أولاً هو إبعادك عن
الطريق. وبعد ما أستطيع أن أعرف موقفنا. جأ، إنك فتاة طيبة مطيعة.
فلا تجادني.

انصرفت وخرجت من الغرفة. فطرب ديفيد جبينه وهو ينظر إلى
الرسالة في يده. رسالة محايدة تماماً خالية من أي موقف، مؤدبة،
حسنة الصبغة، وتمتثل كل المعاني. ربما كانت تعبيراً عن قلق

واهتمامه أصيل سوف يصعب. ربما كانت نية هذا مضاة لمحتض
عبارته بدقه المرونة نحو المرونة. المعتقدات معنوية عن التكاليف روبرت
أندريه. ان الأسس التي انشأتها أنتاء. ان تكون سعيداً بمعتقدات
الأمم معاً. انشأت السدة كثرودا. بناء لم يعجبه ذلك التأكيد
على نسبة الخطة. السبحة كثرودا.

نظر إلى التوقيع. أينوت أردن. تحرك شيء مما هي عطفه. ذكرى
شعرية. ما بينه من الشعر.

عندما دخل ديفيد قاعة فندق متخ في ذلك المساء. ما
في قاعة أحد كالمادة. رأى على وجهه البسوق. ما كان غدا
عزفة الفيدو. وعمره أجيته تسنى ما كان غدا. الفيدو. ما
قد وجد في الأمام. ما كان غدا. ما كان غدا. ما كان غدا.
الزلا. الفيدو. رأى على وجهه البسوق. ما كان غدا.
سبحه ما فهمه. ما كان غدا. ما كان غدا. ما كان غدا.
المكتب. وقد كنت حزين صغير. ما كان غدا. ما كان غدا.
الكتب المتحركة.

كان ديفيد يعرف. ما كان غدا. ما كان غدا. ما كان غدا.
الحرس أربع مرات أو خمس. فل أن تتفعل أحدهم ويأتي أحدهم.
وقد كانت قاعة فندق متخ. ما كان غدا. ما كان غدا. ما كان غدا.
الوجبات. مبهورة مقفلة. ما كان غدا. ما كان غدا. ما كان غدا.
المرء فقد كان من شأن ثالث فرقة للجرح. أن تجعل الأمانة بيترس.
ليبنكوت تأتي من الشرب غير الممر. ويدها تربت على شعره.

أندريه المشرع إلى الحلفاء. ما كان غدا. ما كان غدا. ما كان غدا.
الزجاجي. وحيث ديفيد باستمارة مبهورة قاتلة. ما كان غدا. ما كان غدا.
الحو. يرد قليلاً بالنسبة لهذا الوقت من السنة. ليس كذلك؟

- بل. أحبه كذلك. هل بقي هذا سيد يدهي أردن؟

- دعني أفكر.

قالت ذلك متظاهرة بعدم المعرفة على وجه الدقة، وهو إجراء
طالما تبعه باعتباره أسلوباً من شأنه أن يزيد من أهمية الفندق. قالت:
آه. نعم. السيد أينوت أردن. العزفة. في الطابق الأول. لن نتعب
في الثير عليها يا سيد هتتر. اصعد الدرج. ولا تمض باتجاه الممر.
بل استدر يساراً. الزلا. ثلاث درجات.

ربما أن اتح. تلك التعليقات المعقدة. قرة ديفيد باب الغرفة
رقه. ما كان غدا. ما كان غدا. ما كان غدا.

دعني. وأهلق الباب خلفه.

خرجت بيترس لينكوت من المكتب وصاحت: أيلي.

استجبت لندائهما قذاة تكتم فقهية سخيفة تحت عينين شاحبتين
كأنهما انحصرم المغلي. قالت لها بيترس: هل لك أن تبقي قليلاً
هنا فعني أن أعني بأمر بعض الشرائف؟

- آه. نعم يا ألسة لينكوت.

ثم أطلقت قهقهة وأضافت: إنني أرى السيد هنتر وعيداً جداً.
ليس كذلك؟

قالت الأنسة لينكوت بلهجة من ستم الحياة: «نعم، لقد رأيت
الكثير من أمثاله أثناء الحرب. طيارون شباب وأنباهم ممن كانوا في
قاعدة الطيران. لم يكن أستطيع أبداً التأكد من صحة ما يمنحونه من
وعود. لديهم طريقة في التصرف تجعل المرء يتق بهم خلافاً لكل ما
تتصحه به مشاعره وغريزته وتكفني - طبعاً - أختلف عن الآخرين في
هذه القضية إذ أن ما يعنيني هو الأصل والمثيرة الاجتماعية. وهو ما
أركز عليه دائماً، فالسيد سيد حتى وإن كان يفود جراراً زراعية».

وبهذا الإعلان الذي بحذب الأنظار تركت يانيس زمينتها
لبلي وصعدت الدروج.



في الغرفة رقم 5 وقف ديفيد هنتر أمام الباب ونظر إلى الرجل
الذي وقع رسالته باسم إينوك أردن.

كان رجلاً في أربعينيات عمره، يبدو من مظهره أنه فمضى
حياة نقلاً ومغامرة. وفي شكله ما يوحي بأنه حُر مكانه أو تروته.
إنه - إجمالاً - زبون محتشم من نوع جديد. هكذا كانت فكرة ديفيد
الأولى عنه. وفيما عدا ذلك، لم يكن من السهل سبر أغوار الرجل
الذي بدا غامضاً.

قال أردن: مرحباً، أنت هنتر؟ حسناً، تفضل اجلس. ماذا
تشرب؟ قهوة؟

لاحظ ديفيد أن الرجل يجلس مرتاحاً، فأمامه غلاية القهوة،
والنار تشتعل في الموقد في هذا المساء الربيعي البارد. ثم تمكن ثيابه
إنكليزية انتفصل، ولكنه كان يرتديها كما يرتدي الإنكليزي ثيابه. كما
أن الرجل كان بالعمر المناسب أيضاً. أجابه ديفيد: شكراً، سأشرب
كوباً من القهوة.

- والشكر؟

- معلقة فقط.

كانا أشبه بكليين إلى حد ما، بناور كل منهما ليحدد موقعه من
صاحبه يدوران حول بعضهما البعض وقد نصلب قنابلهما وانتصب
شعر ظهريهما، ووفقاً مستعدين لأن يصبحا صديقين، ومستعدين
أيضاً لتمريرة والنهش قال أردن: تفضل.

شرب الاثنان من كوبيهما، وأعاداهما إلى المائدة، ثم اصترخيا
لحقتة. انتهت الجولة الأولى. قال الرجل الذي يدعو نفسه إينوك
أردن. هل فاجأتك رسالتي؟

- بصراحة أنا لم أفهمها أبداً.

- حسناً، ربما لم تفهمها.

- فهمت أنك كنت تعرف زوج أختي الأول، روبرت أندرمي.

- نعم. لقد عرفت روبرت حق المعرفة.

كان أردن يسم وينفخ سحياً من التدخان في الهواء وهو
يسترخي بكل. أضاف قائلًا: كنت أعرفه كأفضل ما يمكن لأمري.

أن يعرفه. ولكنك لم تقابله يا هنري. أليس كذلك؟

- نعم: لم أقابله.

- آه، ربما كان ذلك أفضل.

سأله ديفيد بحدّة: ماذا تعني بذلك؟

أجابته آردن ببساطة: يا صديقي العزيز، ذلك يجعل الأمور كلها أبسط بكثير. هذا كل ما في الأمر. إنني أعتمد من طليبي منك المجدى. إلى هنا، ولكنني رأيت من الأفضل إبقاء... إبقاء روزالين خارج الموضوع كله، لا حاجة لأن نسيب لها ألماً هي في غنى عنه.

- هل تسمح بالدخول في الموضوع؟

- طبعاً، طبعاً حسناً، هل سبق لك أن شككت بوجود... بوجود شيء يبحث على الثروة في موت أندرو؟

- ماذا تعني بالله عليك؟

- حسناً، لقد كانت تراود أندرو بعض الأفكار الغريبة إلى حد ما. ربما كان الأمر قروسية وشهامة، وربما كانت لديه أسباب أخرى مختلفة تماماً، ولكن ثقل إنه كانت سنشاً - في لحظة معينة قبل سنوات - متافع معينة لمصلحة أندرو إن لم اعتبره مبنياً. كان ماهرأ في قيادة أهالي البلاد الأصليين، كان دوماً ماهرأ في ذلك لم يكن ليجد صعوبة في ترويع قصة محتملة بكل التفاصيل التي تدعم صحتها وكل ما كان يحتاجه هو المظهر ثانية في مكان يبعد ألف ميل وبأسب جديد.

- يبدو هذا افتراضاً في غاية الغرابة.

- حقاً؟ أهكذا تراه حقاً؟

أبسم آردن، ثم انحنى إلى الأمام وربت على ركة ديفيد قائلاً:

هل لك أن تفترض صحته؟ إيه، هل لك أن تفترض صحته؟

- سيكون من شأني طلب دليل قاطع على ذلك.

- حقاً؟ لا يوجد - بالطبع - دليل نهائي في قطمته. ولكن يمكن

لأندرو هي نفسه أن يظهر هنا في ورمزلي غيل. ما قولك بهذا الأمر دليلاً؟

قال ديفيد بجفاء: سيكون ذلك دليلاً نهائياً على الأقل.

- آه، نعم: نهائي ولكنه محرج قليلاً. أهني بالنسبة للسيدة

كلود. لا يد أن تعرف بأن ذلك سيكون فظيماً بعض الشيء؟

- لقد تزوجت أخني للمرة الثانية بكل الإخلاص والزاهة.

- بالطبع يا صديقي العزيز، بالطبع، إنني لا أجادل لحظة

واحدة في ذلك، ومن شأن أي قاض أن يقول الشيء ذاته. لا يمكن أن يوجه لها أي توم فعلي.

قال ديفيد بحدّة: قاض؟

قال الآخر وكأنه يحتدر: كنت أفكر بتهمة تعدد الأزواج.

سأله ديفيد بقسوة: ما الذي ترمي إليه بالضبط؟

- لا تفعل يا صاحبي، كل ما نريده هو أن نجعل فكرتنا ممأ

لنرى أفضل ما ينبغي فعله بالنسبة لأختك بالنطع. لا أحد يرغب
بالتكبر من الفضائل القادرة. إن أندرهى. إن أندرهى كان دوماً من
النوع الشهم.

ثم توقف قليلاً وأضاف. وهو ما زال كذلك

سأله ديفيد بحدّة: ما زال؟

- هذا ما قلته.

- هل تقول أن روبرت أندرهى حي يروق؟ أين هو الآن؟

- هل تريد حقاً أن تعرف يا هنتر؟ ليس من الأفضل أن
لا تعرف؟ لنقل إن أندرهى -بقدر ما تعرف أنت، وبقدر ما تعرف
روزالين- قد توفي في أفريقيا. جيد جداً، وإن كان أندرهى حياً فإنه
لا يعلم بأن زوجته تزوجت ثانية؛ لأنه لو علم حقاً لكان ظهراً، فقد
ورثت روزالين أموالاً طائلة من زوجها الثاني. رغم أنه ليس من
حسنها -طبعاً- أن تترك أياً من تلك الأموال إن أندرهى رجل يمتنع
بإحساس مرهف بالشرف وما كان ينبغي أن تترك زوجته السابقة
أموالاً من خلال إهداءات ومظاهر كاذبة.

صمت قليلاً ثم أضاف: ولكن من الممكن أن لا يكون لأندرهى
أي عثم بزواجه الثاني. إن المسكين بحاجة سيئة، سيئة جداً.

- ما الذي تعنيه بالحالة السيئة؟

من أردن رأسه بجديّة عابسة وقال: متهازحاً إنه بحاجة إلى
رعاية طبية... إلى معالجة خاصة. وهي -مع الأسف- مكلفة.

وقعت الكلمة الأخيرة وقماً رقيقاً كما لو كانت تقع في تصنيف
خاص بها. كانت هي الكلمة التي كان ديفيد هنتر ينظرها دون وعي
منه. قال: مكلفة؟

- نعم: إن كل شيء -مع الأسف- يكلف أموالاً، وأندرهى
المسكين فعدم عمل، لا يملك في الواقع إلا ما يستر جسمه.

للحظة فقط جالت عينا ديفيد في أنحاء الغرفة، ولاحظ حقيقة
الكثف معلقة على كرسي. ولم يلحظ وجود حفيضة سفر.

قال ديفيد بصوت عدائي: لا أدري إن كان روبرت أندرهى
ذلك البذ الشهم الذي جعلته منه.

سارع الرجل لتأكيد: لقد كان كذلك ذات يوم، ولكن الحياة
-كما تعلم- تجعل المرء يشك في الطبيعة الخيرة للبشر.

توقف قليلاً ثم أضاف برفقة: لقد كان غوردن كلود رجلاً
واسع الثراء، وإن مرأى الثروات الضخمة يوقف في الإنسان غرائزه
الدينية.

نهض ديفيد هنتر وقال: جوابي لك هو: اذهب إلى الجحيم!
قال أردن وهو يسمم محافظاً على رباطة جأشه: نعم، لقد
حييت أنك ستقول ذلك.

- إنك متبرّ منقون... لا أكثر ولا أقل. إن لي من العقل ما
يجعلني أتحدّى زيف هدوئك الخادع.

- أهدأ جزائي على ما أفصيت به إليك؟ يا لها من عاطفة شير

الاعضاء! ولكنك من تكون موتاً إن أنا أنقضت حقه به فدي. ثم في
كنت لا تريد أن تشتري فإن لدي سوقاً آخر.

- ما الذي تعنيه؟

- عدائة كلود الفرض التي ذهبت إليها وقتئذ: أعدوني.
ولكن هل يهينكم أن تعرفوا أن الراحلة روبرت أندري هي حي برزق؟
إنهم سيقفزون فرحاً بذلك يا صاحبي!

قال ديفيد هتو باحتقار: أنت لن تحصل منهم على شيء أبداً
مفلسون مفلسون جميعاً

- أوه ولكن يوجد شيء اسمه نيكيت حسن بيوم حكم
من الأموال النظيفة يوم أن يثبت أن أندري هي حي برزق. وأنه السيد
عزوب كلود ما تزال السيدة روبرت أندري. ون وعية هوية.
كلود أنتي وصاحبها قال: واحد لا رتب لذلك - صاحبه قام -

جلس ديفيد صامداً ليضع دفتراً له حال عدة حفرة
نريد؟

وجد ديفيد أنه بنفس السرعة عن طريق الف

- مستحيل! ليس جوع حقيقي أن نفس شيء من أمم -
البركة! إذ ليس لها إلا فوائد الأموال مدى حياتها.

- عشرة آلاف إن لم يوسعها أن تجمع عشرة آلاف بيرة
لديها جواهر. أليس كذلك؟

جلس ديفيد صامداً ثم قال فجأة: حسناً.

بدأ الرجل الأحمر - ملحظة - حثراً وكان سهولة انتصاره قد
فلجته. ثم قال: ولكن لا شيكات. يدفع المبلغ نقداً.

- يعني أن نعطيك بعض الوقت حتى نحصل على المال.

- سأعطيكما ثمانياً وأربعين ساعة.

- اجعلها حتى الثلاثاء القادم.

قال الرجل: حسناً. ستجلب المال إلى هنا. ثم أضاف قبل
أن يستطيع ديفيد التواء بكلمة: أنا لن أقابلك في غاية موحشة أو
على صفة غير مهيوجة. فلا تفكر بذلك. ستجلب المال إلى هنا
إلى فندق ستاخ. في الساعة من مساء الثلاثاء القادم.

- أمت من الرجال الشكاكين، أليس كذلك؟

- إنني أعرف طريقي جيداً. كما أعرف أمثالك.

- كما قلت إذن

خرج ديفيد من الغرفة ونزل الدرج ووجهه مود غضباً ومن
الغرفة رقم 4 خرجت مياتريس ليكوت. كان يعمل بين الغرفتين رقم 4
و 5 نائب لا يمكن أن يلاحظه ساكن الغرفة رقم 5 لأن خزانة ملابس
كانت تغلق أمام ذلك الباب.

كانت وجنتا الأنسة لبييتكوت ورويتين وعيناها تلمعان بشوة
الانفعال. وقد مدت شعرها المرح إلى الخلف بيد مضطربة.



هزت روزالين رأسها مذهورة قلقة، بينما كان ديفيد يقول: لو
أنتي أعرفه، لو أنتي فقط أعرفه!

صدر عن روزالين شيء من التشجيع البائس، فيما مضى هو
فائلاً: المشكلة تكمن في أننا نعمل في الظلام، نعمل معصوبي
العينين...

ثم التفت فجأة إليها وقال: هل أخذت حيات الزمرد إلى محل
غريتوريكس في شارع بوند؟

- نعم.

- كم سعرها؟

كان صوت روزالين كبيراً وهي تجيب: أربعة آلاف... أربعة
آلاف جنيه. وقد قال إن علي إعادة التأمين عليها ما لم أبلغها.

- نعم، لقد تضاعفت قيمة الأحجار الكريمة الثمينة. حسناً، إن
بوسعنا إن نجتمع المبلغ. ولكننا - إن فعلنا ذلك - ستكون البداية فقط.
سيحتي ذلك أننا سنخضع لعملية استنزاف حتى الموت... استنزاف،
يا روزالين، حتى نضب دماؤنا!

صاحت: أهـ. دعنا نغادر إنكلترا، دعنا نهرب، ألا نستطيع
الذهاب إلى إيرلندا؟ إلى أمريكا؟ إلى مكان ما؟

استدار ونظر إليها وقال: أنت لست ممن يقاومون يا روزالين،
أليس كذلك؟ شعارك هو: «اضرب واحرب».

قالت نائحة: إننا مخططان. كل هذا خطأ، خطأ شريع جداً.

الفصل العاشر

كان مجمع شيفرد كورت في منطقة ماي فير مجمعاً صح
للشق الفاخرة. ورغم أن تلك الشقق لم يصيبها الدمار بسبب غارات
الأعداء، إلا أنها لم تستطع الإبقاء على نفس مستوى الرفاهية الذي
كانت توفره قبل الحرب، وقد بقيت الخدمات موجودة رغم عدم
توفرها، ففي حين كان يوجد بوابان يرتديان بدنة الخدمة قبل الحرب،
بقي الآن بواب واحد، ورغم أن المطعم ما زال يقدم وجباته، إلا أن
تلك الوجبات - باستثناء الإفطار - لم تعد ترسل إلى الشقق.

كانت الشقة التي تسأجرها السيدة كنفود في الطابق الثالث
وكانت تتألف من غرفة جلوس ذات خزانة بُنيت في أصل الجدار،
وغرفتي نوم بُنيت خزانة الملابس فيها أيضاً في أصل الجدران،
وحمام مجهز بأعظم التجهيزات يقع فيه الأجر والكروم.

كان ديفيد هتير يدير غرفة الجلوس جيدة وذهاباً، بينما جلست
روزالين على كنية ضيقة تراقبه وقد بدا عليها الشحوب والرعب
تتمتع ديفيد فائلاً: ابتزاز! ابتزاز! يا الهي، أنا من أولئك الذين
يخضعون للابتزاز؟

- لا تصبحي تقيّة على حسبي الآن، فانا لا أطيق ذلك! لقد
كنا نعيش على أفضل وجه يا روزالين. كنت أعيش بشكل جيد لأوز
مرة في حياتي، ولئن أسمح لكل ذلك بأن يذهب مني - هل تسمعين؟
يودي فقط لو كان الأمر شيئاً آخر غير هذا الصراخ التوسّعي في الظلام
إنك تدركين - دون شك - بأن الأمر كله قد يكون مجرد خدعة.
مجرد خدعة لا غير. ربما كان أندروهي راقداً في قبره بسلام في أفريقيا
كما كنا نظنه دوماً.

ارتعدت وقالت: توقف يا ديفيد. إنك تخيفيني.

نظر إليها فرأى الرعب في وجهها، فتغير تعبيره في الحان
اقرب منها وجلس مسكاً يديها الباردتين بيده، قائلاً: لا تقنّتي.
دعي الأمر كله لي وافعلي ما أقوله لك إن برسمك تدبير ذلك. اليس
كذلك؟ مجرد أن تفعلي ما أقوله لك بالضبط.

- إنني أفعل ذلك دوماً يا ديفيد.

ضحك وقال: نعم. إنك تفعلين ذلك دوماً. سخرج من هذا
الوضع، لا تخافي. سأجد طريقة لوضع جدّك السيد إيثوك أردن.

- ألا توجد قصيدة يا ديفيد، أو شعر ما عن رجل يعود...

قاطعها قائلاً: بلى؟ هذا هو تماماً ما يقلقني، ولكنني سأحفظ
في الأمور وأصل إلى جذورها، لا تخافي.

- أهى ليقة الثلاثة التي ستأخذ فيها المبلغ إليه؟

هز رأسه بالإيجاب، وقال: خمسة آلاف. سأقول له إنني

لا أستطيع جمع الباقي كله فوراً. ولكن ينبغي أن أمتعه من الذهاب
إلى عائلة كلود. أظن ذلك كان نهديداً لا غير، ولكنني لا أستطيع
التأكد.

توقف. وأصبحت عيناه حالمتين سارحتين بعيداً. وخلف
العينين كان عقله يعمل. يصحّص الاحتمالات ويستبعد ما. ثم ضحك
ضحكة بهيجة منهورة تستخف بالمخاطر. وقد كان من شأن رجال
هم في عداد الموتي - أن يميزوا تلك الضحكة. كانت ضحكة رجل
مقدم على الفعل في مهمة محقوفة بالخطر، وكان في الضحكة شيء
من الاستمتاع والتعدي. قال: إن بوسعي أن أثق بك يا روزالين،
وأحمد الله أنني أستطيع أن أثق بك تماماً.

رفعت إليه عينين واسعتين متساثلتين وقالت: تثق بي؟ تثق بي
لفعل ماذا؟

- لنفعل ما أقوله لك. هذا هو يا روزالين سر أية عملية
ناجحة.

ثم ضحك وأضاف: عملية إيثوك أردن.



الفصل الحادي عشر

فتح راولي المغلف البنفسجي الكبير بشيء من الدهشة وتساءل:
من جاءه يكتب له مستخدماً مثل هذه القرصانية، وكيف أصبح -
الحصول على مثلها؟ إنه لمن المؤكد أن مثل هذا الورق الفخم قد جدد
خلال الحرب. قرأ الرسالة

عزيزي السيد راولي،

أرجو أن لا تظن أنني أنقص بكسي التيك بهذه الطريقة
حدود الطبقة، ولكن - إن كنت تسمح لي - فلأأخذ -
أمور بحري ويسمي أن تطلع عليها - إن شاء الله -
تلك الأمسية عندما أتيت تسألني عن شخص معين - هذا
ما استطعت القدوم إلى هدف متاع فمذكور مسروقة
جداً بإختيارك للأمور كلها فقد شعرنا جميعاً ما يقدر
النظم الفادح في موت عمك وذهب أمواته - انصربة
التي دعت بها

أمل أن لا تكون غاضباً مني، ولكنني أعترف حقاً أنت
بحسب أن تعرف ما يجري.

المختصة: بياتريس لينكوت.

نظر راولي إلى الرسالة والأفكار تتضارب بشدة في رأسه. ماذا
عسى هذا الأمر يكون؟ يا لئلك المرأة الرائعة. لقد عرف بياتريس
طوال حياته. وكان يشتري التبع من دكان وأندرها ويقضي النهار معها
بحلق طاولة الدكان. كانت فتاة جميلة الشكل، وهو يتذكر كيف سمع
- عندما كان طفلاً - شائعات عنها أثناء فترة غياب لها عن ورمزلي قبل.
كانت قد غابت لمدة عام تقريباً، وقال الجميع إنها سافرت بهدف
وضع طفل غير شرعي. ربما كان ذلك صحيحاً أو غير صحيح، ولكن
المؤكد أنها تحظى هذه الأيام باحترام بالغ. صحيح أن لديها الكثير
من سلاطة اللسان والضحك السخيف، ولكنها تتمتع باستقامة في
سلوكها تكاد تبلغ حد التحرز ومعاينة الذات.

نظر راولي إلى الساعة، وقرر أن يذهب مباشرة إلى فندق ستاغ،
ولتذهب إلى التجميع كل هذه الاستمرات. أراد أن يعرف ما هو ذلك
الشئ الذي تلهف بياتريس - إلى هذا الحد - على إخباره به.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بقليل عندما دفع راولي
باب المشرب، وبعد التحيات المعتادة، وإيماءات الرأس بالتحية
للمحاضرين، وعبارات مساء الخير يا سيدي، توجه راولي إلى مائدة
الخدمة وحُلب كوباً من القهوة. أشرف وجه بياتريس ترحيباً به،
وقالت: إنني سعيدة برؤيتك يا سيد راولي.

- مساء الخير يا بياتريس، وشكراً على ملاحظتك.

نظرت إليه بسرعة وقالت: سأكون معك بعد قليل.

هو رأسه موافقاً، وشرب قهوته متأملاً يراقب بياتريس تنهي

خدمتها للزبان. ثم ما لبثت أن التفت وناوت لكي تأتي زميبتها لينى وتأخذ مكانها. ثم تقدمت من راولي ونمتحت. هل لك أن تأتي معي يا سيد راولي؟

قاده لخلال ممر، ثم من خلال باب كُبت عليه كلمة الخاص. كانت الغرفة التي أفضى الباب إليها صغيرة جداً وقد تحشرت حشراً بالأثاث والكتب المصغرة، وكان فيها مذياع يعصم صوته الأذن. والكثير من زعمات الخزف الصيني ملقاة على أحد الكراسي ودبة لمهرج بدا وكأنه تعرض لضرب مبرح.

أقبلت بياتريس لينيكوت المذيع وأشارت تدعو راولي للجلوس على كنية مخمئة، ثم قالت: إنني سعيدة جداً بحضورك يا سيد راولي، وأرجو أن لا تكون قد وجدت غضاضة في كتابتي إليك، وتكثني كنت ألقب الأمر في عقلي طوال عطلة نهاية الأسبوع. كما قلت لك، شعرت حقاً أنك ينبغي أن تعرف ما يجري.

كانت تبدو سعيدة شاعرة بأهميتها، وبدا واضحاً أنها مسرورة من نفسها، سألتها راولي بشيء من الفضول: ما الذي يجري؟

- حسناً يا سيد راولي، إنك تعرف ذلك السيد الذي يقيم هنا السيد أردن، ذلك الذي جثت رسالت عنه.

- نعم.

- في الليلة التالية لقدومك تماماً، جاء السيد هنتر وسأله.

- السيد هنتر؟

اعتدل راولي في جلسته اهتماماً.

- نعم يا سيد راولي. وقد أجيته أنه في غرفة رقم ٥، فhez السيد هنتر رأسه وصعد مباشرة. ولقد دُعيت لذلك، لأن السيد أردن هذا لم يقل إنه يعرف أحداً في ورمزني فيل، ولقد سلمت أنا جديلاً - كما يبدو - بأنه غريب هنا ولا يعرف أحداً في هذه المنطقة. وقد بدا السيد هنتر معكر المزاج كما لو أن شيئاً حدث وأزعجه، ولكنني بالطبع لم ألقِ بالأمور وقتها.

توقفت لتأخذ نفساً. ولم يقل راولي شيئاً، بل اكتفى بالإصغاء. إنه لم يعتقد أبداً استعجال الأمر، وإن كانوا يحبون أن يأخذوا وقتهم فيما يروونه فلم يكن يجد في ذلك بأساً. مضت بياتريس تتحدث بشيء من الكبرياء. بعد ذلك بقليل، عرض لي ما جعلني أصعد للغرفة رقم ٤ لأطمئن لوضع المناشف وشراشف السرير. وتلك هي الغرفة الملاصقة للغرفة رقم ٥، وفي الحقيقة فإن بين الغرفتين باباً يصلهما لا يستطيع أن يراه ساكن الغرفة رقم ٥ لأن الخزائن الكبيرة تحجب أمامه تماماً، وبذلك لا يتنبه لوجوده من في تلك الغرفة. والباب - طبعاً - مغلق دائماً، ولكنه كان في هذه المرة مفتوحاً قليلاً... مع أنني لا أعرف من الذي فتحه بالتأكيد.

ومرة أخرى ثم يقل راولي شيئاً، واكتفى بأن هز رأسه. وفكر بأن بياتريس هي التي فتحت الباب؛ فقد كانت فضولية، وقد صعدت عائدة إلى الغرفة رقم ٤ لكي تعرف ما يمكنها معرفته.

- وهكذا ترى يا سيد راولي بأنه لم يكن لدي مهرب من سماع ما كان يجري. وقد بلغ حرجي من ذلك الموقف حداً كان يسكن معه

وفكر راولي ان ذلك كان من شأنه ان يحضبه ريشة هائلة حذر
استمع إلى التبرير هذا المختصر عما تدهى إلى سمعها بوجه لا يصدق
أية مشاعر أو حماسه إلى حد يكاد يعكس الملاحظة وعندما التفت
انظرت وهي ترقب رد فعله. وقد استغرق الأمر دقيقتين قبل أن يعود
راولي إلى نفسه ويهضه فائلاً. شكراً يا بياتريس. شكراً جزيلاً

وبهذه الكلمات خرج من الغرفة. وشعرت بياتريس وكأنه قد
تفليس ما كانت تحس به من أهمية وزهوا. لقد كانت تعجز. وهو ما
حدثت به نفسها. أنه كان بوسع السيد راولي أن يقول شيئاً ما

• • •

الفصل الثاني عشر

عندما غادر راولي الفندق قادته خطواته بشكل آلي باتجاه بيته.
ولكنه توقف بعدما مشى بضع مئات من الأمتار وعاد أدراجه.

كان عقمه بغيها في استيعاب الأمور. ودهشته الأولى مما أفطست
إليه به بياتريس. لم تبدأ في الانحدار إلا الآن. فامسحة المجال أمامه
لإجراء تحقيق حقيقي لأهمية ما سمعه. فإن كانت روايتها لما سمعته
صحيحة - وهو لا يحزمه شك في أنها كانت كذلك في جوهريها - فإن
موقفاً جديداً قد نشأ داخلياً. وفيه تكمل فرد من عائلة كنود. وإن أفضل
من يستطيع التعامل مع مثل هذا الأمر هو راولي. جيريبي. فعن
شأن جيريبي كنود. المحامي. أن يعرف ما هي العمل استفادة يمكن
الحصول عليها من هذه المعلومات المذهلة، وما هي الخطوات التي
ينبغي اتخاذها

ومع أن راولي كان يحب أن يتصرف بنفسه لو ترك الأمر له.
إلا أنه أدرك - شيء من التذمر - أنه سيكون من الأفضل كثيراً بسط
القضية أمام محام بارع محارب. وكلما أسرع خطواته نحو منزل
جيريبي كان أفضل. ولعلك وجه راولي خطواته نحو منزل جيريبي
في شارع هنري

أخبرته الخادمة الصغيرة التي فتحت الباب أن السيد والسيدة كلوه ما يزالان على مائدة العشاء وقد كانت مستعدة لأخذ إليهما، ولكن راولي رفض ذلك قائلاً إنه سيقدر في مكتب جيريبي حتى يفرغ من عشاءه. ثم بكن يريد - خاصة - أن يدخل فرانيس في الحديث. فكلما قل عدد من يعرفون بالأمر كان ذلك أفضل. وذلك حتى يفررا تبني طريقة عمل معينة.

أخذ يذرع مكتب جيريبي جبة وذهاباً يفلق. رأى أمامه على الرفوف مجاميع من المجلدات القانونية الضخمة. وصورة لفرانيس وهي ترتدي ثياب السهرة، وأخرى لأبيها اللورد إدوارد تريتن بلباس الخيالة. وعلى المكتب كانت صورة شاب يرتدي الزي العسكري. أنطوني، ابن جيريبي، الذي قتل في الحرب ومضى راولي بحقيبة ودار ليجلس على كرسي. ثم أخذ يحدق إلى الصور إدوارد تريتن.

في غرفة الطعام قالت فرانيس لزوجها: ترى ماذا يريد راولي؟

قال جيريبي بسم: ربما كان يماحك ويماحج بعض الخوارج الحكومية؛ فما من فلاح بينهم أكثر من ربح تلك الاستثمارات والاستثمارات التي يتوجب عليهم ملؤها. وراولي رجل دقيق يتمتع بالضوابط. ولذلك يفلق.

قالت فرانيس: إنه لطيف، ولكنه بطيء جداً. لدي إحساس بأن الأمور لا تجري على ما يرام بينه وبين لين.

تتمتع جيريبي شارداً لين؟ آه، نعم، طبعاً. اهزيتي، يبدو أنني غير قادر على التركيز. فالإجهاد...

سارعت فرانيس إلى القول: لا تفكر بالأمر. تأكد أن الأمور تجري على ما يرام يا جيريبي، أؤكد لك.

- إنك تخيفيني في بعض الأحيان يا فرانيس. أنت متهورة بشكل فظيع. ولا تكادين تدركين...

- أنا أدرك كل شيء. ولست بخائفة. أتدري يا جيريبي، أنني في الواقع - أصلي نفسي.

- وهذا يا عزيزتي هو تماماً ما يسبب لي مثل هذا القلق.

انسمت وقالت عياء، ينبغي أن لا تترك ذلك الشاب الفلاح يتظر طويلاً. اذهب وساعده في ملء الاستثمار رقم أحد عشر ألفاً وتسعة وتسعين، أو أية استثمارة غيرها.

ولكن بينما كانا يخرجان من غرفة الطعام، انصفق الباب الأمامي للمنزلة وهو يفلق. وجاءت إدا الخادمة لتخبرهما بأن السيد راولي قال إنه لن يفي مستظراً. وإن الأمر لم يكن حقاً يستحق الذكر.

لين على مائدة العشاء في ذلك اليوم بإعلانها أنها تحاول العثور على
بستاني ثانٍ. قائلة: إن يوم العجوز لا يستطيع مواكبة الأمور هنا.

هفت ثين باستغراب، وثكنا لا نستطيع تحمل أجور بستاني
ثانٍ يا عزيزتي.

- أنت مخجلة، إنني أحب حقاً، يا لين، أنه كان من شأن
غوردن أن يشعر بالزعاج شديد لو قدّر أنه أن يرى كيف تدهورت
أحوال الحديقة. ولقد كان دوماً حريصاً جداً على منظر البناج
الشمسي، وعلى قصر العشب بانتظام، وإيقاع السمات المنظمة.
ولكن انقري كيف أصبح ذلك كله الآن؟ أشعر أن غوردن كان
يسرع بتطعيم ذلك ثانية.

- حتى إن اضطررنا لاستئذان المال من أرملته للقيام بذلك.

- لقد أخبرتك يا لين، كانت روزالين في حاجة اللطف إذا
الامر أحب - حقاً - أنها فهمت تماماً وجهة نظري. إن حسابي
جيد الآن في التصرف بعد أن سددت كل القوائم، وأضل حقاً أن
من شأن بستاني ثانٍ أن يكون عنصر تومير. فكري فيما يستطيع زراعته
من خضراوات إضافية.

- بوسعنا أن نشتري من الخضراوات الإضافية أكثر مما يمكن
زراعته مقابل مبلغ أقل بكثير من ثلاثة جنيهات أخرى ندفعها أسبوعياً
لبستاني جديد.

- أظن أن بوسعنا أن نحصل على بستاني بأجر أقل من ذلك
يا عزيزتي. كثير من الرجال يُسرحون الآن من الخدمة العسكرية

الفصل الثالث عشر

هصر ذلك الثلاثاء نفسه خرجت لين مارشمونت في نوبة
طويلة سيراً على الأقدام. فمع إحساسها بتنامي القلق وعدم ثقتها
داخل نفسها شعرت بحاجة لأن تفكر في تلك الأمور بمفردها.
وتُخرجها من داخلها بالتفكير فيها.

ثم تكن قد رأت راوئي لبضعة أيام بعد افتراقهما العاصف
نوعاً ما في ذلك الصباح حين طلبت منه أن يرفضها خمسمئة جنيه
تقابل الاثنين كالتعادة. وقد أدركت لين أن طلبها لم يكن معقولاً،
وأن راوئي كان من حقه تماماً أن يرفضه. ولكن - مع ذلك - مع
الحمولية لم تكن أبداً صفة تروق للعاشقين. كانت الأمور بينه وبين
راوئي كما هي في الظاهر - أما في الباطن فلم تكن لين وثقة من عدم
الأمور كما هي عليه. لقد وجدت الأيام القليلة الماضية رتيبة لا تكاد
تُحتمل. ومع ذلك لم تكن ترغب بالاعتراف أمام نفسها بأنه ربما
كان ترحيل ديفيد هنتر المتأجل مع أخيه إلى لندن علاقة بشك ثورية
وقد اعترفت لنفسها بكآبة بأن ديفيد شخص مثير.

أما بالنسبة لأقاربها فقد شعرت في هذه اللحظة أنهم جميعاً
مزعجون ومزعجون. كانت أميا في أفضل مراجع لها. وقد أزعجت

ويريدون أعمالاً... هكذا تقول النصحف.

قالت لين بجفاء: أشك في أنك متحذيتهم في قرية ورمزني قبل الصغيرة، أو حتى في منطقة ورمزني حيث كلها.

ورغم أن القصة انتهت عند هذا الحد، إلا أن نزوعها للاعتماد على روزالين كمورد إعانة منتظم بقي حاجساً يضاردها، ويبعد لها ذكرى كلمات ديفيد الساخرة المزهوية. ولذلك، ونتيجة شعورها بالاستياء ونعكر المزاج الطففت في مسيرتها لئيدد سلسلي مزاجها السوداء.

لم يتحسن مزاجها إذ قابلت العمدة كاثي خارج مكتب البريد. كانت العمدة كاثي تبدو منفتحة عائبة المعنويات، وقد بادرت بالفرحة أظن يا عزيزتي لين أننا سنتنفق قريباً أحياناً سارة.

- ماذا تعنين بالله عليك يا عمدة كاثي؟

هرت العمدة كاثي رأسها وابتسمت منصفة المحكمة، وقالت: لقد أجريت اتصالات مذهلة، مذهلة جداً. ترقى نهاية سعيدة سبعة تكال متاعبنا. تعرضت جهودي لانتكاسة واحدة، ولكنني بعداً حصلت على الرسالة التي تقضي بأن أحاول وأحاول وأحاول من جديد. وألم أتمكن من النجاح في البداية - إنني لن أقضي مائة أسرار يا عزيزتي لين، وإن آخر ما أريده هو إثارة آمال كاذبة قبل الأوان. ولكنني أؤمن أشد الإيمان بأن الأمور ستكون على ما يرام في أقرب وقت، في وقت قريب تماماً. إنني قلقة جداً بشأن حالك؛ فقد عسى بجهود مضاعف أثناء الحرب، وهو - حقاً - بحاجة إلى تشجيع، وإلى تكرس نفسه لدراساته المتخصصة. ولكنه لا يستطيع ذلك طبعاً دون

وجود دخل مناسب. تتباه أحياناً ثوبت عصية غريبة جداً، إنني قلقة جداً عليه، فهو غريب الأطوار فعلاً.

هرت لين رأسها وهي غارقة بالتفكير. لم يكن قد فاتها إدراك التغير الذي طرأ على ليونيل كلود، ولا التبدل الغريب في حالته المزاجية. وقد شككت بأنه كان يلجأ بين الحين والآخر إلى المخدرات بغية تخفيف نفسه، وتساءلت إن كان قد غدا مدمناً إلى حد ما، إذ أن من شأن ذلك أن يفسر هياجه العصبي الشديد. وتساءلت عن مدى ما نعرفه أو تخمنه العمدة كاثي، إذ كانت لين ترى أن العمدة كاثي ليست بذلك الحمق الذي تبدو عليه.

وفيما هي ماضية في شارع هاي لمحت حالها وهو يدخل إلى بيته. ورأت لين أنه بدا أكبر بكثير من عمره الحقيقي في هذه الأسابيع الثلاثة الماضية وحدها. أسرع في خطواتها، وأرادت أن تخرج من ورمزني قبل لتصل إلى التلال والأرض الخلاء. وعندما تطلعت بخطوات سريعة شعرت بالتمسك. ستذهب في رحلة طويلة على قدميها لست أميال أو سبعة، وتفكر في أمورها فعلاً. لقد كانت دوماً طموحاً حبانها، حازمة عاقدة العزم ذات عقل واضح يعرف ما يريد. وقد هرقت ما أرادت وما تم نرده، ولكنها لم ترض أبداً - حتى الآن - أن تقنع بترك نفسها للظروف تدفعها حيث تشاء.

نعم، هذا هو جوهر القضية: العيش على غير هدي، وتباع أسلوب حياة لا هدف له ولا شكل منذ أن أنهت خدمتها العسكرية!

اجتاحها موجة من الحنين لأيام الحرب تلك، حيث كانت

الواجبات متعددة واضحة المعالم، وحيث كانت الحياة محظنة منظمة، وحيث الزاح عن كاهلياً عبء اتخاذ القرارات الفردية، ولكن حتى وعي نصرة هذه الفكرة أحسست بالمرعب من نفسها، ترى: هل كان ذلك حقاً وفعلاً ما يشعر به الناس - سرّاً - في كل مكان؟ هل كان ذلك ما تفعله الحرب حتماً بالمرء؟ ثم تكن المشكلة في الخطر المادية الجسدية: في الألغام البحرية أو القذائل المتساقطة من الجو أو أزيز رصاصه بندقية تأتيك وأنت تقود عربة في الصحراء، لأن كان أهمية تكمن في الخطر الروحي التمثل في تعلم المرء مقدار سهولة الحياة إن هو توقف عن التفكير بعد أن دخلت الجيش ثم بعد حين تلك الفتاة العازمة بذلك صدمه الدهر كما كانت في الماضي. فقد تمت لعقلها عسب انحصار، ولم توجهه في قنوات محددة بدقة. والأل - وقد عادت ثانية لتصبح مبددة بنفسها وجوانها - رذعه عزوف عقلها عن تحديد مشكلاتها الشخصية الخاصة ومعالجتها.

وبإضافة مستعصية مفاجئة فكرت حين مع نفسها: إنه تعريب حد إن كاد وحلف الصحف صحيح الشخصية «ربة البيت» التي حلفت نفسها من خلال ظروف الحرب. أولئك النسوة اللاتي انتصت من وجوههن آلاف «المسرحات» دون أية «مسموحات» تعبهن، اللاتي اضطررن لتخطيط والتفكير والاشكاري، ولاستخدام كل ذرة عبقرية منحها الله لهن، وتطوير عبقرية لم يكن يعلمن أنها يمكنكنها. وارت حين الآن أن أولئك النسوة حين الوحدات اللاتي يستطعن أن بعض المناحيت دون عكازة، مسؤولات عن أنفسهن وعن الآخرين - هي - المستعملة الذكية التي أدت أدق الأعمال وأصعبها - تفهم - لا - فائدة دفع التواجد، حالية من تعزيم والإرادة لعبه، بأنها من عبادة

بمضقة: «ترك النفس للظروف»؟ وماذا عن أولئك القاعدين الذين أزموا البيت والنوطن، مثل راوولي.

ولكن سرعان ما انتقل عقل ثين من العام الغامض المبهم إلى الشخص المباشرة الآتي: هي وراوولي، تلك هي المشكلة، المشكلة الحقيقية، والوحيدة. هل تريد حقاً أن تزوج راوولي؟

وثنياً قشينا أخذت الغلال تتناول وتؤذن بالأصيل والغروب. وجلست ثين دون حراك وقد أسدت ذقتها إلى راحتيها عند أطراف أليكة على سطح التلة، ومرحت بنظرانها إلى الوادي أسفل منها. لقد غفلت عن تقدير الوقت، ولكنها أحسّت بتردد غريب في الذهاب إلى بيتها وايت هنوس، وإلى الأسفل منها، بعيداً إلى اليسار كان منزل لونغ ويلوز الذي سيكون بينها إذا تزوجت براوولي.

إذا؟ ها قد عاد الأمر إلى تلك الآداة... إذا، إذا، إذا!

طار حمار من الأليكة وهو يطنق صبيحة جنون كهيبة طائر غاضب. انطقت سحابة دخان من أحد القطارات وأخذت تلتفت في السماء واسعة بالتقاطها إشارة استفهام ضخمة: «؟؟؟»

هل أتزوج راوولي؟ هل أريد الزواج براوولي؟ هل سبق لي أن أودت الزواج براوولي؟ هل أستطيع تحمل عدم الزواج براوولي؟

نفت القطار دخانه متبعداً في الوادي، وتمايل الدخان وتلاشى. ولكن إشارة الاستفهام لم تتلاش في عقل ثين. لقد أحبت راوولي قبل أن ترحل غير أنها قالت لنفسها: «ولكنني عدت إلى الوطن وقد تغيرت. لم أعد نفس الفتاة». وحلف في عقلها سطر من الشعر يقول:

«الحياة والدين ونفسي أنا تغيرت» لكن ماذا عن راولي؟ راولي لم يتغير. نعم، هذا صحيح. راولي لم يتغير وقد وجدتته حيث تركته قبل أربع سنوات. هل تريد الزواج براولي؟ وإن لم تكن تريد ذلك فـ البقي تريد؟

ملقطت الأغصان في الأيكة خفها، وسمع صوت رجل يقول: «تبا» وهو يشق طريقه. صاحبت لين: «ديفيد!»

هتف: «لين!»، ونظر إليها متدوهاً وهو يتقدم خلال الشجيرات والشجيرات الصغيرة ثم قال: ماذا تفعلين هنا باطه عليك؟

كانت أغصان متلاحقة بعض الشيء، إذ كان يركض قبل ذلك قائلاً: لا أدري أفكر فقط، جالسة أفكر

صاحت حائرة وأضافت: أحب أن... أن أتوقف أصح متأخراً.

- أليس لديك فكرة عن الوقت؟

نظرت بشروط إلى ساعده معصها ثم قالت: لقد تولفت من جديد. إنني كثيراً ما أغرب الساعات

- وتطرين ما هو أكثر من الساعات! إنها الخفاقة التي في داخلك، المحبوبة، الحبيبة.

تقدم منها فوقف بسرعة وقد أحس بانوثاك مبهم. وقالت: بدأ يحل الظلام، علي أن أصرع إلى البيت. كم الساعة يا ديفيد؟

- الساعة والرابع. علي أن أركض ركض الأوتاب لأدرك قطار الساعة والثلاث إلى لندن.

- لم أعلم أنك قد عدت إلى هنا؟

- اضطرت لإحضار بعض الأشياء من منزله فوروبانك. ولكن علي أن ألتحق بهذا الفطار فووزالين وحدها في الشقة وهي يطير صوابها إن بقيت وحدها ليلاً في لندن.

- حتى في شقة ضمن فجمع له إدارته وخدماته؟

كان في صوت لين ازدهاء. أجابها ديفيد بعبدة: الخوف لا يعرف منطقاً. وعندما تعاني من تجربة انفجار...

شعرت لير فجأة بالخجل والندم، وقالت: أسفة! لقد نسيت.

صاح ديفيد بعراة مفاجئة: نعم سرعان ما يُنسَى الأمر كله. وعودة إلى السلامة، عودة إلى التدجين والحياة الأليقة! عودة إلى حيث كنا عندما ابتدأ العرض كله! نزحف إلى حفرنا الصغيرة الشنة لنؤثر السلامة من جديد. وأنت يا لين، أنت مثل الباقيين تماماً.

صاحت: نشت مثلهم... نشت مثلهم يا ديفيد! كنت أفكر لتوي، الآن بك وبراولي.

أيقظتها سرعته. كانت يدها تحيطان بها، وقال: راولي كلود؟ ذلك البليد؟ باقة عليك يا لين... إنك في أنا.

ثم تركها فجأة بالسرعة التي احتضنها فيها وكأنه يرميها بعيداً

عند، وقال: سيفوتني القطار، وركض مسرعاً باتجاه أسفل التلة.

صاحبت: ديفيد.

أدار رأسه وأجابها: سأفصل بك عندما أصل إلى لندن.

وافته وهو يركض خلال العتمة التي أخذت تتجمع، غنيماً رياضياً مفعماً بالحسن الطبيعي. ثم مشى ببطء نحو المنزل مرتبكة. وقد اضطرب قلبها على نحو غريب، ودبت القوضى في عقلها.

ترددت قليلاً قبل دخول البيت، وأحست بالامتناع من استقبال أمها الحار لها، ومن استئنها. أمها التي اقترخت خسة جنبه من أناس تحقرهم. وفكرت أين وهي تصعد الدرج بكل هدوء قاتلة لنفسها. لا حق لنا في احتشاد روزالين وديفيد، إننا حائهم تماماً، مستعدون لفعل أي شيء، أي شيء في سبيل المائدة.

وفتت في غرفة نومها نظراً بغضول واستغراب إلى وجهها من المرأة. رأت أن وجهها وجه إنسان غريب. وعندها... فجأة، عزف الغضب. وقالت لنفسها: لو كان راولي بحبي حقاً لكان وفراً لي تلك الحبيبات الخمسة بطريقة ما. نعم، كان غيرها. وما كان ليتركني أحياناً بالاضطرار إلى أخذها من ديفيد. ديفيد؟

لقد قال ديفيد إنه سيتصل بها عندما يصل إلى لندن.

نزئت إلى الغابق السفلي تمشي حاملة، وفكرت في أن الأحلام يمكن أن تكون أموراً بالغة الخطورة.

الفصل الرابع عشر

صاحبت أديلاً بصوت مبهج يتم عن الارتياح: آه، ها أنت ذي بالين لم أسمعك وأنت تدخلين يا حبيبتى. هل مضى على قدومك زمن طويل؟

- آه، نعم؛ طويل جداً. كنت في الطابق العلوي؟

- ليك أعيرتني عندما عدت بالين إنني أبغى متوترة عصبية عندما تخرجين وحدك وتأخرين بعد حلول الظلام.

- ما هذا يا أمي، ألا تحسبين أن بومبي أن أعنتني بنفسى؟

- لقد أوردت النصحت فصصاً مخيفاً مؤعراً. كل أولئك الجنود المزعجين. إنهم يهاجمون الفتيات

- أحسب أن الفتيات من اللاتي يطلبن ذلك

ثم ابتسمت ابتسامة ثوت فيها شفتيها. نعم، إن الفتيات يسعين حقاً إلى الخطر. ومن ذا الذي يريد أن يكون آمناً على كل حال؟

- لين، حبيبتى، هل تصغين إلي؟

بها وجه راوئي العريض الجميل - وثياباته البيضاء ونظراته النجدة
وتكنها أفكار متسائلة هل يهتم بها راوئي حقا؟ لو أنه كان يهتم حقا
لكان مهتم موقفها في ذلك اليوم عندما أنه وثوسفت من أجل خمسة
جنيه. كان سيفهم موقفها بدل تلك العقلانية والواقعية التي أبدت
والتي تكاد تدفع إلى الجنون. تزوج راوئي وتعيش هي المسروعة، ولا
تسافر ثانية أبدا ولا ترى بلادا أجبية، ولا تتحرك بعد ذلك أبدا

رنا جوسى الهاتف يحدده. أخذت لى نقلاً عميقاً ومشت عبر
الصالة فرفعت مساعده الهاتف وركمن فوقه خفقه، استغنى
صوت النعمه كانه ياتي من داخل الأسلاك لى؟ أهذا النعمه؟ ثم
بعدني ذلك. أخشى أن يكون قد أفسدت الترتيبات بشأن الاجتماع
فى المعهد.

ومضى الصوت الحاذق المضطرب في الحديث أصفت من
وقفت بإبداء التعليقات المعجزة والتأكيدات الممنوعة. ويمضي
عبارات الشكر

التي ترواحه عقيمة يا عربي ليس أن تكوني دوماً بهذا
بحمد العملية. إنني لا أستطيع حقا أن أتصور كيف أقدرت. وثبتت
بهذا نقدي

١٠ - استطيع ان ابدأ تصوير ذاتي. إذا أن لفترة العمة كانت عبي
١١ - استطيع ان ابدأ تصوير ذاتي. إذا أن لفترة العمة كانت عبي
١٢ - استطيع ان ابدأ تصوير ذاتي. إذا أن لفترة العمة كانت عبي
١٣ - استطيع ان ابدأ تصوير ذاتي. إذا أن لفترة العمة كانت عبي
١٤ - استطيع ان ابدأ تصوير ذاتي. إذا أن لفترة العمة كانت عبي
١٥ - استطيع ان ابدأ تصوير ذاتي. إذا أن لفترة العمة كانت عبي

ولذلك فلما مضتْ لأن أذهب وأطلب...

انتهت السكّالة أخيراً. وضعت نين السّاعة وعادت إلى غرفة الجلوس. سألت أديلا ما رثُصمونت بحدود. من؟

- العمة ثانی :

- ماذا أريد؟

١٠٩٠ - مجرد قصة من قصصها.

جلست ليل ثانية وبيدها كتاب وهي تنظر إلى ساعة الجدار.
نعم، ما زال الوقت مبكراً. لم يحس بعد ألوان مكانتها. في الحادية
عشرة وخمسة دقائق من جرس الهاتف ثانية.

- أهذه ورمزها قبل منزل رقم ٩٣٤ هل يمكن للأنسة لين
مارشيسون أن تتلقى مكالمة شخصية من لندن؟

- تحفظه من فضلك.

النظير، وعلى الخط أصوات متماثلة، ثم ما انصبت.

كانت خدمة الهاتف تزداد سوءاً يوماً بعد يوم. انتظرت - ثم غصت على الساعة براحتها وقد استبد بها الغضب. بعدها جاءها صوت صباقي آخر ينم عن البرود وعدم الاهتمام: أغلقي الساعة من فضلك. ستصاب بك لاحقاً.

أعادت السماعة وعادت باتجاه غرفة الجلوس، ولكن الجرس رن مرة أخرى وهي تضع يدها على الباب. هزعت عائدة إلى الهاتف. هالو؟

جاءها صوت رجل يقول: ورمزلي فيل ٩٣٤ مكالمة شخصية من لندن للأنتة لين مارتشمونت.

- شكلم.

- لحظة من فضلك. نكلم يا لندن. الخط موصول...

ثم جاء فجأة صوت ديفيد: لين، أهذا أنت؟

- ديفيد!

- كان علي أن أتكلم معك.

- نعم...

- اسمحي يا لين، أظن أن من الأفضل لي أن أسافر.

- ماذا تعني؟

- أسافر من إنكلترا كلها. آه، إنه أمر سهل تماماً. لقد نظاهرت أمام روزالبي بأنها مسألة صعبة، وذلك لأنني -بساطة- لم أرغب بترك ورمزلي فيل. ولكن ما الفائدة من الأمر كله؟ أنت وأنا... نرى بنجاح الأمر. إنك فتاة رفيعة رائعة يا لين. أما أنا فأناي محال إلى حد ما، وقد كنت دوماً كذلك. ولا أتمنى نفسك بالأدهاء بأنني سأستفيد من أجلك. ربما قصدت أن أسقيم، ولكن ذلك لن ينجح. كلا،

الأفضل لك أن تتزوجي راولي المكافح، فهو لن يمنحك أبداً يوماً واحداً من القلق طوال حياتك، أما أنا فسأعطيك جميعاً.

خللت واقفة هناك مسكة بالسماعة لا تقول شيئاً.

- لين، أما زلت معي؟

- نعم، إني هنا.

- لم تقولي شيئاً.

- وعادة يمكن أن يقال؟

- لين؟

- نعم.

غريب كيف نستطيع أن نحس بوضوح رغم كل هذا البعد - بانفعاله ونأزم مزاجه.

تتم بهدوء بكلمات 'تياً' وأخواتها، ثم قال منفجراً: آه، فليذهب كل شيء إلى الجحيم؟، ثم أغلق الخط.

قالت السيدة مارتشمونت وهي تخرج من غرفة الجلوس: من؟

- رقم خط؟

وصعدت بسرعة إلى الطابق العلوي.

الفصل الخامس عشر

جرت العادة في فندق ستاغ على إيقاظ النزلاء في أية ساعة يطلبون إيقاظهم فيها بطريقة بسيطة تقضي بفتح الباب بقوة والإعلان عن أنها الساعة الثامنة والنصف يا سيدي، أو الساعة الثامنة يا سيدي، وحسب مقتضى الحال ويتم تقديم شاي الصباح إن كان التريل قد طلب ذلك، ويتم وضعه على قطعة السجاد خارج باب الغرفة، مع قرع الأواني بالملعقة إيداً بوجود الشاي عند الباب.

وفي صباح الأربعاء هذا قامت السيدة غلاديس صباح هذه الترتيبات خارج باب الغرفة رقم 5، فادت الثامنة والربع يا سيدي ثم وصعت الصينية بقوة على الأرض مصدرة صوتاً عالياً حيث اندلق الحلبه خارج إريفة، ثم مصت لحالتها توقف نزلاء الخربس وتمضي لواجباتها الأخرى.

لم تنبه الفتاة - حتى الساعة العاشرة - إلى أن الشاي المقدم للغرفة رقم 5 كان باقياً على قطعة السجاد خارج باب الغرفة، فرعت بقوة بضع مرات على الباب، ولما لم تجد جواباً دخلت الغرفة.

لم يكن تريل الغرفة رقم 5 من ذلك النوع من الرجال الذين

يصرفهم النوم عن أمورهم، وقد تذكرت -لنورها- بأن سيطح الشقة في المبنى المقابل يقع قريباً من شباك الغرفة، وفكرت غلاديس باحتمال أن يكون تريل الغرفة قد ولي هارباً دون أن يدفع فاتورته. ولكن الرجل الذي سجل نفسه على أنه إينوك أردن لم يكن قد هرب. كان ممدداً على وجهه وسط الغرفة، ورغم جهلها التام بالطب فإن غلاديس لم يراودها أي شك في أن الرجل كان ميتاً.

تراجعت غلاديس برأسها إلى الخلف وصرخت، ثم انطلقت خارجة من الغرفة. ثم نزلت الدرج وهي ما تزال تصرخ: يا آنسة لينكوت... لينكوت... آه! آنسة لينكوت... آه!

كانت بيتريس لينكوت في غرفتها الخاصة والدكتور ليونيل كلود يحسم جرحاً في يدها تلك الدكتور الضادة والثفت بعصبية لدى فتحهم الفتاة الغرفة صانعة: آه، آنسة!

سأل الدكتور بسرعة: ما الأمر؟ ما الأمر؟

وكروت بيتريس: ماذا بك يا غلاديس؟

- إنه السيد في الغرفة رقم 5. إنه ممدد على الأرض... ميتاً.

حدق الدكتور إلى الفتاة، ثم في الأنسة لينكوت التي حدثت

بدورها إلى غلاديس ثم إليه وأخيراً قال الطبيب بارتياح: هراء!

أجابت غلاديس: إنه ميت بالتأكيد. ثم أضافت بشيء من التلذذ: رأسه مهم!

نظر الطبيب إلى الأنسة لينكوت قاتلاً: الأفضل أن أرى

- نعم، أرجوك يا دكتور كلود. ولكن لا يمكن... يبدو ذلك مستحيلاً.

اندفع الثلاثة إلى الطابق العلوي لتقديمهم غلابيس. ألقى الدكتور كلود نظرة واحدة ثم ركع وانحنى فوق الجسد المسدد. رفع بصره إلى بياتريس، وقد تغير أسلوبه، وأصبح جازماً واثقاً. قال: يحسن بك أن تطلي الشرطة.

خرجت بياتريس لبيبتكوت وتبعنها غلابيس. قالت غلابيس بهمة مرتاعة: أه، أنظنيها جريمة قتل؟

صعدت بياتريس شعرها الذهبي إلى الخلف بيد مضغلة وقالت بحدة: أمسكي لسانك يا غلابيس إن القول من حالة إنها جريمة قتل قبل أن نؤكد من ذلك يُعتبر فذفاً وشهيراً يمكن أن نُحالني به إلى المحكمة وإن انتشار الكثير من الأقاويل لن يفيد الفندق في شيء.

ثم أضافت في تنازل سخيف: بوسعك أن تذهبي وتُعذري نفسك كروباً من الشاي. أظنك نحتاجه.

- نعم، إنني أحتاجه حقاً إنني أشعر بغثبان شديد! سأجنب لك أيضاً كوباً.

الأمر الذي لم تعارضه بياتريس.

الفصل السادس عشر

نظر المفوض سبنس ملياً عبر الطاولة إلى بياتريس لبيبتكوت التي كانت تجلس وقد زُقت شفتيها بإحكام، ثم قال: شكراً لك يا آنسة لبيبتكوت. أهذا كل ما تستطيعين تذكره؟ سأجعلهم يطعمونه لك لتفريته، ثم نوقعه إذا سمحت.

- أه، يا عزيزي! أرجو أن لا أكون مضطرة لتقديم شهادة في المحكمة.

ابتسم المفوض سبنس مهدئاً ثم قال كاذباً: نأمل أن لا يبلغ الأمر ذلك.

قالت بياتريس على سبيل الرجاء: ربما كان الأمر انتحاراً.

أمسك المفوض سبنس عن القول بأن المتحر لا يعمد عادة إلى تهشيم مؤخرة جمجمته بملقط الموقد القولاذي. بل أجاب بنفس الأسلوب السهل: ليس من المفيد القفز إلى التنازع وإطلاق الأحكام قبل أوانها. شكراً يا آنسة لبيبتكوت. لقد أحسنت صنعاً إذ تقدمت بهذا البلاغ يمثل هذا الاستعداد.

وعندما خرجت من الغرفة راحم بلاغها بعقله. لقد كان يعرف كل شيء عن الأنسة بياتريس لينكوت. ويعرف تماماً إلى أي مدى كبير يمكن الاعتماد على دقتها. وهذا كل ما يمكن قوله عن حديثه المتطوّر عليه وتذكره بجل هذه البراعة. ربما كانت فيه بعض الترويض الإضافية لغرض الإثارة، وبعض الترويض الثقيلة الأخرى لأن حريصة فتاة قد ارتكبت في الغرفة رقم ٥. ولكن - إذا ما تم استبعاد تلك الترويض - يبقى النحر السافي بشعاً ومليئاً بالدلالات

نظر المفوض ميبس إلى المائدة أمامه: كانت عليها ساعة يد نهشم زجاجها. وقداحة ذهبية صغيرة حفرت عليها الأحرف الأولى لاسم صاحبها، وأحمر شفاء ذو أنبوبة ذهبية، وملفوف موفد فولاذي قوي كان رأسه الثقيل منطوقاً بلون بني محمر.

أطلق الرقيب غريفر وقال إن السيد راوولي كلود بنظر أوما المفوض برأسه فأدخل الرقيب راوولي إلى رئيسه. وكما كان المفوض يعلم كل شيء عن بياتريس لينكوت، فقد كان يعلم كل شيء أيضاً عن راوولي كلود. وإن كان راوولي قد أتى إلى مركز الشرطة، فلا بد أن لديه ما يقوله، ولا بد أن ما يقوله سيكون صحيحاً وموثوقاً وغير خيالي، بل إنه سيكون في الواقع أمراً يستحق الإصغاء. وفي نفس الوقت فإن ما يقوله سيتطلب وقتاً طويلاً للمطبعة التي ينتجها راوولي. ولا يملك المرء أن يستعمل مثل هذا النوع من الناس - لأنه إن استعملتهم ارتبكوا وأخذوا يعيدون أقوالهم - واستغرق حديثهم ضعف وقته الطبيعي!

- صباح الخير يا سيد كلود، نسرين رؤيتك. أسمعك أن تلقني

صباحاً على مشكلتنا هذه؟ مشكلة الرجل الذي قُتل في فندق ستاغ. لكن ما آثار شيئاً من الدهشة لدى المفوض أن راوولي بدأ حديثه بسؤال مفاجئ: هل حددتم هوية الرجل؟

أجاب المفوض ميبس ببطء: كلا، لا يعني القول إننا حددناها. لقد وقع في سجل الفندق باسم إينوك آردن. ولكن ليس بهويته ما يدل على أنه حقاً يدعى إينوك آردن.

عس راوولي وقال: أليس ذلك... غريباً بعض الشيء؟

كان ذلك غريباً جداً، ولكن لم يكن في ثبة المفوض ميبس أن يناقش راوولي كلود في مدى الغرابة التي يراها المفوض. ولذلك قال مازحاً: ها يا سيد كلود، أنا من بطرح الأسئلة. لقد ذهبت لزيارة القنصل في البليّة المصيبة، لماذا؟

- هل تعرف بياتريس لينكوت أبها المفوض؟ التي تعمل في الفندق.

- نعم، طبعاً.

ثم أردف المفوض وهو يأمل أن يختصر قوله الطريق: وقد سمعت قصتها! أخبرني بالأمر.

بدأ راوولي مرتاحاً وقال: حسناً، كنت أخشى أن لا تكون راغبة في الدخول طرقاتاً في قضية يتابعها الشرطة؛ فهؤلاء الناس غريبون في هذه النقطة أحياناً.

هز المفوض رأسه موافقاً وتابع راوولي: حسناً إذن، لقد حكمت

لي بياتريس ما سمعته. وقد بدا ذلك لي - وربما لك أيضاً - أمراً يبعث على الريبة تماماً. أعني أننا... أننا أطراف ذوو مصلحة.

ومرة أخرى هز المفوض رأسه موافقاً. كان المفوض قد أوثق اهتماماً شديداً لسائلة وفاة غوردن كلود، واعتبر - شأنه في ذلك شأن الرأي العام المحلي - أن أسرة غوردن قد لقيت معاملة سيئة. وكان يتفق مع الرأي الشائع القائل بأن السيدة غوردن كلود لم تكن ليدياً وأن أخاها كان واحداً من أولئك الشباب مثيري المشكلات من عناصر القوات الخاصة السابقين، وأن أولئك العناصر - رغم قناعتهم أثناء الحرب - ينبغي النظر إليهم بعين الريبة والحذر.

- لا أحسبني بحاجة لأن أشرح لك - أيها المفوض - بأنه إن كان زوج السيدة غوردن الأول ما يزال حياً لأن ذلك يعني الكثير بالنسبة لنا كمحاكمة، وقد كانت قصة بياتريس تلك أول خبر أسمعه باحتمال وجود مثل هذه الحالة ثم أحلم أبداً بشيء كهذا. ظننت أنها كانت أرملة بكل تأكيد، وبوسعي أن أقول إن القصة هزنتي كثيراً، حتى فقد استغرق بعض الوقت لاستيعابها. فقد اضطررت إلى ترك الفكرة تختمر كما تعلم.

أوما سينس برأسه مرة أخرى. فقد كان بوسعه أن يشغل اجترار راولي للقضية ببطء وتقليبه لها في عقله مراراً وتكراراً.

- فكرت في البداية بأن من الأفضل أن أوكل القضية لعمي عمي المحامي.

- السيد جيريمي كلود؟

- نعم، ولذلك ذهبت إليه. ولا بد أن ذلك كان بعد الثامنة مساءً بقليل. كانوا ما يزالون على مائدة العشاء، فجلست في مكتب جيريمي لأنتظره. ورحبت أقلب الفكرة في عقلي.

- نعم، وبعد؟

- ووصلت أخيراً إلى نتيجة مفادها أن علي أن أمضي أنا في القضية وأعرف بعض الأمور الإضافية عنها قبل إطلاع عمي عليها. فقد وجدت - أيها المفوض - أن المحامين كلهم سواء، فهم يطلبون جداً، حذرون جداً، ويطالبون بالتأكد تماماً من الحقائق قبل أن يشرعوا في أية قضية. وقد جاءتني المعلومات التي حصلت بطريقة سرية بعض الشيء، فارتيت بأن جيريمي المعجوز لا بد أن يترده ويُسوف قليلاً بشأن الاعتماد على تلك المعلومات والتحريك على صوتها. ولذلك قررت أن أذهب إلى فندق ستاغ وأرى ذلك الرجل بنفسي.

- وهل فعلت ذلك؟

- نعم. عدت مباشرة إلى الفندق.

- في أي وقت كان ذلك؟

فكر راولي وقال: ذهني أفكر. لا بد أنني ذهبت إلى بيت جيريمي في نحو الثامنة والثلاث، أو أكثر بخمسي دقائق... حسناً، لن أستطيع تحديد ذلك بدقة يا سينس، إلا أنه كان بعد الثامنة والنصف، وربما كان في التاسعة إلا ثلثاً...

- نعم يا سيد كلود، وبعد؟

- كنت أعرف أين يقيم الرجل. فقد ذكرت بلاتريس رقم غرفته، ولذلك توجهت إليها مباشرة وقرعت الباب، فقال: ادخل. فقد خلعت.

سكنت راوولي قليلاً ثم مضى قائلاً: بشكل ما، لا أحسب أنني تعاملت مع الموضوع بشكل جيد. فقد ظننت عندما دخلت بأنني أن صاحب الكلمة العليا، ولكن الرجل كان -دون شك- رجلاً ذكياً. ثم استطع أن أترزع منه أي اعتراف محدد بنواياه. وقد ظننت أنه سيحدث عندما لمحت إلى أنه كان يمارس شيئاً من الأيتزاز، ولكن ذلك لم يحدث. وكأنه قد أفرجه وأثار استمتاعه. وقد سألتني: "تأ لوفاجته". إن كنت أنا أيضاً قد نزلت السوق.

قلت له: "لا يمكنك أن تلعب لعبتك القذرة معي، فليس عندي أنا ما أعفده". فقال برفاحة إن ذلك لم يكن ما قصده من عارته. قال إن القضية هي أن ندبه هو ما يبيعه فهل أنا مشر؟ قلت له: "أما الذي نعبه؟". فأجاب: "كم يمكنك، أو يمكن العائلة عموماً، أن تدفع مقابل الدليل القاطع على أن روبرت أندروهي (الذي ذكر أنه مات في أفريقيا) حي؟ يرزق وبأحسن حال؟". وسأله لماذا عندما تدفع أي شيء على الإفلاق؟ فضحك وقال: "لأن لدي زبواً سيأتيني هذه التينة ويدفع لي بالتأكد مبكراً مماثل مقابل دليل يؤكد أن روبرت أندروهي ميت! - بعدها، بعدها فقدت أعصابي قليلاً وقلت له إن عاشني لم تعد التينام يمثل هذه الأعمال القذرة الملتوية. قلت له إنه إذا كان أندروهي حياً فلا بد أن يكون إثبات ذلك سهلاً. وعند هذه النقطة كنت أهم بالخروج عندما ضحك وقال بنية كانت غريبة فعلاً: "لا أظنك تستطيعون إثبات ذلك دون تعاون مني أنا". قال ذلك بطريقة غريبة.

- وبعدها؟

- حسناً، بصراحة، ذهبت إلى البيت مشوشاً بعض الشيء. شعرت بأنني أفسدت الأمور، وطمعنت لو أنني تركت الأمر لجيريمي الميجور ليعالجه بطريقته. أعني أن المحامي معتاد على التعامل مع زبائن أشقياء محتالين.

- في أية ساعة غادرت الفندق؟

- لا أدري. ولكن، لحظة... لا بد أن ذلك كان قبل الساعة تماماً لأنني سمعت دقائق نشرة الأخبار من خلال إحدى النوافذ وأنا أمير القرية.

- هل تحدثت عن هوية الشخص الذي ينتظره؟ أعني «الزبون»؟

- كلا، ولكنني سلمت جداً بأنه ديفيد هنتر. فمن عساه يكون غيره؟

- ألم يبد لك الرجل خائفاً قلقاً من تلك الزيارة بأي شكل؟
- لقد قلت لك إن الرجل كان مسروراً جداً، راضياً عن نفسه، وبكامل الحيوية.

- أشار مبس إلى الملقط الفولاذي الثقيل وقال: هل لاحظت وجود هذا الملقط على مشبك الموقد يا سيد كلود؟

- هذا؟ لا لا أظن ذلك. ثم تكن النار موقدة.

- ثم قلب جيبه محاولاً تحيل المشهد وأضاف: كان في المشبك

قضايا تحريك النار. أنا واثق من ذلك. ولنكتفي لا أستطيع القول
إنني دقت في أنواعها لهذا الملقط هو الذي...

أوما سينس بالإيجاب وأكمل العبارة: هم رأسه.

عبي راوولي وقال: غريب. إنه هتر رجل وفيق البنية. وكان
أردن رجلاً ضخماً قوياً.

قاله المفوض بنبذة رسمية جامدة: يقول التقرير الطبي إنه ضرس
من الخلف. وإن الضربات التي شددت يوليس الملقط قد حُصرت
من الأعلى.

قال راوولي متأملاً: لقد كان ذلك الرجل - بالطبع - واثقاً بنفسه
إلى حد الاستهتار. ولكن، مع ذلك، ما كنت لأدبر ظهري في
الغرفة لرجل أحاول امتصاص دمه ابتزازاً. خاصة إن كان قد حاض
مبارك قتالية صارية في الحرب. لا شك أن أردن لم يكن رجلاً
شديد الحذر.

قال المفوض بتحفظ: لو كان حذراً، لكان المرجح أن نجده
حيّاً الآن.

هتف راوولي بحماسة: نمت من الله لو كان حيّاً. فأتنا أشعر أنني
أفسدت الأمور كثيراً. ولو أنني، فقط، لم أشد رجائي وأخرج، تريح
كنت استطعت أن أحصل منه على شيء مفيد. كان عني أن أظاهر
بأننا دخلنا فعلاً السوق. ولكن الأمر سخيّف جداً. أعني: أين نحن
من روزالين وديفيد حتى نضارب عليهما؟ فهما من يملك المال.
وليس قينا من يستطيع جمع خمسة جنيه من العائلة كلها.

أخذ المفوض بالتداحة المذهية وقال: هل رأيت هذه من قبل؟

ظهر تعذر بين حاجبي راوولي. ثم قال ببطء: لقد رأيتها في
مكان ما. - ولنكتفي لا أتذكر أين. قبل فترة بسيطة. لا، لا أستطيع
تذكر ذلك.

لم يقدم سينس التداحة ليد راوولي الممدودة، بل أعادها إلى
مكانها وأخذ أحمر الشفاه وأخرجه من حبلته وقال: وهذا؟

فهتف راوولي وقال: هذا ليس ضمن اهتماماتي أيها المفوض.

من المفوض أحمر الشفاه على ظاهر يده بتزودة، ثم مال برأسه
وهو يتعصر أثره وقال: أظنه مما تستعمله السمراوات.

عربة هي الأشياء التي تعرفونها معشر الشرطة.

ثم نهض وقال: ألا تعلم بالضبط من كان الرجل الميت؟

هل لديك أنت أية فكرة يا سيد كلود؟

قال راوولي بتسهل: كنت أنساءل فقط أعني أن هذا الرجل كان
عليك التوحيد إلى أندرمي. أما الآن، وقد مات، فإن البحث عن
أندرمي سيكون كالبحث عن إبرة في كومة من القمح.

- سيذبح النبأ يا سيد كلود. تذكر أنه مع تقدم القضية سيظهر
الكثير من تفصيلاتها في الصحافة. وإن كان أندرمي حيّاً وقرأ شيئاً
حول ذلك فربما تقدم وظهر.

قال راوولي بإرتياب: نعم، ربعا.

- ولكنك لا تظن هذا أبس كذلك؟

- أضل أن الجولة الأولى قد انتهت لمصلحة ديفيد هتر.

- من يلدي...

وفيما خرج راوولي رفع سبنس القداحة الذهبية ونظر إلى الأحرف الأولى المسقورة عليها «د. ه. ا.». ثم قال للرفيق غريغز: إنها قطعة ثمينة، وليست من تلك القداحات التي تُنتج بكميات كبيرة. يمكن التعرف عليها وعلى مصدرها بسهولة. لا بد أنها من محل غريغزوكسر أو غيره من محلات شارع بوند. تول أنت الاستفسار عنها.

- نعم يا سيدي.

ثم نظر المفوض إلى الساعة اليدوية. كان زجاجها مهتماً وعقاربها تشير إلى الساعة التاسعة وعشر دقائق. نظر إلى الرفيق وقال: هل نلقب التقرير بخصوصها؟

- نعم يا سيدي، نابضها الرئيسي مكسور.

- وماذا عن آلية عقاربها؟

- إنها سليمة تماماً يا سيدي.

- ما الذي تقوله لنا هذه الساعة برأيك يا غريغز؟

نعم غريغز باحتراس. يبدو كما لو أنها يمكن أن تدلنا على وقت وقوع الجريمة.

- آه. عندما تقضي في سلك الشرطة ما قضينه أنا من زمن، ستصبح أكثر شكاً في أي شيء. جاهز سهل المال من قبيل ساعة محطمة. ربما كان الأمر صحيحاً وكان نحطها حقيقياً... ولكنها حيفة قديمة معروفة؛ إذ ما عليك إلا إدارة عقارب الساعة إلى الوقت الذي يلائمك. ثم نحطها، ونخرج بعذر غياب عن مسرح الجريمة وقت وقوعها. ولكنك لا تستطيع تضليل محقق عنيد بذلك الطريقة. إنني أتعامل بحذر فيما يخص وقت ارتكاب هذه الجريمة. المفحص الطبي يقول إنها وقعت بين الثامنة والحادية عشرة ليلاً.

نحج غريغز وقال: يقول إدوارد -البستاني في منزل فوردوانك- إنه رأى ديفيد هتر يخرج من باب جانبي لذلك المنزل نحو السابعة والنصف. ولكن الخادومات لم يكن يعرفن أنه كان موجوداً هناك، فقد حسبن أنه كان في لندن مع السيدة غوردن. وهذا يعني -دون شك- أنه كان في المنطقة.

- نعم. سأجد متعة في سماع رواية هتر نفسه عن تحركاته.

قال غريغز وهو ينظر إلى الحروف الأولى على القداحة: تبدو هذه قضية واضحة يا سيدي.

- نعم. ولكن ما تزال هذه بحاجة إلى تفسير.

وأشار إلى أحمر الشفاه.

- كانت متدحرجة تحت خزانة الأدراج يا سيدي. ربما كانت هناك منذ زمن بعيد.

- لقد دفنت في ذلك. كانت آخر مرة نزلت امرأة فيها في تلك

الغرفة قبل ثلاثة أسابيع وأنا أعلم أن خدمة الضاق ليست ممتازة هذه الأيام، ولكنني أحسب - مع ذلك - أنه لا يمكن أن تمر ثلاثة أسابيع دون أن يمددوا ممسحة تحت الأثاث، والمخاضون على فندق شام يبقونه نظيفاً تماماً ومرتباً بشكل عام.

- ولكن ثم يرد أي ذكر لامرأة تعاملت مع أردن.

- أعرف. ولذلك فإن أحمر الشفاه هذا هو ما أسميه: «الرقم المجهول».

أحجم الرقيب غريغز عن القول: «البحث عن المرأة» باللغة الفرنسية؛ فقد كانت لغته الفرنسية ممتازة جداً، ولكنه كان أكثر أدياً من أن يزجج المفوض سبنس بلغت اتباعه إلى نفقة هذا. فقد كان الرقيب غريغز شاباً ثقلاً.

الفصل السابع عشر

رفع المفوض سبنس بصره إلى مجمع شيفردز كورت في منطقة مائي غير قبل أن يدخل البوابة الضخمة المناسقة. كان المجمع - الذي بُني دون التفات للمظهريات في منطقة شيفرد ماركس - يوحى بالتعقل وارتفاع السمر وعدم لفت الأنظار إليه.

وفي داخل المجمع عرفت فدما سبنس لي سجاد طويل الضخمة ناعماً، وكان ثمة مقعد مخملي القماش وحوض مليء بالنباتات المزهرة، وأمامه مصعد ويضع درجات في أحد جانبيه، وإلى يمين الصالة باب كتب عليه كلمة «المكتب». دفع سبنس الباب ودخل، فوجد نفسه في غرفة صغيرة فيها طاولة لخدمة الضيوف وخلفها طاولة صغيرة وآلة طابعة وكريسان. كان أحد الكرسيين قرب الطاولة الصغيرة بينما وُضع الآخر - الأكثر فخامة - في وضع مائل مقابل النافذة. ولم يكن في الغرفة أحد.

رأى سبنس جرساً على طاولة لخدمة الضيوف المصنوعة من خشب الماغوني، فضغط عليه، ولما لم يستجب أحد ضغط عليه ثانية، وبعد لحظات انفتح باب في الجدار المقابل له، وظهر منه

وجعل متآلق برندي زي الخدمة. وكان مظهره يوحى بأنه جنرال أجنبي
أو ماريشال، ولكن لهجته كانت لهجة أهل لندن، بل لهجة الأميين
من أهل لندن.

- نعم يا سيدي.

- إنني أبحث عن شقة السيدة غوردون كلود.

- في الطابق الثالث، هل أكلبها بالهاتف قبل أن تصعد؟

- إنها هنا، أليس كذلك؟ كنت أظنها في الريف.

- بل هي هنا منذ السيت الماضي.

- والسيد ديفيد هنتر؟

- والسيد هنتر كان هنا أيضاً.

- ولم يأت؟

- نعم يا سيدي.

- هل كان هنا ليلة أمس؟

قال «الماريшал» وقد أصبح عدوانياً فجأة: حسناً، ما هذه
الأسئلة؟ أتريد أن تعرف تاريخ حياة كل فرد؟

أخرج سينس بصمت بطاقته الخاصة بالشرطة وعرضها على
الرجل الذي سرعان ما استرخى ليصبح أكثر تعاوناً وهو يقول: إنني
أسف بالتأكيد. كيف لي أن أضمن عملك؟

- ولأن إذن، هل كان السيد هنتر هنا ليلة أمس؟

- نعم يا سيدي، كان هنا. حسب عظمي على الأقل، أي أنه
لم يقل إنه سافر.

- هل كان من شأنك أن تعرف لو أنه سافر؟

- بشكل عام: لا. لا أحب أنه كان يوسعي أن أعرف. عادة ما
يخبرني السادة والسيدات إن كانوا سيغيرون عن المجمع، إذ يوصون
بتعليمات معينة بخصوص الرسائل أو بخصوص ما يريدون أن نقوله
لنم يهاتفونهم.

- هل تمر المكالمات الهاتفية من خلال هذا المكتب؟

- كلا، فمعظم الشق خطوطها الهاتفية الخاصة. إلا أن بضعة
ساكنين يفضلون عدم وجود خط منفصل لهم، وفي هذه الحالة فإننا
نكلمهم بالهاتف الداخلي لينزلوا ويردوا على مكالماتهم من هاتف
المصالة.

- ولكن لشقة السيدة كلود هاتفها الخاص، أليس كذلك؟

- بله يا سيدي.

- وحسب معلوماتك كان الاثنان هنا ليلة أمس؟

- نعم.

- ماذا بشأن وجبات الطعام؟

- يوجد مطعم تابع للمجمع، ولكن أشبه كنود وأسيد هنر لا يرتادانه كثيراً، فهما عادة ما يخرجان لتناول العشاء في الخارج.
- والإفطار؟

- الإفطار يتم تقديمه للشقق.

- أيسمك أن نعرف إن كان قد تم تقديم إفطار لهما هنا الصباح؟

- نعم يا سيدي، أستطيع معرفة ذلك من قسم خدمة الغرف.

هز سينس رأسه وقال: سأصعد الآن، أخبرني بذلك عند نزولي.

- حسناً يا سيدي.

دخل سينس البصعد وضغط على زر الطابق الثالث. لم يكن في كل طابق سوى شقطين، وفتح سينس جرس الشقة رقم ٩. وفتح ديفيد هنر الباب، ولم يكن يعرف المفوض شكلاً، فخطاه بجفاء قائلاً: حسناً، ما الأمر؟

- السيد هنر؟

- نعم.

- أنا المفوض سينس أيمكنني التحدث معك؟

- عذراً أيها المفوض، ظننتك يائماً مشغولاً. تفضل.

قاده إلى غرفة عصرية جميلة. كانت روزالين كلود تقف قرب

النافذة، والتفتت ندى دخولهما وقال ديفيد هنر معرفاً: المفوض سينس... روزالين. تفضل بالجلوس أيها المفوض، أشرب شيئاً؟
- كلا، شكرًا يا سيد هنر

كانت روزالين قد أحتت رأسها قليلاً، والآن جلست وظهرها إلى النافذة. وقد أصبحت راحتها ماحكماً فوق حضنها.

قدم ديفيد لفاص نبيغ وقال: هل تدخن؟

أخذ سينس ثقافة وقال: شكرًا، ثم انتظر. وراقب ديفيد وهو يدرس يده في جيبه، ثم يخرجها ويقلب جيبيه، ثم ينظر حوله، ثم يأخذ علبة ثقاب وفتح عليها نظره. أشعل عود ثقاب وأشعل به ثقافة المفوض. ثم أشعل ثقافته بدوره وقال بهدوء: حسناً، ما الخطأ الذي حدث في ورمزلي فيل؟ هل تبين أن طباعتنا نتعامل بالسوق السوداء؟ إنها تقدم لنا طعاماً رائعاً، وقد كنت أساءل دوماً إن كانت خلف الموضوع قصة شريفة.

أجاب المفوض قائلاً: الأمر أخطر قليلاً من ذلك لقد مات رجل في فندق سناغ الليلة الماضية. لعلك قرأت ذلك في الصحف؟

هز ديفيد رأسه بانهمي وقال: لا، لم ألاحظ ذلك. وماذا بشأنه؟

- إنه لم يمض فحسب، بل إنه قُتل. كان رأسه مهشماً!

صدرت عن روزالين شهقة استغراب حاولت كتمها، فقال

ديفيد بسرعة: أرجوك أيها المفوض أن لا تتوسع في التفصيلات، فأعطني رقيقة جداً ولا تتحمل ذلك. وإن سمعت ذكر الدماء فقد يُنمى عليها.

- آه، إنني آسف لم تكن في المسألة أية دماء تذكر. ومع ذلك فقد كانت جريمة قتل بكل تأكيد.

ارتفع حاجبا ديفيد، وقال بركة: إنك تثير اهتمامي. وأين موقع نحن من ذلك؟

- كنا نأمل أن تخبرنا شيء عن هذا الرجل يا سيد هنتر.

- أتما؟

- لقد ذهبت لرويته مساء يوم السبت الماضي. كان اسمه إينوك أردن، أو هكذا سجل نفسه في الفندق.

نعم، بالطبع، تذكرت الآن.

كان ديفيد يتكلم بهدوء ودون حرج

- حسناً يا سيد هنتر؟

- أعتني أنني لا أستطيع مساعدتك أيها المفوض، فأنا لا نكاد أعرف شيئاً عن الرجل.

- هل كان اسمه إينوك أردن حقاً؟

- أشك كثيراً في ذلك؟

- ولماذا ذهبت لرويته؟

- مجرد واحدة من قصص الحظ العاثر المعتادة. فقد ذكر أماكن معينة من أيام الحرب وأناشأ... كانت مجرد محاولة لطلب للحال كما أظن، وكان ما تبقى أقرب إلى الأعذار الزائفة.

- وهل أعطيت أية أموال يا سيد هنتر؟

أجاب ديفيد بعد لحظة صمت قصيرة جداً: خمسة جنيهات فقط، لجلب الحظ. كان صحيحاً أنه اشترك في الحرب.

- وهل ذكر أسماء معينة تعرفها أنت؟

- نعم.

هل كان أحد تلك الأسماء الكابتن روبرت أندرهري؟

والآن حصل أخيراً على التأثير الذي يريده، فقد تصلب ديفيد، وأطلقت روزالين من خلفه شهقة خوف بسيطة.

سأل ديفيد أخيراً: ما الذي يجعلك تظن ذلك أيها المفوض؟

كانت عيناه حفرتين تفرسان. وأجاب المفوض ببرود يخفي شأهه: ممنوعات تلقينها.

ساد صمت قصير كان المفوض يحس خلاله بعيني ديفيد تفرسنته وتقومانه. أما هو فقد انتظر بهدوء. وأخيراً سأل ديفيد: هل لديك أيها المفوض أية فكرة عن يكون روبرت أندرهري؟

- أحب أن عليك أنت أن تخبرني.

- لقد كان روبرت أندرهى الزوج الأول لأختي، وقد مات في أفريقيا منذ عدة سنين.

سألت سينس بسرعة: أنت متأكد تماماً من ذلك يا سيد هنتر؟

- متأكد تماماً هذا ما حدث، أليس كذلك يا روزالين؟

الفتت إليها. قالت بسرعة وبأنفاس متلاحفة: آه، بلى! لقد مات نتيجة الحمى، حمى البول الأسود. كان ذلك محزناً جداً.

- تشتت أحياناً فقصص لا تكون صحيحة يا سيدة كلود

لم تقل شيئاً. لم تكن تنظر إليه، بل إلى أختها ثم قالت بعد لمحات روبرت مين:

قال المفوض: لقد فهمتُ من المعلومات المتوفرة لدي بأن هذا الرجل - إينوك أودن - ادعى أنه صديق لـ روبرت أندرهى - وحي نفس البرقت أخبرك يا سيد هنتر بأن روبرت أندرهى على قيد الحياة.

هر ديفيد رأسه يافياً وقال: هذا هراء، هراء تماماً

- هل نجزء نحدد بأن اسم روبرت أندرهى لم يذكر؟

اسم ديفيد إشامة ساحرة وقال: آه، لقد تم ذكره، كان ذلك الرجل المسكين قد عرف أندرهى.

- أتم تكن في الأمر قضية... ابتزاز، يا سيد هنتر؟

- ابتزاز؟ إنني لا أفهمك أيها المفوض.

- أحقاً لا تفهمني يا سيد هنتر؟ بالمعاسبة، ومن باب التحذيرة

على الشكليات: أين كنت ليلة أمس... لنقل: بين الساعة السابعة والحادية عشرة؟

- ولتفرضي - من باب الشكليات - أنني رفضتُ الإجابة؟

- أنت تتصرف بشيء من الطفولية يا سيد هنتر؟

- لا أظن. إنني أكره. وقد كررت دوماً، أن يسألك علي أحد.

شعر المفوض أن ذلك ربما كان صحيحاً. لقد سبق له أن عرف شهوداً من أمثال ديفيد هنتر. شهوداً كانوا يعرفون التحقيقات لمجرد حبهم لعرفانها، وليس - أبداً - نتيجة إغرائهم لحقائق معينة. كان يبدو أن مجرد الطلب منهم أن يفسروا قُدوهم وروايتهم كقيل بأن بشر في نفوسهم كبرياء وعناداً متعللياً بحيث يفسعون جُل اهتمامهم في إثارة كل ما يستطعمونه من مشكلات في مجرى العدالة. ورغم أن المفوض منى يفتخر بنفسه تشبعه بعقل منصف متفتح، إلا أنه - مع ذلك - جاء إلى هذا الجميع وفي ذهنه فناعة راسخة بأن ديفيد هنتر قاتل. والآن يشعر للمرة الأولى بأنه غير واثق من ذلك. وقد أبطلت الشكوك لديه الصبانية نفسها التي ميزت نمرود ديفيد وتحديه.

نظر سينس إلى روزالين كلود التي استجابت فوراً وقالت لأختها: ديفيد، لماذا لا تخبره؟

أضاف المفوض تعقياً على كلامها: صحيح يا سيدة كلود! لا تريد إلا أن تصيح الأمور.

انصبر ديفيد غاضباً: لا بد أن تكف عن التقوي على أختي.

اسمعت؟ وماذا بهنك مكان وجودي إن كان هنا، أو في ورمزني
فيلي، أو في أقصى انديتها؟

قال سبنس محذراً: سوف يتم استدعاؤك لاستجواب المحكمة
يا سيد هنتر، وهناك منظر للإجابة على الأسئلة.

- سأنتظر الاستجواب إذاً والآن - أيها المفوض - هل أغريت
عن وجهي؟

نهض المفوض هادئاً ولبط الجاش وقال: حسن جداً يا سيدي،
ولكن لدي سؤال للسيدة كلود قبل ذلك.

- لا أريد إزعاج احتي.

- بالتأكيد. ولكنني أريدها أن تلقي نظرة على المجلة وتخبرني
إن كان بوسعها التعرف إلى الرجل، وأنا أتحدث هنا ضمن حقوقي.
هذا أمر لا بد أن يتم عاجلاً أم آجلاً، فلماذا لا تدعها تأتي معي الآن
وتنتهي من الموضوع؟ لقد سمع أحد الشهود السيد آرذن يقول إنه
كان يعرف روبرت أندوهي، ولذلك فربما كان يعرف السيدة أندوهي
أيضاً، وربما كانت السيدة أندوهي تعرفه. وإذا لم يكن اسمه إيرن
آرذن فمن المفيد أن نعرف ما هو اسمه حقاً.

نهضت روزالين على غير توقع وقالت: سوف أتى بالطبع

توقع بسر موجة غضب جديدة من ديفيد، ولكن ما أدعته
أن ديفيد ابتسم وقال: ذلك جيد يا روزالين، وعلي أن أعترف بأنني
شخصياً فضولتي لمعرفة الأمر؛ إذ يمكنك - في نهاية المطاف - أن
تضفي اسماً لتلك الرجل.

قال لها سبنس: ألم تشاهده أنت في ورمزني فيل؟

هزت رأسها قاتلة: أبدأ؛ فأنا هنا منذ يوم السبت الماضي.

- وقد وصل آرذن ليلة الجمعة. نعم.

سألت روزالين: أتريد أن أذهب الآن؟

طرحت سؤالها بشيء من خنوع طفلة صغيرة، وقد أثر
ذلك إيجابياً على المفوض رغمًا عنه؛ فقد كان فيها من الطوعية
والاستعداد ما لم يكن يتوقعه. قال لها: سيكون ذلك لطفاً كبيراً منك
يا سيدة كلود. فكلما توصلنا إلى إثبات الحقائق نهائياً بشكل مبكر
كان ذلك أفضل، ولكن ليس معي سيارة شرطة.

غير ديفيد الفقرة باتجاه الهاتف خائلاً: سأحصل بمكتب نايجير
السيارات، ربما كان استئجار البارة خارج صلاحيتك القانونية،
ولكنني أحسب أنك تستطيع ترتيب ذلك أيها المفوض.

- أحسب أن ذلك ممكن يا سيد هنتر.

ثم نهض وقال: سأكون في انتظاركما في الطابق السفلي.

نزل بالمصعد وفتح ثاوية باب المكتب. كان «الماريشال» في
انتظاره، فآله: حسناً، ماذا وجدت؟

- لقد تم استخدام كلا السريرين في الليلة الماضية يا سيدي،
وكذلك الحمامات والمناشف، وقدم لهما الإفطار في الشقة في
الساعة التاسعة والنصف صباحاً.

- ألا تعرف في أية ساعة عاد السيد هنتر ليلة أمس؟

أخشى أنني لا أمك أية معلومات إضافية يا سيدي.

رأى مينس أن مهمته مع «المارشال» قد انتهت وتساءل إن كان من سبب لرئيس ديفيد الكلام غير ذلك النحدي الصبي اليموت. إن عاين أن يدرك بأن تهمة قتل تعويج حوته، وعينه -بتأكيد- أن يفهم بأن إسماعه في الإلقاء شهادته إنما هو أفضل له؛ إذ ليس من الحكمة في شيء أن يستعدي الأمر الشرطة عليه. ولكنه أحسن بأن استعداء الشرطة هو بالضغط ما يجد فيه ديفيد هتير منعة كبيرة.

لم يتكلم الثلاثة إلا قليلاً أثناء الطريق وعندما وصلوا إلى المشرحة كانت روزاين كلود شاحبة نحماً ويدها ترتجفان وقد ديفيد قلقاً عليها، وأخذ يحدثها كما لو كانت طفلة صغيرة. لم يستغرق الأمر إلا دقيقة أو اثنتين يا عزيزتي. لا شيء مزعج أبداً، ولا تقنني. اذهبي مع المفوض وسأنتظركما لا يوجد أي داع للقلق؛ ستجدينه هادئاً أشبه بالنائم.

قومات له برأسها ومدت له يدها التي صعد عليها متجمدة وقال: كوني فتاة شجاعة يا عزيزتي.

وفيما هي تتبع المفوض قانت بصوتها الرقيق. لا نحسبي حانة جداً أيها المفوض ولكن عندما يموت جميع من هي البيت، يموتون جميعاً باستثنائي أنا، يا تلك الأدلة الفظيعة في لندن؟

قال ملاطفاً: إنني أقسم يا سيدي كلود، أعلم أنك مررت بتجربة مريرة أثناء الغارات الألمانية عندما قتل زوجك. ولكن الأمر لن يستغرق -حقاً- إلا لحظات قليلة.

وبإشارة من مينس تم رفع الغطاء عن رأس الحجة، ووقفت روزاين كلود تنظر إلى الرجل الذي سمي نفسه إينوك آردين. فيما وقف مينس جانباً دون تدخل وهو يراقبها بكل انتباه.

نظرت إلى الميت بفضول أقرب إلى الحيرة. ثم تبدل عليها أية مفاجأة أو أي مؤشر لعاطفة أو تعارف على الميت، بل مضت تنظر إليه لفترة طويلة وهي متعجبة. ثم قالت بكل هدوء وواقعية: ليرحمه الله. إنني لم أر هذا الرجل في حياتي، ولا أعرف من هو.

فكر مينس مع نفسه قائلاً: إما أن تكوني من أفضل الممثلات اللاتي عرفهن أو أنك تقوين الحقيقة.

وفيما بعد اتصل مينس براولي كلود وقال له: لقد أخذت الأرملة إلى المشرحة وهي تجزم بأنه ليس روبرت أندرهري، وأنها لم تره أبداً من قبل، وهذا ينهي القضية.

ساد الصمت قليلاً، ثم قال راولي ببطء: هل ينهيها حقاً؟

- أحسب أن من شأن أية هيئة محلفين أن تصدقها، في غياب ما يتقص ذلك بالطبع.

قال راولي: نعم، ثم أقبل السماع.

بعدها انقضى راولي -وهو يقطب جبينه- دليل الهاتف الخاص بلندن. وليس الدليل المحلي، ثم مضت أصابعه بسرعة إلى الحرف «ب»، وسرعان ما وجد ضالته.

الكتاب الثاني

الفصل الأول

طوى هيركيول بوارو بحسبة آخر صحيفة من الصحف التي أرسل خادمه جورج لإحضارها كانت المعلومات التي أوردتها تلك الصحف قليلة فقد ذكر في التقرير الطبي أن جميعة الرجل قد تم اختراقها بسلسلة من الضربات القوية. وقد تم تأجيل الاستجواب لمدة أسبوعين، وطلب من كل من يستطيع الإدلاء بمعلومات عن رجل يدعى إينوك أردن. يُعتقد أنه وصل مؤخراً من كيب تاون. أن يتصل برئيس شرطة أومسبير.

وضع بوارو الصحف على شكل رزمة مرتبة وأسلم نفسه للتأمل. كان مهتماً بالموضوع ربما كان من شأنه أن لا يقف طويلاً عند الفقرة القصيرة الأولى نولا الزيارة الأخيرة للسيدة لينيل كلود. ولكن تلك الزيارة قد ذكرته - بكل وضوح - بأحداث ذلك اليوم في النادي خلال الغارة الجوية. تذكر - على نحو واضح - صوت العيجر بوثر وهو يقول: «وما رأيته أظهر باسم إينوك أردن» في مكان ما على بعد ألف ميل لئلا يحين جديدة. وشعر أنه يريد الآن - جاهدًا - أن يعرف المزيد عن هذا المدهور «إينوك أردن» الذي خر صريعاً قتيلاً في ورمزلي فيل.

تذكر أنه يعرف المقوض ميس من شرطة أوستنبر معرفة
عبرة، كما تذكر أيضاً بأن الشاب ميلون يعيش على مقربة من ورميني
هيت. وأنه يعرف جيرمي كلود. وفيما هو يفكر في إجراء مكالمات
هاتفية مع ميلون دخل خادمه جورج وأعلن أنه شاباً يدعى راوئي
كلود يرغب برؤيته

هاتف بوارو بارتياح: أه. أذعنه.

دخل شاب وسيم قلبي انقسمت، بدا حائراً كيف يبدأ حديثه،
فقال بوارو مشجعاً: حسناً يا سيد كلود، بماذا تستطيع مساعدتك؟

كان راوئي كلود يتأمل بوارو بشيء من الريبة: الناشئان الكثير
الضخامات، وأناقاة الملابس، والواقفات البيضاء على الحذاء كلاً
ينسخ، ثم الحذاء الجلدي المذهب... كل ذلك ملائف هذا الشاب
الغروي ضيق الأفل بمشاهير معددة من الريبة وعدم الثقة. ولقد أدركت
بوارو تماماً ما كان في خلده الشاب، وشعر بشيء من القسوة بذلك

بدأ راوئي حديثه بشيء من الهم: أحسني أنني مضطرب لشرح من
أنا وما أنني فئت. إنك لا تعرف اسمي، ...

قاطعه بوارو: لا، إنني أعرف اسمك تماماً! فقد جاءت صفتك
لمقابلتي للأسبوع الماضي

- عمتي؟

ففر راوئي فمه، ونظر إلى بوارو بدهشة بالغة، وبدأ واضحاً
لبوارو أن ذلك كان - حقاً - غيراً جديداً لراوئي. بحيث استبعد بوارو
حده الأول بأن التياراتين مرتبطتان ببعضهما البعض. بدا أنه الأمر

الوعدة - مصدفة كبرى: أن يعمد اثنان من عائلة كلود إلى استشارته
خلال فترة زمنية قصيرة كهذه، ولكنه سرعان ما أدرك بأنه لم تكن
في الأمر مصدفة، وهو لا يبدو أن يكون تلسلاً طبعياً ناتجاً عن
قضية واحدة.

قال بوارو: أحب أن السيدة ليونيل كلود هي فعلاً عمتك.

بدأ وكأن دهشة راوئي زادت عما كانت عليه، وقال غير
مصدق: العمة كاتي؟ لا شك أنك... لا شك أنك تعني السيدة
جيرمي كلود، أليس كذلك؟

هز بوارو رأسه بالنفي، فقال راوئي: ولكن، ماذا هي العمة
كاتي تريد؟

نتم بوارو كمن ينفضي بسراً: لقد توجهت إلي - كما فهمت -
من طريق هدي روحي.

- أه، يا إلهي؟

اوضح راوئي وبدأ كمن أعجبه ذلك، ثم قال وكأنه يطمئن
بوارو: إنها كذلك، ولكنها غير مؤذية أبداً.

- لا أدري.

- ماذا تعني بذلك؟

- هن من أحد غير مؤذ أبداً؟

حذق راوئي بأنه، فتهد بوارو وقال بحزم مهذب: لقد جئت
إلي لتطلب مني شيئاً، أليس كذلك؟

عادت النظرة الثالثة إلى وجه راوولي وقال: إنها قصة طويلة بعض الشيء، وأخشى...

كان بوارو أيضاً يخشى سماع القصة، إذ كانت لديه فكرة حدود مفادها أن راوولي كلود لم يكن ممن يصلون إلى ثبب الموضوع بسرعة. ولذلك فقد استرخى على كرسيه وأغمض عينيه نصف إغماضاً جيداً بدأ راوولي حديثه: لقد كان عمي غوردون كلود...

قال بوارو مساعداً: إنني أعرف كل شيء عن غوردون كلود.

- حسناً، لا حاجة - إذن - لتشرح. لقد تزوج قبل بضعة أسابيع من وفاته، تزوج امرأة شابة تدعى السيدة أندريه. وعند وفاته تولى في ورمزني قبل، هي وأخوها وقد هبت جميعاً أن زوجها الأول كان قد توفي نتيجة الحمى في أفريقيا، ولكن يبدو الآن أن الأمر قد لا يكون كذلك.

اعتدل بوارو في جليسته وقال: أه، وما الذي فادك في هذا المخبئ؟

شرح راوولي قضية مجيء السيد إيتوك أردن إلى ورمزني قبل لم قال، ربما تكون قد قرأت عن ذلك في الصحف؟

ساعده بوارو ثانية، قائلاً: نعم، قرأت

ومضى راوولي في حديثه، هو صنف تطاعه الأول من ذلك الرجل، أردن، وزيارته لفندق ستاخ، والوسيلة التي استعملها من بيترس تيبينكوت، وأخيراً الحديث الذي سمعته بيترس في الغرفة

رغم هـ، ثم قال: لا يمكن - بالطبع - أن يتأكد الأمر مما سمعته فعلاً بدقة، ربما بالغت قليلاً في الأمر كله... أو حتى قهقهة خطأ.

- وهل روت قصتها للشرطة؟

هو راوولي وأمه بالإيجاب قائلاً: لقد أخبرتها أن ذلك أفضل.

- أرجو أن تعذرني، ولكنني لا أستطيع أن أفهم تماماً لماذا جئت إنني يا سيد كلود؟ هل تريد مني أن أحقق في... جريمة القتل هذه؟ لأنني أحسب أنها جريمة قتل فعلاً.

- أه، لا، لا أريد شيئاً من ذلك، فهذا من شأن الشرطة، ما من شك في أنه قتل فعلاً. كلاً، ما أريده هو التالي: أريدك أن تكشف لي هوية ذلك الرجل.

صاغت عينا بوارو وقال: ومن نظنه كان يا سيد كلود؟

- حسناً، إن إيتوك أردن ليس اسماً، نياً، إنه مخبئ، مقبض، ماعود من الشاعر تيبسون؛ لقد ذهبت وبحثت حتى أخرجت ذلك وهو من يتحدث عن رجل عاد ليجد زوجته وقد تزوجت رجلاً آخر.

قال بوارو يهدوه: إذن فأنت تظن أن إيتوك أردن كان هو روبرت أندريه نفسه؟

أجاب راوولي بتعجل: حسناً، ربما كان الأمر كذلك. أعني أن العمر والشكل يوحيان بهذا. لقد راجعت القصة مع بيترس مراراً وتكراراً بالطبع. ومن الطبيعي أنها لا نستطيع تذكر ما قاله الاثنان

الضبط. لقد قال الرجل إن روبرت أندريه فقط كل ما بسلك. وهو في حالة صحية سيئة ويحتاج إلى المال. ربما كان يتحدث عن نفسه. أتبي كذلك؟ ويبدو أنه قال شيئاً يفيد بأنه ليس من مصحة شيفيد هتير أن يظهر أندريه في ورمزتي فيل... ويؤكد ذلك بشي بأنه هو الذي كان هناك، مستخدماً اسماً مستعاراً.

- ما هي وثائق التعريف التي تم إبرازها خلال الاستجواب؟

هو راؤولي رأسه ياتنقي وقال: لم يتم إبراز وثائق محددة، فقط مجرّه شهادة العاملين في فندق سناخ بأنه هو الرجل الذي جاءه وسجل نفسه باسم إيتوك آردين.

- وماذا عن أورا له ووثائقه؟

- ليست لديه أية وثائق.

- ماذا؟

اعتدل بوارو في جلسته مدهوشاً وقال: لم تكن لديه أية وثائق؟

- أبداً.

- هذا مثير جداً نعم، مثير جداً.

مضى راؤولي قائلاً: وقد جاء ديفيد هتير (وهو شقيق روزاني) لزيارته في الليلة التي أعقبت وصوله، ويقول هتير في إفادته للشرطة إنه استلم رسالة من الرجل تقول إنه كان صديقاً لروبرت أندريه وأنه مُعلم قدير. ويضيف أنه ذهب إلى الفندق بناء على طلب أخته وقابل

الرجل وأعطاه خمسة جنيهات. تلك هي ووابته. وأراهن أنه يتوي الإصرار عليها! وبالطبع يتكتم الشرطة على ما سمعته بيانريس.

- وهل يقول ديفيد هتير إنه لم يكن يعرف الرجل من قبل؟

- هذا ما يقوله. ولكنني فهمت - على أية حال - أن هتير لم يسبق له أن التقى بآندريه.

- وماذا عن روزالين كلود؟

- طلب منها الشرطة أن تعاین الجثة لتري إن كانت تعرف الرجل. وقد أخبرتهم أنه غريب تماماً بالنسبة لها.

حسناً، هذا - إذن - يجيب عن سؤالك.

قال راؤولي فجأة: هل يجيب حقاً؟ لا أظن ذلك. إن كان القاتل هو حقاً أندريه، فإن روزالين لم تكن أبداً زوجة عمي، وليس لها حق في فرش واحد من أمواله. هل نظن أن من شأنها أن تفر بتعرقها إليه في ظل تلك الظروف؟

- أنت لا تتق بها؟

- أنا لا أثق بأي منهما.

- لا بد من وجود كثير من الناس الذين يستطيعون أن يحزموا قبما إذا كان ذلك القاتل هو أندريه أو غيره؟

- لا يبدو الأمر بهذه السهولة، وهذا ما أريد منك أن تفعله: أن تجد شخصاً يعرف أندريه. من الواضح أنه لا أقارب له على قيد الحياة في هذا البلد. وقد كان يوماً من النوع الانطوائي المنعزل.

ولكنني أفترض أنه لا بد من وجود خديم متيقن أو صدوق لا بد من وجود شخص ما، ولكن الحرب قد فصلت كل الثرى وألقت بالناس في كل ناحية. ما كنت لأعرف كيف يمكن البدء بمعالجة هذه القضية، كما أنني لا أملك الوقت لذلك على أية حال. فلنأخذ مزارعاً وليس ثمة من بعثني

- ولماذا أنا؟

يبدأ راؤولي معوجاً، والتمعت عينا بوارو قليلاً ثم نعمت قليلاً. هدي رويحي؟

قال راؤولي برعوبة: يا إلهي، كلا! في الحقيقة سمعت صديقه أعرفه يتكلم عنك قال إنك ساحر في مثل هذه الأمور لا أعلم شيئاً عن مقدار أجورك، وأحسبها باهظة، ونحن عائلة معدومة بعض الشيء. ولكنني أظن أن بوسعنا أن ندبر لك أجورك بالاشتراك فيما بيننا. هذا إن كنت تتولى القضية.

أجاب بوارو متفهلاً: نعم، أظن أنه ربما أمكنني مساعدتكم

عادت ذاكرته - وهي الذاكرة القوية - تدققة - إلى الماضي إلى ذلك الشخص الممل في النادي. وإلى الصحف المنسوية ثم الوجوه، والصوت الرتيب. ماذا كان اسمه؟ لقد ذكر الاسم وقتها. سيتذكره حتماً، وإن يتذكره فإن بوسعه دوماً أن يسأل ميلون. لا. لقد تذكره. بورتر... الميجر بورتر.

نهض هيركيول بوارو واقفاً وقال: هل لك أن تعود إلي بعد ظهر اليوم يا سيد كلود؟

- لا أدري. نعم، أظن ذلك ممكناً. ولكن لا يعقل أن تتمكن من القيام بشيء في هذا الوقت القصير؟

نظر إلى بوارو بخشية وانتياب. ولم يملك بوارو أن يقاوم إغراء التجمع، فقال بجديّة: لديّ وسائلي يا سيد كلود.

بدا واضحاً أن تلك العبارة كانت العبارة المناسبة، إذ ظهر على قسامة راؤولي الاحترام بأقصى درجاته وسارع إلى القول: نعم، حتماً. إنني - حقاً - لا أعرف كيف يمكنكم القيام بمثل هذه الأشياء.

ثم تقدم بوارو لي شرح بخصوص هذه النقطة. وعندما ذهب راؤولي جنس بوارو وكتب رسالة قصيرة، ثم أعطاها لخادمه جورج وأوصاه أن يأخذها إلى نادي كورنيلش وأن يأتي بإجابتها من هناك.

كانت الإجابة مرضية تماماً. لقد أرسل الميجر بورتر تحياته إلى السيد هيركيول بوارو معرباً عن ترحيبه باستقبال بوارو وصديقه في ٧٩، شارع إيدجوي، كامدن هيل. في الساعة الخامسة عصراً.



في الرابعة والنصف عاد راؤولي كلود.

- هل جئتك الحظ يا سيد بوارو؟

- نعم يا سيد كلود. سنذهب الآن إلى صديق قديم للكاتبين دوبروت أنترهي.

- ماذا؟

فخر راوولي فسد دهشة. ونظر إلى بوارو كعقل يرى صورة
يخرج الأراب من قيعه.

- هذا لا يصدق! لا أفهم كيف يمكنك القيام بهذه الأمور.
قلتم نضض إلا بضع ساعات!

لمح بوارو يد مستكرة وحاول أن يبدو متواضعا لم يكر في
لونه كشف البساطة التي ميزت جلته الحرة. وقد أشع غروره ما
أحدثه من تأثير على راوولي البسيط السذج.

خرج الاثنان معاً، ولوحا بسيارة أجرة أنقتهما إلى كسب
هيل.

• • •

كان الميجر بورتر يسكن الطابق الأول من جيت صغير سي،
التصميم استلصقتهما امرأة بهيجة لا يبدو عليها الترتيب وصعدت
بهما في دجلا غرفة مريحة بحيط به رفوف الكتب مع بعض الصور.
التي راحه المدينة وكانت هي الأرضي سعادتان من نوعية جيدة.
لزمهما فاصل جميل. ولكن ألامه الاستعمال لاحظ بوارو أن وسط
أرضية الغرفة كان مغطى بغطاء سميك حديدية من التوريش. بينما
كان التوريش عند الجوانب محكوكاً. وأدرك - عندما أنه قد كانت
هناك - حتى عهد قريب - سعادت أخرى جيدة. سعادت نسبي
أموالاً كثيرة في تلك الأيام. رفع بوارو نظره إلى الترحن الذي وقف
متصباً قرب الموقد بذلك التي أصابه البلى رغم حين تنصيه
وحنن بوارو بأن الميجر بورتر صاحب الجيش المتقاعد يعيش حياة فقر

وعوزة فقد كانت القرائب وارقتاع تكاليف المعيشة تضرب قدماً
المحاربين بشكر أشد خراوة. كما حمن بوارو بأن الميجر يمشك
بلمود معينة حتى النهاية، ومنها اشتراكه في النادي مثلاً.

كان الميجر بورتر يتحدث بعبارة سريعة متقطعة: لا أذكر
لثني التفتت يا سيد بوارو. هل قلت في النادي؟ منذ عامين؟ إلى
أعرف اسمك بالطبع.

قال بوارو: أقدم لك السيد راوولي كلود.

هو الميجر بورتر رأسه نشافاً بالعارف. وقال: مرحباً.

وبعد أن حسب لهم أكواب الشاي، أخرج حلبة ثقافت وعرض
عليهما الخدين أخذ بوارو ثقافة، وأشعلها له الميجر بورتر ثم قال
مخاطباً راوولي أنت لا تدخن هل تستعمل إن أشعلت غليوني؟

ثم أشعله بكثير من شخب الضج ونفخه. وعندما انتهت طقوس
تلك المستلزمات الأولية قال الميجر - والآن، ما هو الأمر؟

ثم غل نظره بين الاثنين، فأجابه بوارو: ربما قرأت في النصف
من مقتل رجل في ورمزني هيل؟

هو الميجر رأسه بالنفي وقال: ربما، ولكنني لا أظن ذلك

- كان اسمه أردون... إينوك أردون.

استمر الميجر بورتر في عز رأسه بالنفي. فأكمل بوارو: لقد
هتروا عليه في فندق سناخ ومؤخرة رأسه مهشمة.

قطب بورتر حبيبه وقال: انظر نعيم، لقد رأيت ذكر لندن
كما أضل منذ بضعة أيام

قال بورتر: نعيم، وإن لدي هنا صورة، صورة من صحيفة،
وهي ليست واضحة تماماً، وما نود معرفته - أيها الميجر بورتر - هو
إن كنت قد رأيت هذا الرجل قط من قبل؟

سلمه أفضل نسخة استطاع الحصول عليها من الصورة التي
نشرتها الصحف. أعدها الميجر بورتر وأمعن فيها النظر. ثم قال:
انتظر لحظة، أخرج نظائره ووضعتها فوق تلكة ودوس الصورة بدمعته
أكبر، ثم جفلي فجاء وقال: رحماك يا رب! يا إلهي!

- هل تعرف الرجل أيها الميجر؟

- بالطبع أعرفه إنه أندرهى - روبرت أندرهى.

قال راوولي وفي صوته رنة انتصار: أنت واثق من ذلك؟

- إنني واثق بالطبع. إنه روبرت أندرهى. وأما مستعد لأنك
على ذلك في أي مكان.

الفصل الثاني

رن جرس الهاتف فمضت إليه لين. جاءها صوت راوولي:
لين؟

- راوولي؟

بدأ صوتها مكتئباً محبطاً. قال لها: ما الذي تفعلينه؟ إنني
لا أراك أبداً هذه الأيام؟

- آه، مشاغل البيت الروتينية: أطوف هنا وهناك حاملة سني،
انتظر لشراء السمك، وأنف في الصفوف لمجرد الحصول على قطعة
كعك وحيدة. وما إلى ذلك من أمور... مشاغل البيت.

- أريد رؤيتك. لدي ما أخبرك به.

- حين ماذا؟

فهمه وقال: أخبار سارة. قابليني عند غبطة رولاند، إننا نفلح
الأرض هناك.

أعادت لين سماعة الهاتف وأخذت تفكر. أخبار سارة؟
ما عسى الأخبار السارة تكون بالنسبة لراوولي كنود؟ أمي أخبار

مالية؟ هل باع ذلك العجل الصغير بسحر أعني مما كنت تأمده؟ فقلت
في نفسها: لا، إن الأمر أبعد من ذلك. وفيما كانت تقطع الحقل
وصولاً إلى القبضة ترك راوولي جزاءه الزراعي وجاء لمقابلتها.

- مرحباً يا لين

- أه راوولي. إنك تبدو... مختلفاً بعض الشيء.

ضحكت وقالت: أظن أنني كذلك فعلاً. لقد انقلب حظي
بالين؟

- ما الذي تعنيه؟

- هل تذكرين ما أشار إليه النعم جيريبي حول رجل يدعى
هيركيول بوارو؟

فقطت حاجبيها وقالت: هيركيول بوارو؟ نعم، أتذكر فعلاً
شيئاً من ذلك.

- كان ذلك منذ زمن بعيد أثناء الحرب. كان الاثنان في نادي
جيريبي ذلك، الأشبه بالقبر، وكانت غارة حوية.

سألت لين ولقد فقد صبرها. حسناً، وبعد؟

- ذلك الرجل ذو الملابس القروية وما إلى ذلك، انخرتس أو
البلجيكي. رجل غريب ولكنه عبقري تماماً.

فقطت لين حاجبيها وقالت: ألم يكن من رجال الشجري؟

- بلى؟ بالطبع. حسناً، أنت تعلمين قصة الرجل الذي قُتل
في غندق ستاغ. إنني لم أخبرك. ولكن راودتني فكرة بأنه قد يكون

زوج ووزالين الأول.

ضحكت لين وقالت: بمجرد أنه أطلق عني نفسه اسم اينوك
أودد كما في قصيدة نيتسون؟ يا لها من فكرة ساذجة!

- ليست ساذجة إلى هذا الحد يا فتاتي. لقد اصطحب المفروض
سينس ووزالين إلى المشرفة لتلقي نظرة عليه. وقد أكدت بكل عزم
أنه لم يكن زوجها.

- هذا - إذن - ينهي الموضوع

- كان يمكن أن ينهي... لولا!

- لولاك؟ ما الذي فعلته؟

- ذهبت إلى هذا الرجل - هيركيول بوارو، وأخبرته أننا نريد
شهادة طرف آخر، إن كان يوسعه أن يجد لنا شخصاً كان يعرف
دوبرت أندريه فعلياً. والمجيب أن ذلك الرجل ساحر بكل معنى
الكلمة... كمن يخرجون الأراب من الفم! فخلال بضع ساعات
أحضر رجلاً كان أعز أصدقاء أندريه، عجبوراً اسمه بورتر.

توقف راوولي. ثم فهمت ثانية بمثل ذلك الانفعال والحماس الذي
أدهش لين وأجفلها، ثم قالت: والآن، احفظي الأمر سرّاً يا لين. لقد
استحفظني المفروض أن أترجم السرية، ولكنني أوجب في إطلاعتك
أنت: إن القليل هو دوبرت أندريه.

- ماذا؟

- إنه روبرت أندروهي نفسه. ليس لدى روبرت أدنى شك في ذلك، وهكذا تترين بالين...

ثم ارتفع صوته انفعالاً وهو يقول: لقد فزنا! فزنا في نهاية المطاف. لقد هزمتنا هذين المحتالين!

- أي محتالين؟

- هنتر وأخته. لقد هزمتنا، وخرجنا من الحيلة. إن روزالين لا تحصل على أموال غوردن، بل نحصل نحن عليها. لقد أصبحت أموالنا! إن وصية غوردن التي كتبها قبل زواجه بـ ١٠ سنوات سارية المفعول، وهي توزع الثروة بيننا. وأنا أحصل على حصة الربع أفهم؟ إذا كان زوجها الأول على قيد الحياة عندما تزوجت غوردن فهذا يعني قانوناً أنها لم تتزوج على الإطلاق!

- هل أنت... هل أنت واثق مما تقوله؟

حدق إليها وبدأ للسرة الأولى شيء من العبارة على وجهه، ثم قال: طبعاً واثق! فالأمر واضح بسيط. أصبح كل شيء على ما يرام الآن. تماماً كما أراد غوردن للوضع أن يكون، كما لو أن هذين المخلوقين لم يدعلا حياتنا أبداً.

وفكرت لين مع نفسها: كل شيء على ما يرام، ولكنك لا تستطيع أن تعمري على هذا النحو شيئاً وقع. لا يمكنك أن تتظاهر بأنه لم يحدث. قالت ببطء: وماذا سيفعلان؟

- ماذا؟

رأت أن راوولي ثم يفكر حتى تلك اللحظة بهذا السؤال. قال: لا أدري. أحسب أن عليهما أن يعودا من حيث أتيا. أعتقد أنه...

كان يوسعها أن ترى أنه يحاول الآن أن يفكر بحل للسؤال. مضى قائلاً: نعم. أظن أن علينا أن نفعل شيئاً من أجلها. أعني أنها تزوجت غوردن بـ ١٠ سنوات. لقد فهمت أنها اعتقدت - حقاً - أن زوجها ميت، فالغيب ليس ذنبها. نعم، عليك أن تفعل لها شيئاً، أن تعطيهما نفقة محترمة، تنفق عليها جميعاً.

- إنها تعجيبك، أليس كذلك؟

فكر قليلاً ثم قال: بلى، تعجيني نوعاً ما. إنها طفلة رائعة، وهي ذات خبرة بشرية الماشية.

- أم أنا فلا خبرة لدي.

أجابها بلطف: أه، متعلمين.

- وماذا عن... ديفيد؟

مس راوولي وقال: لنذهب ديفيد إلى الجحيم! إنها لم تكن أمواله على أية حال، بل جاء وعاش عائلة على أخته.

- كلا يا راوولي، لم يكن الأمر على هذا النحو؛ لم يكن كذلك. إنه ليس طفلياً، ربما كان... مغامراً.

- وقائلاً مأفوناً.

قالت متخطعة الأنفاس: ما الذي تعنيه؟

- حسناً من الذي نحبيته قتل أندرهى؟

صرخت قائلة لا أصدق ذلك، لا أصدق ذلك!

- لقد قتل أندرهى بالطبع! من عساه يقتله غيره؟ لقد كان هنا في ذلك اليوم، جاء إلى هنا بقطار الخامسة والنصف، كنتُ أستقبل جماعة في المحطة ولمحته عن بعد.

قالت لين بحدة: لقد عاد إلى لندن في تلك الليلة.

اجابها راوولي بلهجة المستهزئ: نعم، بعد أن قتل أندرهى.

- ينبغي أن لا تقول أشياء كهذه يا راوولي، متى قُتل أندرهى؟

- لا أعلم بالطبع، لا أحسب أننا سنعرف ذلك حتى موعد الاستجواب غداً، أظنه قُتل في وقت ما بين التاسعة والعاشر.

- لقد استقل ديفيد قطار التاسعة والثلاث عاتداً إلى لندن.

- اسمعي يا لين، كيف عرفت ذلك؟

- لقد... لقد قابلته، كان يركض للمحاق بالقطار.

- وكيف لك أن تتأكدي من أنه نحى به صلاً.

- لأنه اتصل بي من لندن في وقت لاحق.

نظر راوولي إليها غاضباً وقال: ولماذا -يا لله عليك- تتصل بك؟

اسمعي يا لين، إني لن أقبل بالتأكد أن...

- آه، وما أهمية ذلك يا راوولي؟ إن ذلك يظهر -على أية حال-

أنه استقل ذلك القطار.

- كان لديه متسع من الوقت لقتل أندرهى ثم الجري للمحاق بالقطار.

- إلا إذا كان قد قُتل بعد الساعة التاسعة.

قال: "حسناً، ربما قُتل قبل التاسعة بقليل"، ولكن صوته كان يشوبه شيء من الشك.

أخضعت لين عينيها نصف إغماضة وصرحت بأفكارها: أكانت تلك هي حقيقة الأمر؟ عندما ظهر ديفيد من تلك القبضة لاهثاً يسب ويشتم، أكان ذلك الذي طرّفها بدراجه وقتب قائلاً أنهى لثوره ارتكاب جريمة؟ تذكرت اتصاله الغريب ومزاجه الطائش المشهور. أكانت تلك علامات تأثير جريمة القتل عليه؟ ربما، عليها أن تعترف بذلك. أكان هناك بون شاسع بين ديفيد وبين القتل؟ هل يمكن أن يقتل رجلاً لم يؤذ أبداً، رجلاً بمثابة شبح من الماضي؟ رجلاً كانت جريمته الوحيدة أنه ينفخ حائلاً بين روزالين وبين إرثه ضخيم. وبين ديفيد وبين تمتعه بأموال روزالين؟

نمتت قائلة: ولماذا عساه يقتل أندرهى؟

- يا إلهي، أوتسألين عن ذلك يا لين؟ لقد أخبرتك ثوري! إن وجود أندرهى حياً يعني أن نحصل نحن على أموال هوردن! كما أن أندرهى كان يتره.

آه، هذا من شأنه أن يلائم الافتراض بشكل أكبر! إذ أن من شأن ديفيد أن يقتل مبتزاً، ألم تكن -في الحقيقة- الطريقة الوحيدة

لاني يمكن لمفيد ان تصرف بها اراء متفرقة نعمه هذا كله ينسب
الاجراض ويعطيه معنى استعجال دعيه وانفعاله واضهوره لنحو
تلك الطريقه المتحذره بل العذبيه ومن لم يعرفه من الاحد
وتحونه من الاعضل في ان اسافر نعمه يبدو الامر منطقياً.

ومن مسافه بعيدة بعيدة سمعت صوت راوئي يائها: ما الامر
بالين؟ أنت على ما يرام؟

- نعم بالطبع

- حسناً، لا تكوني - بالله عليك - مكتئبة بهذا الشكل

ثم التفت ونظر الى منزل لويغ ويلوز في أسفل لفته وقال
الحمد لله، يومنا الآن أن نعيش من وضع البيت قليلاً، ونحضر
بعض الأجهزة التي توفر العهد والعتاء، لكي نحمله مريحاً نك.
لا أريد أن نعشي حياة صك بالين

كان من المقرر أن يكون ذلك المنزل بيتها بيتها مع راوئي

ودان صباح مـ في ساعة الثامنة صباحاً، سوف يعلق دعيه
من رفته حتى يموت تنفها

الفصل الثالث

وضع ديفيد يديه على كتفي روزالين وفي وجهه شعوبه وعزم.
وفي عييه بنظرة واحتراس، وقال: سيكون الأمر على ما يرام، ولكن
يجب أن نعد نفسي على حدوثك ونصرفي كما أقول لك تماماً.

- وهذا لو تحدثوك؟ أنت قلت.. أنت قلت إيهام ربما
تحدثوك.

- هذا احتمال قائم، خبر، ولكن ذلك لن يدوم طويلاً، وخاصة
إذا حافظت على هدونك

- سأفعل ما تطلبه مني يا ديفيد.

- هذه هي انقضاء المطيعة التي اعرفها! كل ما عليك فعله
يا روزالين هو أن تتسككي بإفادتك. أصري على أن الشخص المفقود
ليس روحك، روبرت أندريه

- سيسترجعوني بحيث أقول أشياء لا أقصد قولها.

- كلا، لن يفعلوا إلاكد لك أن الأمر سيكون على ما يرام.

- لا، إنه ظنر لقد كان ظنماً منذ البداية: أن تأخذ مالاً ليس

ناب. إنتي أضططح أرفه طوائف الليل أفكر بالتموضع يا ديفيد. أفكر بأخذنا ما ليس لنا إن الله يعاقبنا عنى قتلنا.

نظر إليها عاسياً. كانت تصدع وتتهارح. كانت تصدع بالتأجيد لقد كانت لديها -دوماً- تلك النفسية الهشة، ولو بسبق تصويرها أن شعر أبداً بالهدوء والسكينة. والألن لا بد أن تتهازل تماماً ما لم يكن هو محفوظاً جداً -حسناً، بقيت -إذن- طريقة واحدة. قال بلفظه: اسمعي يا روزالين، هل تريدان أن أفسد؟

- نعم، ديفيد لا يمكن لا يمكن.

- شخص واحد فقط يرمعه أن يشئتني، وهو أنت المصرد اعترافك سيطرة أو إضارة أو كلفة - بأن الفتى رب كان أندروهي - يعني أنك تطعين الحق حول صفتي! هل تفهمين ذلك؟

نعم، لذا أنها استوعبت اندوس جيداً نظرت إليه بحسب وأسمعين مدهورتين وقالت: إني غبية جداً يا ديفيد

- لا، أنت غبية والآخر لا يتطلب منك ذلك. عنى كل حال سيكون عيبك أن تقسمي بحرق عنى أن الرجل انقلب ليس روحك وأنتك تستطيعين ذلك.

هزت رأسها بالإيجاب. فمضى قائلاً: لك أن تطهري الفداء إذا شئت. أفطيري أنك لا تفهمين تماماً ما يهزجوه عيبك من أسئلة. فبدا لا يفهم. ولكن تمسكي بالتمسك التي راجعته معك. سوف يعني غشورن لك. وهو محامي جنداته كفضه جداً. ولذلك اختبرته سيكون موجوداً في الاستجواب. وسوف يحديث من محذولات

إخراجك بالأسئلة. ولكن تمسكي بإفادتك حتى معه. بالله عليك لا تحاولي التذكري. ولا تقضي أن يوسعك مساعدتي بتصرف من محض تفكيرك.

- سأفعل ذلك يا ديفيد؟ سأفعل تماماً ما تقوله لي.

- أحسنت. وعندما ينتهي الأمر كله سنسافر، إلى جنوب فرنسا، إلى أمريكا... وفي هذه الأثناء اعترى بصحتك. ولا تبقي مؤرقه في الليالي نغضين وتستهلكين نفسك. خذي تلك الحبوب الممنوعة التي وصفها لك الدكتور كلود. خذي واحدة كل ليلة. لوتاسي وفرجي عن نفسك. وتذكري أن أولناً جيدة مثالي!

تم نظر إلى ساعته وقال: الآن. حان وقت الذهاب للاستجواب. إنها تقرب من الحادية عشرة

قلب نظره في غرفة الجلوس الطويلة الجميلة. الجمال، والراحة، والثروة... لقد تمتع بها جميعاً. بالإضافة إلى منزل مودويانك الجميل. وبما كان ذلك هو الواقع.

لقد وضع نفسه في ورطة. هذا أمر مؤكد. ولكنه -حتى في تلك اللحظة- لم يندم، وتذكر القول المشهور: إما أن تتركب التباير خير يخدمنا الممد، أو نخسر انهمان!

نظر إلى روزالين. كانت تراقبه بعينين واسعتين مناشدتين. وعرف غريزياً ما الذي كانت تريد، فقال لها بلفظ: أنا لم أقتله يا روزالين، أقسم أنني لم أفعل.



- ونتيجة لذلك صعدت إلى الغرفة رقم ٢٥

- نعم.

- هل لك أن تصف لنا ما وجدته هناك؟

وصف الدكتور كلود كل ما وجدته: جثة رجل، الوجه
مكب على الأرض، جروح في الرأس، مؤخرة المصممة، ملقط
الموقف...

- لقد كنت ترى أن الملقط المذكور هو الذي سبب تلك
الجروح، أليس كذلك؟

- بعض تلك الجروح كان سببها الملقط بلا جدال.

- وأنه تم تروحيه العديد من الضربات؟

- نعم، إنني لم أجري فحصاً تفصيلياً، إذ اعتبرت أنه ينبغي
حضور الشرطة قبل أن يلمس أحد الجثة أو يغير وضعها.

- تصرف سليم. وهل كان الرجل ميتاً؟

- نعم، كان قد مات منذ بضع ساعات؟

- كم كان قد مضى على وفاته برأيك؟

- ليس بإمكانني الجزم بوقت محدد دقيق، إحدى عشرة ساعة
على الأقل، ويحتمل تماماً أن تكون ثلاث عشرة أو أربع عشرة.
نقل إلى الوفاة وقعت بين السابعة والتصف والعاشر والتصف من
الليلة السابقة.

الفصل الرابع

حرى الاستجواب في كورن ماركت. كان المحقق، السيد
بمارش، رجلاً ضئيل الجسم ذا عناية بالثوب، وكان يضع نظارات
ويشعر مظهره عن إحساس كبير بأهميته الشخصية. وبيجنته جنس
المفوض سبى بجسمه الضخم. وفي مقدمته لا ينفث الاشارة جلد
رجل ضئيل الجسم أحسب الهيئة ذو شاربين أسودين صعبين. أن
أنا كلود: جبرهني كلود وزوجته. وليوبيل كنود وزوجته. وزاوتي
كلود، والسيدة مارشموسه ونيس. فقد حضروا جميعاً وقد جنس
المبهر بورن بمفرده، متسللاً متصافياً.

تلمح المحقق ونظر إلى هيئة المحلفين المؤلفة من تسعة
من الوجهاء المحليين، ثم بدأ إجراءات التحقيق. الشرطي بيكوك،
الرقب فين، الدكتور ليوبيل كلود... لقد كنتم تعالجون أحد
المرضى أصولياً في فندق ستاغ عندما حدثكم غلاديس إيشكن. ما
الذي قالته؟

أجاب الدكتور ليوبيل كلود: لقد أخبرني بأن غريل الغرفة رقم ٤
كان ملقى على الأرض ميتاً.

شكر المحقق الدكتور كلود. ثم جاء دور الطبيب الشرعي الذي اعطى وصفاً قنياً كاملاً للجروح، وقال إنه كان على الفئك الأسفل كشط وورم، كما قال إن خمس ضربات أو سنا قد توجهت إلى قاعدة الجمجمة، بعضها تم توجيهه بعد حدوث الوفاة.

- إذن فقد كان اعتداء بالغ الوحشية؟

- بالضبط.

- هل كان توجه تلك الضربات يهدف قوة كبيرة؟

- لا، ليس قوة بالضغط، فالمضغ الذي تمسك به أطراف الكمامة يمكن أن يضرب به بسهولة دون حاجة لممارسة قوة كبيرة. والمكرة القلودية التي تشكل رأس المضغ تجعل من سلاح رهيب ومن شأن شخص رقيق ضعيف أن يسبب تلك الجروح. هذا إذا كانت عمية الضرب قد تمت في نوبة الغضب والغضب.

- شكراً يا دكتور.

تبعته ذلت لفصائل من حانة الجثة، فقد كانت تربط حصى التغذية صحيح الجسم في نحو الخامسة والأربعين من عمره. ولا علامات على أي مرض لديه. وكان القلب والرئتان بأحسن حال. أدلت باتريس تيبكوت بشهادتها عن وصول التفيد إلى الفندق. قائلته إنه سجل نفسه باسم إينوك آرذ، من كيب تاون.

- هل أتت لك التفيد بطاقة؟

- لا يا سيدي.

- هل طلبتها منه؟

- تم أخذها بدايةً إذ تم أكن أعلم كم سيقضي في الفندق.

- وتذكر طلبتها لاحقاً؟

- نعم يا سيدي. لقد وصل يوم الجمعة، وقلت له يوم السبت إن عليه أن يعطيني بطاقته إن كان يعتزم البقاء لأكثر من خمسة أيام.

- وبماذا أجابك؟

- قال إنه سيعطيها لي.

- ولكنه لم يفعل ذلك عملياً؟

- نعم.

- ولم يقل إنه أصابها؟ أو إنه لا يملك بطاقة؟

- نعم، لقد اكتفى بالقول: سوف أبحث عنها وأحضرها.

- أنة تيبكوت. هل سمعت يوم السبت ليلاً حديثاً ما؟

وبعد كثير من الشرح الغزير المحمد للضرورة التي دفعتها لتصعد إلى العرفة رقم ٤. حكى باتريس تيبكوت قصتها، وقد ساعده المحقق في ذلك يدهنه، ثم قال بعد ذلك: شكراً لك، هل ذكرت هذا الحديث الذي تناهى إلى سمعك لأي شخص؟

- نعم. لقد أخبرت به السيد راولي كلود.

- ولماذا أخبرت السيد كلود؟

قلت وقد احسن وجهها. حيث أنه ينبغي أن يعرف.

ثم انصرف رجل طويل نحيل هو السيد غيلورن وحسب السطح
ثم صرح سؤالا: خلال مجرى الحديث بين القليل وبين السيد دينيد
هتر هل ذكر القليل في أي وقت بأنه هو نفسه روبرت أندرهري؟

- لا، لا، لم يذكر ذلك.

- أي أنه تكلم عن روبرت أندرهري كما لو كان روبرت أندرهري
شخصاً آخر تماماً، أليس كذلك؟

- بل، بل، هكذا تحدث.

شكراً لك سيدي المحقق. هذا كل ما أردت استيضاحه

سرت بينديس عن المنتهية. وله استدعاء راوولي كلود

أكد راوولي أن بي. بي. كورت له قصة الحديث التي سمعته،
ثم استعرض محركات قائه مع القليل سائله: المحقق. كانت آخر
كلماته تلك هي: «لا أحب أنك تستطيع إثبات الأمر دون حدود»
منه لواء والمقصود بكلمة «الأمر» هنا حقيقة أن روبرت أندرهري -
رأى على قتل الحياة، أليس كذلك؟

- بل، هذا ما قلته وقد ضحك.

- ضحك، أليس كذلك؟ وبماذا فسررت أنت تلك الكلمات؟

- ظنت أنه يدفعني لتقديم عرض. ولكنني فكرت لاحقاً

- نعم يا سيد كلود. ولكن ما فكرت به لاحقاً لا يكاد يصح

موضوع القضية. هل يمكننا القول إنه - نتيجة لتفكك المقابلة - بدأت
أنت تحاول أن تتور على شخص ما ذي معرفة بالقتيل روبرت أندرهري
وأنت نجحت في ذلك بعد قليك مساعدة معينة؟

هو راوولي رأسه بالإيجاب وقال: هذا صحيح.

- كم كانت الساعة عندما تركت القليل؟

- أقرب وقت يمكنني تحديده هو الساعة إلا خمسين دقائق.

- ما الذي جعلك تركز على هذه الساعة؟

- لأنني سمعت - وأنا أمشي في الشارع - دقات الساعة التاسعة
من خلال نافذة مفتوحة.

- هل ذكر القليل الساعة التي يتوقع فيها وصول ذلك
الزبون؟

- قال إنه على وشك الحضور في أية لحظة.

- ألم يذكر أي اسم؟

- نعم، لم يفعل.

سمح لراوولي بمقابلة المنتهية، واستدعى الشاهد الجديد
بصوت عالٍ: دينيد هتر!

سرت في القاعة مهمة عاقبة فيما التفت سكان ورمزلي قبل
لينظروا إلى الشاب الطويل النحيل الذي يبدو عليه المرارة وهو يقف
متحدياً في مواجهة المحقق.

مضت أسمية التعريف الأولية بسرعة، ومضى المحقق ليث
لقد ذهبت لثروة القليل في ليلة السبت؟

- نعم، استلمت رسالة منه يطلبني فيها المساعدة، ويذكر أنه
كان يعرف زوج أختي الأول في أفريقا.

- هل تحفظ تلك الرسالة؟

- كلا، فأننا لا نحفظ عادة بالرسائل.

- لقد سمعت ما ذكرته بياتريس لينكوت عن حديثه مع
القتيل هل كان ما قلته صحيحاً؟

- لم يكن صحيحاً على الإطلاق. لقد تحدث القاتل عن معرفته
بصهرتي المرحومة. ونكس من حفظه الماهر ومما أصابه من عجز
ومعاقبة، واستجدي بحظي لعمود المأوى.

- هل أجبرك بأن روبرت أندروهي مهران حياً؟

- أبس دسيد وهذا كلامك كذبة فقد قال لو كان روبرت حياً
فإنني أعرف أنه كان يساعدني.

- هذا مختلف تماماً عما تخبرنا به ماتيوس لينكوت.

- إن مسرقي السمع عادة ما يسمعون جزءاً فقط مما يجري.
وغالباً يسيرون فهم ما سمعوه بسبب إقدامهم على مزج التخمينات
والانطباعات الناقصة من خيالهم الخصب.

- انتفضت بياتريس بعصب وهفت: - حساً، إني لا..

ولكن المحقق قاطعها بقوة قائلاً: انصمت رجاء.

ثم وجه كلامه إلى ديفيد: والآن يا سيد هنتر، هل زرت القاتل
ثانية ليلة الثلاثاء؟

- كلا، لم أزره.

- لقد سمعت السيد راوولي كلود يقول بأن القاتل كان يتوقع
الزيارة؟

- ربما كان يتوقع زائراً، وإن كان الأمر كذلك فأننا لم نكن ذلك
الزائر. لقد أنصبت خمسة جنيهات من قبل، ورأيت ذلك كافياً تماماً.
فلهذا بكى ديفيد أي دليل على أنه كان يعرف روبرت أندروهي هذا. وقد
أصحت أختي حينئذ أن وولت دخلاً غنياً من زوجها. هذا لكل
كاتب عمر قصير متبول ولكل طفيلي في المنطقة.

ويهدو - فرك عينيه تنمرسان عائلة كلود الممثلة.

- سيد هنتر، هل لك أن نخبرنا أين كنت مساء الثلاثاء؟

- حاول أن تكتشف ذلك!

خرج المحقق على الطاولة وقال: سيد هنتر، هذا قول بالغ
العمالة والبطش.

- لماذا أجبرك أين كنت وماذا كنت أفعل؟ إن لدي مشعاً من
الوقت فطقت عندما تنهني بقتل الرجل.

- إن كنت تعبر على هذا الموقف فتصل إلى ذلك بأسرع مما

نظن. هل تعرف ما هذا يا سيد هنتر؟

التحتي ديفيد وأخذ من المحقق القداحة الذهبية، بدت العبارة على وجهه. ثم أعادها للمحقق وقال ببطء: نعم، إنها قداحتي.

- متى كانت بحوزتك آخر مرة؟

قال: لقد أضعتها... ثم توقف.

قال المحقق بصوت مهذب: نعم. وبعد يا سيد هنتر؟

تأمل غيثورن وبدأ وكأنه على وشك الكلام، ولكن ديفيد كان أسيق لذلك: كانت معي يوم الجمعة الماضي. لا أذكر أنني رأيته منذ ذلك الوقت.

نهض غيثورن وقال: بعد ذلك سيادة المحقق لقد زوت القنبل سيد هنتر - ليلة السبت. أليس من الممكن أن تكون قد تركت القداحة وقتها؟

- أحسب أن ذلك ممكن. إنني - بالتأكيد - لا أتذكر أنني رأيته بعد يوم الجمعة. أين عُثِرَ عليها؟

قال المحقق: ستأتي على ذلك لاحقاً. بوسعك العودة إلى مكانك الآن يا سيد هنتر.

عاد هنتر ببطء إلى مقعده. أحس رأسه وهمس شيئاً لروزالين

- الميجر بورتر

صعد الميجر بورتر وهو يتنحى قليلاً، ووقف هناك جسماً عسكرياً متصباً كما لو كان في استعراض عسكري. وحدها طريقته في تروطيب شفتيه هي التي دلت على العصية الشديدة التي كان يعاني منها.

- أنت جورج دوغلاس بورتر، القائد السابق لصلاح «حملة البنادق» الملكي في أفريقيا؟

- نعم.

- إلى أي مدى كنت تعرف روبرت أندريه؟

وبصوت جهوري استعراضي ذكر الميجر بورتر الأسماء والتواريخ.

هل هابت جثة القنبل؟

- نعم.

- هل بوسعك التعرف بصاحبها؟

- نعم. إنها جثة روبرت أندريه.

سرت هي المحكمة مهمة انفعال وإثارة.

- أتؤكد ذلك تماماً، ودون أدنى شك؟

- نعم.

- فلا يوجد احتمال في أن تكون مخطئاً؟

- أيضاً

- شكراً يا ميجر بورتر، السيدة روزالين كفود.

نهضت روزالين، وعبرت الميجر بورتر الذي نظر إليها بشيء من القصور، أما هي فلم تلق إليه حتى نظرة واحدة.

- سيدة كلود، لقد أخذتلك الشرطة لتعاينة جثة القتيل؟

ارتعشت وقالت: نعم.

- وقد صرحت بشكل نهائي بأنها جثة رجل لا تعرفينه أليس؟

- نعم.

- في ضوء الشهادة التي أدلى بها نواز الميجر بورتر، هل نودى سحب أو تعديل لإفادتك؟

- لا.

- أما زلت تؤكدين أن الجثة ليست جثة روبرت أندرهى؟

- إنها ليست جثة زوجي، بل جثة رجل لم أراه أبداً في حياتي.

- هيا يا سيدة كلود، لقد مئزها الميجر بورتر بلا تردد على أنها جثة صديق روبرت أندرهى.

أجاب روزالين بوجه خالٍ من أي تعبير: الميجر بورتر مخفي.

- أنت لا تدعين بشهادتك بعد أداء اليمين في هذه المحكمة يا سيدة كلود، ولكن يحتمل أن تمثلي قريباً أمام محكمة تؤدين فيه

يميناً؟ فهل أنت مستعدة -عندها- لأداء بعين تؤكدين فيه أن الجثة ليست جثة روبرت أندرهى، بل جثة غريب لا تعرفينه؟

- إنني مستعدة لأن أقسم بأنها ليست جثة زوجي، بل جثة رجل غريب لا أعرفه.

كان صوتها واضحاً جازماً. وانثفت عينها بعيني المحقق بكل ثبات. نسم المحقق قائلاً: بوسعك النزول عن المنصة.

ثم انتزع نظارته، ونحصر الفضيحة لهيئة المحلفين. فالمطلوب منهم اكتشاف الطريقة التي لقي بها هذا الرجل مصرعه، وهو الأمر الذي لا يحتاج كثيراً من التساؤلات؛ إذ لا يمكن افتراض حدوث الوفاة نتيجة حادث أو انتحار، كما لا يوجد ما يشير إلى أن الأمر كان قتلًا دون عمد. ولذلك يبنى رأي واحد، وهو القتل العمد. وفيما يخص هوية القتيل فإن تلك الهوية لم يتم تحديدها بوضوح.

ولقد استمع المحلفون إلى أحد الشهود، وهو رجل ذو شخصية مستقيمة وأمانة بحيث يمكن الاعتماد على كلمته، يقول إن الجثة كانت لصديق سابق له هو روبرت أندرهى. وفي الجهة المقابلة فإن وفاة روبرت أندرهى نتيجة الحصى في إفرينيا قد تم إثباتها. كما هو واضح - بشكل أفع السلطات المحلية، ولم تتم إثارة أية أسئلة وقتها. وعلى التقدير من شهادة الميجر بورتر، فإن أرملة روبرت أندرهى، المدعوة الآن بالسيدة غوردن كفود، صرحت مؤكدة أن الجثة لم تكن جثة روبرت أندرهى. وقد كانت هاتان الإفادتان متناقضتين تماماً. وإذا لم تم تجوز مسألة هوية القتيل - فإن على المحلفين أن يقرروا إن كان يوجد أي دليل يشير إلى اليد التي قتله.

وربما ظن المحققون بأن الدليل يشير إلى شخص معين. ولكن يحتاج إلى الكثير من الأدلة قبل أن يكون ممكناً استكمال قضية وإقامة دعوى. إذ يجب توفر الدليل والدافع والفرصة لارتكاب الجريمة. ولا بد أن أحداً ما قد شاهد الشخص المعني قرب مكان الجريمة في الموعد المناسب. فإذا لم تتوفر مثل هذه الأدلة يكون أفضل حكم يمكن إصداره هو اعتبار القضية قضية قتل عمدة دون دليل كافٍ يشير إلى فاعلها. هذا الحكم سيترك حرية للشرطة في متابعة تحرياتهم الضرورية.

بعدها أذن المحقق لأعضاء هيئة المحلفين بالخلوة لاجتماع حكمهم. وقد استغرق ذلك منهم ثلاثة أرباع الساعة.

عادت هيئة المحلفين بالحكم. «ديفيد هنتر مدان بارتكاب جريمة القتل العمد»



قال المحقق وكأنه يعتذر. كنت أخشى إقدامهم على إصدار ذلك الحكم. إنهما الهوى والتحيز المحلّيان المستندان إلى المشاعر أكثر من استنادهما إلى المنطق.

كان المحقق ورئيس الشرطة والمفوض سينس وهيركيول بوارو جميعاً يبعدون جلسة مشاور بعد التحقيق.

قال رئيس الشرطة: لقد بذلت كل ما نستطيع من جهد.

هلق سينس عابساً: أقل ما يمكن أن يقال عن هذا الحكم إنه سائب لأوانه، وهو يريق حركتنا. هل نعرف السيد هيركيول بوارو؟ إنه هو الذي يقف خلف إحصار بورتر للاستجواب.

قال المحقق بلباقة: لقد سمعت عنك يا سيد بوارو.

قدم بورتر بمحاولة فاشلة لإظهار التواضع. فيما قال سينس ضاحكاً: إن السيد بوارو مهتم بالقضية.

أجاب بوارو: هذا صحيح بالفعل. فقد كنت في هذه القضية -إن صح التعبير- حتى قبل أن تصبح قضية.

واستجابة لظرائهم المتسائلة روى لهم بوارو قصة الشنيد العريب في النادي عندما سمع لأول مرة ذكر روبرت أندرهري.

قال رئيس الشرطة متألاً: هذه نقطة إضافية تدعم شهادة بوارو عندما تعرض القضية أمام المحكمة، فقد خطط أندرهري عملياً - لموت مزعوم، وتحدث عن استخدام اسم إينوك آرذ.

ثم تمت فتلاً. ولكن هل سيتم قبول ذلك دليلاً؟ مجرد كلمات نطقها رجل هو الآن ميت؟

قال بوارو وهو يفكر: قد لا يُقبل دليلاً، ولكنه يفتح المجال أمام خطأ في التفكير بالغ الأهمية والدلالة.

قال سبنس: إن ما نريده ليس أدلة، بل بعض الحقائق الصلبة الملموسة. نريد شخصاً رأى ديفيد هتتر فعلياً في فندق ستاغ أو قريباً منه ليلة الثلاثاء.

عَلَّز رئيس الشرطة وهو متغلب الجبين: ينبغي لذلك أن يكون سهلاً.

قال بوارو: لو كانت الجريمة هناك في بلدي، لو حدثت مفهياً صغيراً يتناول فيه الجميع قهوتهم المسائية، أما في محافظات إنكلترا...

ثم فتح ذراعيه إشارة إلى قلة الحيلة. هذا المحض رأسه موافقاً وقال: بعض الناس تراه في المحانات، ومن شأنهم أن يبقوا هناك حتى تغلق المحانات أبوابها، أما باقي الناس فيكونون داخل بيوتهم يستمعون إلى أخبار الساعة التاسعة. ولو قُبِّلَ لك أن تمشي في الشارع

الرئيسي هنا بين الثامنة والنصف والعاشرة ليلاً لرأيت الشارع مهجوراً تماماً، لا أحد فيه.

علق رئيس الشرطة قائلاً: وقد اعتمد القاتل على تلك الحقيقة. قال سبنس: ربما.

لم تكن تعابير وجهه تنين بالسعادة. وسرعان ما غادر رئيس الشرطة والمحقق. وبقي سبنس وبوارو بمفردهما. سأل بوارو زميله متعاطفاً: أنت لا تحب هذه القضية، أليس كذلك؟

- ذلك الشاب يُفطنني، فهو من النوع الذي يحيرك التعامل معه. إنه من نوع الشباب الذين يتصرفون تصرف المذنب عندما يكونون براءاً تماماً من حمل ماء. وعندما يكونون مذنبين تجد أنك مستعد لحلف لأخلف الأيمان على أنهم ملأكة البراءة!

- وهل ترى أنت أنه مذنب؟

أجابه سبنس: ألا ترى أنت ذلك؟

فتح بوارو ذراعيه حيرة وقال: إنني مهتم بأن أعرف مقدار ما تشكك من قرائن وشكوك ضده.

- لا أظنك تعني القرائن القانونية؟ أظنك تعني الاحتمالات التي أراها لتورطه؟

هز بوارو رأسه بالإيجاب، فقال سبنس: توجد القداحة.

- أين وجدتوها؟

- تحت الجثة.

- هل كانت عليها بصمات؟

- كلا، أبداً.

- آه.

- نعم، أنا أيضاً استوقفتني ذلك. كما أن ساعة القتل قد توقفت

عند الساعة التاسعة وعشر دقائق. وهو توقيت يتناسب تماماً مع توليت الوظيفة كما حددته الفحص الطبي. ومع إقادة رازملي كلود التي أكد فيها أن أندري كان ينتظر زبونه في أية لحظة. ويمكن الاستدلال أن موعد ذلك الزبون قد أُرِفَ وقتها.

هز بوارو رأسه موافقاً وقال: نعم، الأمر كله غريب تماماً

- والأمر الذي لا يمكن للمرء تجاهته - كما أرى يا سيد بوارو - هو أن ديفيد هو الشخص الوحيد (والعني هو وأخته) الذي يتوفر لديه شيء من الدافع للجريمة. بما أن يكون ديفيد هتير قد قتل أندري، أو أن أندري قتل على يد شخص خاطئ غريب تعقبه إلى هنا لئلا لا تعرفه... وذلك يبدو احتمالاً جيداً جداً.

- آه، نعم. أوافقك الرأي.

- ما من أحد في رازملي قبل يمكن أن يكون له دافع تجاه الجريمة. إلا إذا افترضنا - مساعدة - وجود شخص بعشر هـ (غير الأخوين هتير) وكانت له صلة مع أندري في التماسي. سي لا أستبعد حدوث الصدف أحياناً، ولكننا لم نر أية إشارة لمرشح،

وجود مثل هذا الاحتمال. فقد كان القتل غريباً بالنسبة للجميع ما عدا ديفيد هتير وأخته.

هز بوارو رأسه موافقاً. ومضى سيس ليقول: أما أفراد عائلة كلود فقد كان من شأنهم أن يعتبروا روبرت أندري أغلى من هؤلاء العين ويحرصوا على حياته بكل طريقة ممكنة؛ فوجوده حياً معاقلي يعني حتمية حصولهم على ثروة ضخمة توزع بينهم.

- نعم يا صديقي. إنني أظن معك في ذلك أيضاً. لوجود روبرت أندري حياً معاقلي هو ما تحتاجه عائلة كلود.

- وهكذا تعود إلى حيث كنا: روزالين وديفيد هما الشخصان الوحيدان اللذان يتوفر لديهما الدافع. وقد كانت روزالين في لندن، ولكن ديفيد - كما نعلم - كان في رازملي ليل في ذلك اليوم، فقد وصل في الساعة الخامسة والنصف إلى محطة رازملي حيث.

- لاقت حنان لديها الآن الدافع، وهو واضح كالشمس، ولدينا حليمة أن ديفيد كان قريباً من موقع الجريمة منذ الخامسة والنصف وحتى ساعة معينة غير محددة.

- بالضبط. والآن لنأخذ - مثلاً - إقادة بيلتريس لينكوت. إنني أصدق إقادتها؛ فقد سمعت - بالفعل - ما قالت إنها سمعته، رغم أنها ربما أضافت من لدتها بعض الترويض، وهو أمر من طبيعة البشر.

- نعم، إن ذلك من طبيعة البشر كما نقول.

- بصرف النظر عن معرفتي بالفتاة فإنني أصدقها؛ إذ توجد في إقادتها بعض الأشياء التي لا يمكن أن تكون قد اخترعتها. إنها

- مثلاً - لم تسمع بروبرت أندرهوي أبداً من قبل - وفذلك فأننا أصدق
إفادتها عما حدث بين الرجلين - ولا أصدق إفادة ديفيد هنتر -

- وكذلك أنا. لقد رأيت فيها شهادة صادقة تماماً

- ولدينا ما يؤكد صحة إفادتها. إذ لماذا ذهب الأخوان هنتر
إلى لندن برأيك؟

- هذا أحد الأمور التي أثارت اهتمامي إلى أبعد مدى.

- حسناً. بالنسبة للأوضاع المالية فإن الحال هو كالتالي. بين
لروزالين حقاً في الاستفادة من ممتلكات غوردون كلود طوال حياتها،
ولكنها لا تستطيع التصرف بأصول تلك الممتلكات... إلا بحدود
ألف جنيه كما اعتقد. أما الحلبي وما في حكمها فهي ملك لها. وكذا
أول ما فعلته عند سفرها إلى لندن هو أخذ بعض من أتمن تضع الحلبي
إلى شارع بوند وبيعها. لقد أرادت مبلغاً ضخماً من الأموال المقدية.
وبسرعة. أي أنها كانت مضطرة للدفع لسبب.

- هل تعتبر ذلك دليلاً ضد ديفيد هنتر؟

- ألا تعتبره أنت كذلك؟

هنر بوارو راسه وقال: إنه دليل على وجود عملية ابتزاز. نعم
أما أن يكون دليلاً على نية القتل، فلا. لا يمكنك - يا صديقي - أن
تؤمن بهذين الافتراضين معاً. إما أن ذلك الشاب كان عازماً على
الدفع، أو أنه كان يخطط للقتل. وها أنت تقدم دليلاً على أنه كان
يخطط للدفع.

- نعم، نعم. ربما كان الأمر كذلك، ولكن ربما غير رأيه.

هنر بوارو كتبه في حركة تم عن التنازل، أما المفوض
سبنس فقد قال وهو يفكر: إنني أعرف أمثال ديفيد هنتر. إنه نوع
من الرجال الذين آبلوا بلاء حسناً خلال الحرب. وتجد لديهم ما
شئت من الشجاعة الجسدية، والجرأة، والاستهتار الطائش بالسلامة
الشخصية. إنه نوع يتقدم على مواجهة أية احتمالات، ويرجع أن
يحصل على أوسمة البطولة... مع أنها تكون غالباً أوسمة تعطى بعد
مقتل أصحابها عادة ما ينتهي المطاف بأمثال هؤلاء في السجن. إنهم
يحبون الإثارة، ولا يستطيعون العيش بهدوء واستقامة، ولا يأبهون
أبداً بالمجتمع وليس لديهم - أخيراً - أي احترام لحياة الإنسان.

هنر بوارو رأسه موافقاً. فكرر المفوض قوله: نعم، إنني أعرف
أمثال هؤلاء.

ساد الصمت لبضع دقائق. ثم قال بوارو أخيراً: حسناً. إننا
معتقدان على أن لدينا هنا نوعاً من يمكن أن يقتل، ولا شيء أكثر
من ذلك. وهذا لا يشكل أي تقدم لنا فيها.

نظر إليه سبنس بفضول وقال: إنك مهتم كثيراً بهذه القضية،
أليس كذلك يا سيد بوارو؟

- بلى.

- هل لي أن أسأل لماذا؟

فتح بوارو دراعيه خبرة وقال: إنني بهرطقة - لا أعرف تماماً
لسبب. ربما لأنني عندما كنت جالساً قبل عامين أعاني من الغثيان وألم

المعدة (ذلك أنني لا أحب الفارشات الجوية، ولست بالغ الشجاعة
رغب سعيي إلى الظاهر بعكس ذلك) أقول: وقتها - حين كنت جالساً
وشعور الغثيان في معدتي هنا، وذلك في غرفة التدخين في النادي.
كان «ثقل» النادي، أتمجج بورتر الطبيب، بيد الوقت يحدثه الترتيب
ويعيد سرود قصة طويلة لم يكن أحد يصغي إليها سواي: لأنني كنت
أتمنى أن أصرف نفسي وانباهي عن المقابل، ولأن الحقائق التي كان
يسردها بدت لي موحية مثيرة للاهتمام. وفكرت مع نفسي بأنه ربما
حدث يوماً ما تطور تلك القصة التي كان يرويها. وما قد حدث تطور
الآن.

- حدث ما ليس بالحiban، أليس كذلك؟

صحيح أنه يوارو: بالمعكس. إن ما هو بالحiban هو الذي وقع!
وهو أمر بحد ذاته لاقت للنظر.

سأله سينس بارثياب: هل توقعت وقوع جريمة ثلث؟

- كلا، لا! ولكن زوجة تزوج من جديد، مع احتمال أن يكون
زوجها الأول حياً، ثم يتبين أنه حي! واحتمال أن يظهر على مسرح
الأحداث، ثم يظهر فعلاً واحتمال وقوع عملية ابتزاز، ونحدث
فعلاً عملية ابتزاز! ولذلك يبقى احتمال أن يتم إسكات المعتبر إلى
الأبد، والمعجب أنه تم إسكاته فعلاً!

قال سينس وهو يتأمل بومور بارثياب: حسناً، أظن أن هذه
الأمور تثير وفق نهج معروف، فهو نوع شائع من الجرائم حيث
يؤدي الابتزاز إلى القتل.

- أترى أنه ليس في ذلك ما يشير للاهتمام؟ هذا صحيح في
الأحوال الاعتيادية. ولكن هذه القضية تثير الاهتمام لأنها كلها
خطأ.

- كلها خطأ؟ ماذا تعني بذلك؟

- كيف أعتبر من ذلك؟ ما من عنصر فيها يأخذ شكله
الصحيح.

نظر سنس إليه وقال: لقد كان المفتش جاب يقول دوماً إن
لك عقلاً بهوى الوعورة والتعذيب. أعطني مثلاً على ما تقول إنه
خطأ؟

- حسناً، الرجل القليل مثلاً: إنه خطأ كله.

هز سينس رأسه حيرة، فسأله يوارو: أنت لا تشعر بذلك؟
حسناً، ربما كنت أنا متوهماً، إليك - إذن - هذه النقطة: يصل أندريه
إلى فندق مشاغ، فيكتب رسالة إلى ديفيد هنتر، ويستلم هنتر الرسالة
في صباح اليوم التالي... في وقت الإفطار، أليس كذلك؟

- بلى، صحيح. لقد اعترف باستلام الرسالة من أودن وقتها.

- إذن كان ذلك أول إشارة لوصول أندريه إلى ورمزلي قبل،
أليس كذلك؟ فما هو أول شيء فعله هنتر؟ لقد أرسل أخته على
عجل إلى لندن؟

- هذا أمر مفهوم تماماً؛ إذ أراد أن يكون طليق اليد لمعامل مع
المحالة بطريقة الخاصة. ربما كان خائفاً من أن تضعف المرأة. تذكر

أنه هو الأمر النهائي ، وأن السيدة كلود كانت حقاً بتقائه تماماً.

- آه، نعم. ذلك واضح تماماً. إذن فقد أرسلتها إلى لندن وقام بزيارة ذلك الرجل إيتوك آردن. ولدينا تقرير واضح تماماً عن حديثهما من بياتريس ليبينكوت. والشئ الذي بلغت الانتباه - من على بعد أميال كما يقال - هو أن ديفيد هنت لم يكن واثقاً فيما إذا كان محدثه هو روبرت أندوهي أم لا. لقد شكك بالأمر ولكنه لم يكن يعرف.

- ولكن لا غرابة في ذلك يا سيد بوارو. لقد تزوجت روزالين هنتر بأندوهي في كيب تاون. وذهبت معه مباشرة إلى نيجيريا. ولم يلتق ديفيد هنتر أبداً مع أندوهي. ولذلك فرغم أن ديفيد قد شكك - كما قلت - بأن آردن ما هو إلا أندوهي - إلا أنه لم يكن وسعته التحقق من ذلك، لأنه لم يسبق له أن رأى أندوهي أبداً.

نظر بوارو إلى المفوض سينس وهو يمعن التفكير ثم قال: إذن فلا يوجد ما يشير اتبهاك بوجهه... فريدأ؟

- أعرف - ترمي إليه لحافاً لم يقل أندوهي مباشرة إنه أندوهي؟ أنا أظن أن ذلك أمر يمكن فهمه أيضاً؛ فالتناس المحترفون الذين يقدمون على أعمال ملتوية يودون المحافظة على المظاهر. يحبون وضع الأمور بطريقة تتيح لهم أن يقولوا في الجانب اللطيف... إن كنت تدرك ما أعنيه. لا، لا أظن أن هذه النقطة تثير التكبير من الانتباه؛ لا بد من أخذ الطبيعة البشرية بعين الاعتبار.

- نعم، الطبيعة البشرية. ذلك هو - كما أظن - سبب اهتمامي بهذه القضية. لقد كنت ألقب نظري في محكمة الاستجواب ناظراً

إلى كل الموجودين، وناظراً بشكل خاص، إلى أسرة كلود. كانوا - جميعاً - مرتبطين بمصلحة مشتركة، كانوا مختلفين جداً في شخصياتهم وفي أفكارهم ومشاعرهم. وقد اعتمدوا جميعاً ولستوات طوبلة على الرجل القوي، مركز الثقل بالعائلة، وأعتني غوردن كلود؛ ربما لا أقصد بذلك الاعتماد المباشر، إذ كان لديهم جميعاً وسائل مستقلة للحياة، ولكن تطور الأمر بهم (ولا بد أن هذا ما حصل) إلى الاتكاء - عن وعي أو غير وعي - على غوردن كلود، فما الذي حدث؟ سأسألك هذا السؤال أيها المفوض: ما الذي يحدث لشجرة اللباب المتساقطة عندما يتم قطع السنديانة التي تثقف حولها؟

- إنه سؤال لا يكاد يتجسم مع ما نحن بصدده.

- أهذا ما نراه؟ إنني أراه منسجماً. إن الشخصية - بما هي بري - لا تقف ثابتة. إن بوسعها أن تستجيب للقوة. كما أن بوسعها أن تتدهور. إن الطبيعة الحقيقية للشخص لا تظهر إلا عند الاختبار، أي عندما تأتيها تلك اللحظة التي يقف فيها المرء على قدميه هو أو بسقط.

بدأ سينسر حائراً وقال: لا أعرف ما الذي ترمي إليه يا سيد بوارو. إلا أن عائلة كلود هي الآن على ما يرام، أو أنها تصبح كذلك بمجرد انتهاء الشكليات القانونية.

ذكره بوارو بأن ذلك قد يستغرق بعض الوقت وقال: ما زال أمامهم تفيد إقادة السيدة غوردن كلود. فلا بد للمرأة - في نهاية المطاف - أن تعرف شكل زوجها عندما تراه.

ثم مال برأسه جانباً ونظر إلى المفوض الضخم متاثلاً.

قال المفوض: ثرى، أليس مجدباً لامرأة أن لا تعرف على زوجها إن كان ذلك سيفقدها مهنح ملبوني جنبه؟ وفوق ذلك: فلماذا قُتل الرجل إلم يكن هو روبرت أندرهى؟

نتم بوارو قائلاً: ذلك -حقاً- هو السؤال.

• • •

فلاد بوارو مركز الشرطة مقطب الجبين مفكراً، فيما أخذت خطواته تساطاً مع تقدمه في الممر، وفي ساحة السوق توقف قليلاً ينظر حوله. كان هناك بيت الدكتور كلود وعلى بابه اللوحة النحاسية القديمة التي تحمل اسمه، وبعده كان مركز البريد. وفي الجانب الآخر كان منزل جيرومي كلود. وأمام بوارو إلى الخلف قليلاً من الشارع كانت الكنيسة الكاثوليكية بينما المتواضع مقارئة بكيسة سانت ماري الضخمة التي احتلت وسط الساحة موحية بسيطرة الكنيسة البروتستانتية.

ربوحي من دافع مياغت دخل بوارو بوابة الكنيسة الكاثوليكية وفتح الممشى وصولاً إلى بابها الداخلي. ثم دخل فبحته ودخل ليجلس متأملاً على أحد المقاعد، إلا أن صوت نسيج مخوف كبير القلب قطع عليه تأمله.

أدار رأسه ليرى -عبر الممر- امرأة ترتدي السواد وقد ركعت ودخلت رأسها بين يديها، ثم سرعان ما نهضت ومضت باتجاه الباب وهي ما تزال تنسج بصوت مكتوم. نهض بوارو وقد انسمعت عيناه اهتماماً وتبعها، إذ عرف أنها روزالين كلود.

وقفت في الرواق نجاهد كي تكمل تلك نفسها. وهناك تكلم معها
يوارو بلطف شديد: سيدتي هل أستطيع مساعدتك؟

لم تظهر أية إشارة للدهشة. بل أجابه ببساطة طفل بائس: كلا.
لا أحد يستطيع مساعدني.

- إنك في مشكلة صعبة جداً، أليس كذلك؟

- لقد أخذوا ديفيد... إني وحيدة تماماً. يخونون إني قتل.
ولكنه لم يقتل! لم يقتل! لم يقتل!

ثم نظرت إلى يوارو وقالت: لقد كنت هناك اليوم. في
الاستجواب، أليس كذلك؟ لقد رأيتك!

- بنى، إن كان يوسفي أن أساعدك يا سيدتي فسيبرسي القيام
بذلك.

- إني حائرة لقد قال ديفيد إني سأكون صغيراً جداً هو بجانب
يوسفي. ولكنهم أخذوه الآن. إني حائرة. لقد قال لهم جميعاً
يريدون موتي. إن ذلك قطع جداً. ولكن ربما كان صحيحاً.

- يوسفي أساعدك يا سيدتي.

هزت رأسها بالرفض وقالت: كلا. لا أحد يستطيع مساعدني
إني مضطرة لحمل عبء خطيستي وحدي. لقد انفصلت عني شقي
رحمة الله.

- إن رحمة الله لا تنقطع عن أحد. وأنت تعلمين ذلك جيداً
يا صفتي.

مرة أخرى نظرت إليه مذعورة بالشفاء. وقالت: يتعين علي أن
أعترف بذنوبي. أن أعترف، إن استطعت الاعتراف...

- ألا تستطيعين الاعتراف؟ لقد جئت إلى هذا المكان لهذا
الغرض، أليس كذلك؟

- لقد جئت طلباً للراحة. ولكن أية راحة لي، أنا المذنب.

- نحن جميعاً مذنب.

- ولكن على السر أن يتوب. سيكون علي أن أتكلم، أن
أقول.

ارتفعت يداها إلى وجهها وقالت: آه، يا للكذب الذي كذبت.
يا للكذب الذي كذبت!

- هل كنت بشأن زوجك؟ بشأن روبرت أندرمي؟ لقد كان
روبرت أندرمي هو الذي قتل. أليس كذلك؟

التفتت إليه بعدة وجعها مليتان بالشك والعذائية وصاحت:
لقد أخبركم أنه تم بكن زوجي، ولم يكر يشبه في شيء!

- التفتل لا يشبه زوجك في شيء؟

قالت متحدية: كلا.

- أخبريني: كيف كان شكل زوجك؟

حدقت إليه. ثم قست قسماً وجهها ليبدو عليه الذعر،
وغدت عيناها معتمتين خوفاً وصاحت: لن أتحدث مطلقاً أكثر.

ثم تجاوزته بسرعة وركضت عبر الصحراء وعبرت البوابة الخارجية إلى ساحة السوق. ثم يحاول يوارو متابعتها. بل هو رأسه يكثير من الرضا وقال لنفسه: "أه، هكذا الأمر إذن؟" ثم مشى ببطء إلى الساحة، وبعد تردد بسيط تابع طريقه حتى وصل فندق ستاغ الذي كان آخر بناء يمتد بعده الريف.

وقرب باب الفندق قابل يوارو راوولي كلود وبين مارشمونت. نظر يوارو إلى الفتاة باهتمام، وراى فيها فتاة جميلة وذكية أيضاً. لم تكن من النوع الذي يعجبه هو شخصياً، إذ كان يفضل النساء الأكثر دقة وأثورة. وفكر في نفسه بأن لين مارشمونت تمثل النموذج المصري، رغم أن مقدور المرأة أن يرى فيها أيضاً -وبنفس المقدور من الدقة- نموذجاً للنوع الإنثيايني من النساء. النساء كن مستغلات التفكير، منحدرات في لغتهن. أكثر ما يعجبهن هي الرحا روح المجازفة والجسارة.

قال راوولي: إننا مستنون لك جداً يا سيد يوارو. أقسم أن الأمر كان أشبه بخدعة سحرية.

وفكر يوارو أن ذلك كان فعلاً خدعة سحرية! فعندما يسألك امرؤ سؤالاً تعرف جوابه فإنك لن تجد أية صعوبة في تمثيل خدعة مع كل زخارفها المطلوبة. وقد قام بالتحضير من شأن ذلك الإنجاز أمام راوولي البسيط، إذ أن العثور على الصيغر بورتر واستخراجه على غير توقع كان يبعث من الدعشة ما يبعثه استخراج أي عدد من الأراب من قبعة ساحر.

قال راوولي: تحببني طريقة قيامك بمثل هذه الأمور.

لم يشذم يوارو أي توضيح، فهو لم يكن -في نهاية المطاف- سوى بشر يستهويه الإطراء. والساحر لا يُخبر مشاهدته بطريقة قيامه بخدعته.

مضى راوولي قائلاً: على كل حال، أنا ولين مستنان لك إلى أقصى حد.

فكر يوارو بأن لين مارشمونت لم تكن تبدو ممثلة على نحو مختصر. بدت حول عينها خطوط إرهاق وضغط، وكانت يداها تقومان بحركة عصبية من تشابك الأصابع ثم افتراقهما. قال راوولي: سيؤثر هذا كثيراً على حياتنا الزوجية المستقبلية.

قالت لين بعده: وكيف لك أن تعرف؟ إنني واثقة أن أماننا ما لا يحصى من الإجراءات الرسمية وغيرها من الأمور.

صاكن يوارو بأدب: هل ستزوجان؟ متى؟

في حزيران.

- ومنذ متى وأنتا مخطوبان؟

- منذ ما يقرب من ست سنوات. لقد سُرحنا لين مؤخراً فقط من سلاح البحرية.

- وهل الزواج ممنوع في سلاح البحرية؟

أجابت لين باختصار: كنت في بلاد بعيدة.

لاحظ يوارو تقطية راوولي السريعة، وما لبث الأخير أن قال

بسرعة: هيا يا لين، ينبغي أن نذهب. أظن أن السيد بوارو يريد العودة إلى المدينة.

قال بوارو مبتسماً: ولكنني غير عائد إلى المدينة.

- ماذا؟

قالت راولي ثم توقف فجأة دون حراك، وقد بدا عليه تصلب غريب.

- سأبقى هنا، في فندق ستان، لفترة قصيرة.

- ولكن... ولكن لماذا؟

أجاب بوارو ببساطة: المناظر خلابة هنا.

قال راولي بارتياح: نعم، طبعاً. ولكن، أليس... أليس مشغولاً؟

أجاب بوارو مبتسماً: لقد كنت بترنييتي لا حاجة لأن أشغل نفسي دون داع لذلك. أستطيع أن أتمنع بأوقات فراغي وأفضيها حيث يشتهي شغلي، وحياتي مشغول بورمزي فيل.

رأى لين مارتشمونت ترفع رأسها وتنظر إليه باهتمام، أما راولي فقد رأى بوارو أنه انزعج قليلاً. قال راولي: أظن أنك تلعب القوالب. أليس كذلك؟ يوجد فندق أفضل بكثير في ورمزني هيث، أما هذا الفندق فهو صغير سيء التجهيز.

أجاب بوارو: إن اهتماماتي تتركز كلياً في ورمزني فيل.

قالت لين: هيا يا راولي.

تبعتها راولي بشيء من التردد. وعند الباب توقفت لين قليلاً ثم عادت بسرعة، وتحدثت مع بوارو بصوت منخفض تماماً: لقد اعتقلوا ديفيد هتر بعد الاستجواب فهل نقتلهم... هل نقتلهم كانوا محققين في ذلك؟

- ثم يكن لديهم بديل بعد صدور الحكم يا أنسي.

- أعني... هل نقتل أنه فعلها؟

- وهل أنت نقتل؟

ولكن كان راولي قد عاد ليقف جانبها، تصلب وجهها حتى لم يعد ينم عن شيء وقالت: وداعاً يا سيد بوارو... أمل أن نلتقي ثانية.

قال بوارو في نفسه: عجيباً!

وفي الفندق وُثب بوارو مع بياتريس ليبينكوت مسألة حجز غرفة له ثم خرج ثانية، لضوئه خطاه إلى بيت الدكتور ليونيل كلود. فتحت الحصة كاثي الباب وهتفت: آه!، ثم تراجعت خطوة أو خطوتين، وأضاعت: السيد بوارو؟

أجابها بوارو متحياً: في خدمتك يا سيدتي، جيتكم زائراً.

- لطيف منك أن تزورنا. نعم، جئنا. تفضل بالدخول! اجلس رجاء. سأنادي السيدة بلافاستكي لشرب كوباً من الشاي، ولكن انكحك غير حارج. أردت الذهاب إلى محلات بيكوك لأشتري بعض

الكعك، ولكن جلسة الاستجواب تقصد روتين الحياة المعتزلة،
أليس كذلك؟

أجابها يوارو بأنه يرى ذلك مفهوماً تماماً. كان قد نُحِّل نيوارو أن
راولي كلود قد انزعج من إعلانه نيته البقاء في ورمزلي قبل، وها هو
أسلوب العمة كاثي يبدو - دون أي شك - أبعد ما يكون عن الترحيب؛
فقد كانت تنظر إليه وفي وجهها ما يكاد يبلغ حد الرعب. انحنبت
وقالت بصوت أبش حاسر ويلهجة احتيالية: لا أظنك ستغير زوجي
بأنني جئت واستشرت بك بخصوص... بخصوص موضوعنا؟

- شفتاي مخنومتان.

- أعني... لم يخطر لي ضماً في ذلك الوقت بأن روبرت
أندره كان عملياً في ورمزلي فيل، بالمسكين؟ أمر مأساوي جداً.
إن ذلك يبدو لي أكثر المصادفات غرابة!

وانفها يوارو قاتلاً، لو أن لوح نحضر الأرواح ونجهك إلى
فندق ستاغ مباشرة لكان ذلك أبسط بكثير.

تهلل وجه العمة كاثي قليلاً لدى ذكر لوح نحضر الأرواح
وقالت: إن طريقة حدوث الأشياء في عالم الأرواح تبدو عصبية على
التقدير والتخمين، ولكنني أشعر حقاً يا سيد يوارو بأن في هذا الأمر
كله غرضاً، ألا تشعر بذلك في الحياة؟ أي بأن هناك دوماً غرضاً ما؟

- بلى، أشعر بذلك حقاً يا سيدتي. حتى في جلوسنا هنا الآن
في غرفة جلوسك يوجد غرض.

- آه، حقاً؟

بدا وكأن السبلة كلود قد فوجئت قليلاً، أضافت قائلة: أيوجد
حقاً غرض؟ نعم، أظن ذلك. أنت عائد إلى لندن بالطبع، أليس
كذلك؟

- ليس الآن؛ سأبقى ليضعة أيام في فندق ستاغ.

- في فندق ستاغ؟ آه، في ستاغ! ولكنه المكان الذي... آه،
أنظن قرارك هذا حكيماً يا سيد يوارو؟

أجابها يوارو بجدية: لقد تحدثت إلى فندق ستاغ.

- هدبت؟ ما الذي تعنيه؟

- لقد هدبتني أنت.

- آه، ولكنني لم أقصد أبداً... أعني أنني لم أكن أعرف أبداً...
إن الأمر كله فظيع جداً، ألا ترى ذلك؟

هز يوارو رأسه بحزن وقال: لقد كنت أتحدث مع السيد راولي
والآنسة مارشمونت. سمعت أنهما سيتزوجان قريباً جداً؟

وعلى الفور نسبت العمة كاثي الموضوع السابق وبدأت تقول:
العزيرة لين. إنها فتاة رائعة جداً، وهي جيدة جداً في الحسابات. لم
تعد لي الآن ذاكرة للحسابات... لم تعد لي أية ذاكرة، إن عودة لين
إلىنا تعمة بكل معنى الكلمة. تراها إذا ما وقعت في ورطة فظيعة تتقدم
دوماً ونسوي لي الأمور. فتاتي العزيرة! أمل أن تكون سعيدة. راولي
شخص رائع بالطبع، ولكنه ربما كان... وربما كان جامداً عملاً ببعض
الشيء. أعني أنه جامد بالنسبة لفتاة شاهدت الكثير في هذا العالم

مثل لين. لقد بقي داخلي في مزبعته طوال سنوات الحرب. ولكن بشكل شرعي طبعاً. أعني أن الحكومة أرادت منه ذلك. والأمر - من هذه الناحية - لا غبار عليه. إذ لم يكن مسألة جبن أو ما شابهه كما حدث في حرب البوير. ولكن ما أعنيه هو أن ذلك قد جعله محدود التفكير إلى حد ما.

« إن ست سنوات من الخطية تُعتبر اعتباراً جيداً للحب

- آه، صحيح! ولكنني أظن أن هؤلاء الفتيات يصحن - عندما يعدن إلى الوطن - فترات بعض الشيء، وإذا ما رُجد شعص بالقرب منهن، شخص كانت حياته حياة مقامرة.

- مثل ديفيد هنتر؟

أجابت النعمة كاثي بلهفة وسرعة: ليس بينهما أي شيء. على الإطلاق. إنني واثقة تماماً من ذلك! ولو صح ذلك لكان أمراً فظيماً بعدما تبين أنه قاتل. وقاتل تصبر، أيضاً! آه، لا يا سيد بوارو، أرجوك أن لا تخرج فكرة وجود أي تفاهم بين لين وديفيد. وثواقع أن ما كان يغيب على لقاءتهما كلما انشبا هو العراك والمثجرة أكثر من أي شيء آخر. ما شعرته هو أن... آه، أظن أن هذا زوجي قادم. تذكر يا سيد بوارو، لا أريد ذكر أية كلمة من لفاتك الأولى. هل يمكن ذلك؟ إن زوجي المسكين يتزعج كثيراً إذا رأى أن... آه، عزيزي ليونيل، أقدم لك السيد بوارو الذي قام - بذلكه - بإحضر ذلك المبحر بورتر لمعالجة الجثة.

بدأ الدكتور كلود منهكاً متعباً. قلب عينيه لتزويجين انتحيتين

ويؤذيها الصغيرين في الغرفة بذهول وقال: مرحباً يا سيد بوارو. أنت عائد للمدينة؟

فكر بوارو قائلاً لنفسه: يا إلهي، ها هو شخص آخر يدفع بي دفعا إلى لندن! ثم قال بصبر: لا، إنني باق في فندق ستاغ ليوم أو يومين.

- فندق ستاغ؟

عيس ليونيل كلود وأضاف: آه؟ أريد الشرطة أن يستفرك هنا قليلاً؟

- كلا، إنه خياري أنا.

- حقاً؟

وبدت على الطبيب فجأة نظرة ذكاء سريعة وقال: إذن فأنت غير مفتح؟

- لماذا تظن ذلك يا دكتور كلود؟

- هيا يا رجل، اعترف بأنها الحقيقة، أليس كذلك؟

تمتمت السيدة كلود بكنيمات حول إعداد الشاي وغادرت الغرفة فيما مضى الطبيب قائلاً: لديك شعور بوجود خطأ ما، أليس كذلك؟

فوجئ بوارو، وقال: إنه لمن الغريب أن تقول ذلك، فهل تشعر قنث - إذن - بذلك الشعور؟

تردد كلود قليلاً وقال: كلا، لا يكاد الأمر يصل إلى هذا الحد
وبما كان ذلك مجرد شعور بعدم الواقعية، ففي الروايات يقتل الشير،
ولكن هل يحدث ذلك في الحياة الواقعية؟ يبدو واضحاً أن الجواب
هو: «نعم»، ولكن ذلك يبدو غير طبيعي.

- هل كان في الجانب الطبي من القضية شيء غير متقنع؟ وأنا
هنا أسأل بصفة غير رسمية طبعاً.

اجاب الدكتور كلود وهو يفكر: كلا، لا أصل لذلك.

- بل... يوجد شيء ما... يومعي أن أرى ذلك.

كان يمكن لبوارب - عندما يرغب بذلك - أن يكسب صورة
تكاد تجعله يتوهم مفتظياً.

عصر الدكتور كلود قليلاً، ثم قال متردداً: ليست لدي خبرة
بقضايا الشرطة طبعاً، والدليل الطبي ليس - على أية حال - أمراً
بشياً فاعلماً لا يقبل الخطأ كما يظن المبدئون أو عامة الناس؟ فمن
تركب أخطاء، وهلم الطبيب ليس معصوماً، ما هو التشخيص؟ إنه
نخبس يمتد إلى معرفة قليلة جداً، وإلى بعض الاستشارات غير
النهائية التي تشير إلى أكثر من اتجاه ربما كنت أنا نازعاً في تشخيص
مرض الحصى، لأنني رأيت خلال حياتي عشرات من حالات الحصى
وأعرف تشكيلة واسعة جداً من علامات هذا المرض وأعراضه،
وأنت لا تكاد تجد أبداً ما تخبرك كتب الطب التقليدية بأنه «الحصاة»
«النموذجية» للحصى، ولكنني شهدت بعض الأمور الغريبة في
حياتي، لقد رأيت امرأة كانت - عملياً - على طاولة عمليات مستعدة
لاستئصال زائدة الدودية، عندما نيس - في الوقت المناسب تماماً -

لأنها تعاني من الحمى شبه التيفوئيدية! شاهدت طفلاً ذا مشكلات
جلدية وقد حكم عليه شائب حي التضمير بأن لديه نقصاً حاداً في
الفيثامينات، فيما جاء الطبيب البيطري المحلي لأم الطفل وذكر لها
بأن القطعة التي يحتضنها الطفل مصابة بمرض القوباء الحلقي، وأن
الطفل قد أصابه العدوى منها! إن الأطباء هم - ككل الناس - ضحايا
للافتكار المبني. فما هو رجل من الواضح أنه قُتل، وهو مدد
وجانبه منقطع موقد ملطخ بالدماء، سيكون من السخف القول إنه
قد ضرب بأي شيء آخر، ومع ذلك، ورغم أنني أتكلم وأنا أفتر
تصادم للحصاة في مجال الرووس المهشمة، إلا أنني كنت سأشك في
شيء ما مختلف بعض الشيء، شيء ليس بهذه الملائمة والاعتدالة،
شيء - آه، لا أدري، ولكنه شيء ذو حافة أكثر حدة، كقطعة آجر
أو شيء من حد القيل

ولكنك لم تقل ذلك في التحقيق؟

- نعم، لأنني لا أدري حقاً. لقد كان جينكينز، الطبيب
الشرعي، مقتنعاً، وهو الرجل الذي يؤخذ بكلامه. ولكن بغض النظر
«المسقة» لصالح الشرعي قرب الجثة، أيمكن أن يكون الجرح قد
حدث نتيجة ذلك السلاح؟ نعم، ممكن. ولكنك لو رأيت الجرح
وسئلت ما الذي أحدثه - فلا أدري إن كنت متحيز كما أجب
«الغيب الشرعي». لأنه ليس في ذلك حقاً أي معنى. أعني: إن وجدت
شخصاً، واحد يضربه بأجر والآخر بالملقط.

توقف الطبيب، وهز رأسه علامة على عدم الاقتناع. وردد
قليلًا: ليس في ذلك أي معنى، أليس كذلك؟

- أيمكن أن يكون قد سقط على شيء حاد؟

هز الدكتور كنود رأسه بالنفي وقال: لقد كان ممهداً وسط الغرفة ووجهه إلى الأرض... فوق سجادة فاخرة نخبة قديمة.

ثم توقف عندما دخلت زوجته الغرفة. وقال: ها هي كاثي جاءت بأكل القطط.

كانت العمة كاثي تحمل صينية مليئة بالأواني الفخارية. ونصف رغيف من الخبز وبعض البسكويت الرديء في فم آتية رجولية قالت وهي ترفع عطاء إبريق الشاي وتنظر داخله: أظن أن الشاي كان يغلي في الإبريق.

هسبم الدكتور كنود ثانياً ونشم فائلاً: أكل القطط. وبهذه العبارة الغاضبة خرج من الغرفة.

قالت العمة كاثي: مسكين ليرنيل. أعصابه في حالة برئى لها منذ أيام الحرب إنه يعمل كثيراً إلى حد الإرهاق. كثير من الأطباء تركوا المنطقة، وهو لا يشرب أبداً، بل يعمل من الصباح إلى الليل، وإنه لا أعجب من عدم انهياره كثيراً. لقد كان يتطلع بانطع - إلى التقاعد فور حلول السلام. وتم ترتيب ذلك كله مع غوردن إن هوايته هي علم النبات، مع تركيز خاص على الأعشاب الطبية التي استخدمت في العصور الوسطى. وهو يكتب كتاباً عن ذلك. كان يتطلع إلى حياة هادئة يقوم فيها بأبحاثه الضرورية. ولكن بعدها، عندما توفي غوردن على ذلك النحو... أنت تعلم - يا سيد بوارو - كيف هي الأمور الآن، مع وجود الضرائب والتكاليف الأخرى، لم يعد بوسعنا أن نتقاعد، وذلك يجعله يحس بمرارة شديدة. إن الأمر

يبدو محققاً حقاً... أن يموت غوردن كلود هكذا، دون وصية. لا أملك إلا أن أشعر بأن ذلك كان خطأ.

تهددت ثم استعذت شيئاً من البهجة وقالت: ولكنني أحصل على بعض التأكيدات الم مطمئنة الرائعة من الجانب الآخر: شجاعة وصبراً وسيتم العثور على مخرج... وبالفعل، عندما وقف ذلك الميجر بورتر القرائع اليوم وقال بثلث الطريقة الجازمة الشجاعة بأن القتل المسكين هو زوبرت أندوهي، عندها رأيت أنه تم العثور فعلاً على مخرج! أليس من الرائع - يا سيد بوارو - أن نقلب الأمور هكذا نحو الأفضل؟

علق بوارو قائلاً: حتى جريمة القتل!

غرفة القهوة بل في البهو. ويوسع النزول أن يتناول حساء ويندسور، وشرايح اللحم المسماة فينا ستيك مع البطاطا، والفطائر المُدسَّنة، مما يشكل بمجمله وجبة العشاء، بوسعه أن يتناول ذلك في غرفة القهوة في الساعة السابعة تماماً. وحتى ذلك الحين كان الهدوء العميق يخيم على منطقة الغرف السكنية في فندق ستاغ.

الفصل السابع

صعد بوارو الدرج وهو غارق في التفكير. وبدل الالتفاف يساراً إلى حيث توجد غرفة ذات الرقم ١١، انعطفت يميناً ووقف أمام الغرفة رقم ٥، نظر حوله، فلم يجد غير الصمت والفراغ، ففتح الباب ودخل.

كان الشرطة قد أنهوا عملهم في تفتيش الغرفة، وبدأوا وأصفاً أنه تم تطهيرها وتنظيفها مؤخراً. لم تكن هناك سجادة على الأرض، والظاهر أن السجادة الفاخرة التي تحدث عنها الدكتور ليونيل قد أرسلت إلى محل التنظيف، أما البطانيات فقد كانت مطوية وموضوعة على السرير كرزمة مرنية.

أغلق بوارو الباب خلفه وتجهل في الغرفة التي كانت نظيفة، خالية - على نحو غريب - من أية مسحة إنسانية. استعرض بوارو أثاث الغرفة: طاولة كتابة وخزانة وأدراج صغيرة من خشب الماغوني القديم جداً، وخزانة ملابس عمودية من نفس الخشب (يفترض أنها هي التي تغطي الباب الفاصل بين هذه الغرفة والغرفة رقم ٤)، وسرير نحاسي خشخيم مزدوج، ومغسلة كبيرة أقرب إلى الحوض مزودة بأنماء النحاس والبارد (كمؤشر للمحذات ونقص الخدم)، وثمة كرسي مُتجد ذو ذراعين لا يبدو مريحاً رغم ضخامته، وكرسيان

دخل بوارو فندق ستاغ مشغل الذهن، يرتجف قليلاً نتيجة الريح الشرقية الباردة. كانت الصالة فارغة مهجورة. فتح باب البهو إلى بعبه ليجد رائحة دخان في البهو، واثار نوشت على الانطفاء. مشى بوارو على رؤوس أصابعه إلى الباب الآخر عند نهاية الصالة، والذي تعذره عبارة «المنزلاء فقط». وعندما فتح الباب الآخر وجد نارا مضطربة في الموقد كما ينبغي، وتكن أمام النار، وعلى كرسي ضخم، جلست بارونيه امرأة هائلة الحجم تستمتع «متدفئة» أصابع قدميها. حدثت المرأة إلى بوارو بصريرة جعلته يعود أدراجه كمن يحتار عن ذنب ارتكبه.

وقف لحظة في الصالة ينظر من خلال المكتب الزجاجي الفارغ إلى الباب الذي كُنت عليه بأحرف راسخة قديمة نظير عيزة غرفة القهوة. كان بوارو يعرف - من خبرته في فنادق الأرياف - بأن الوقت الوحيد الذي تُقدَّم فيه القهوة «ويشي» من الشر أيضاً - هو وقت الإفطار، وحتى عند الإفطار يكون العنصر الغائب في تلك «قهوة» هو الحليب النحر المفشوش بالماء. أما الفناجين الصغيرة من ذلك السائل اللذيذ العكر المسمى «قهوة سوداء» فلم تكن تُقدم في

صغيراً. أما الموقد فقد كان قديماً فيكتوري الطراز، وإلى جانبه قضيب معدني لإذكاء النار، وجاروف مذهب حاد لحمل الفحم. وبدا أن القضيب والجاروف كلاهما من نفس مجموعة الملقط. وكان حول الموقد إطار رخامي ضخم، مع حاجز رخامي مشين للنار داخل الموقد ذي زوايا مربعة.

كان ذلك الحاجز الرخامي داخل الموقد وزواياه المربعة هو ما انكب بوارو عليه ليدقق فيه. يمل بوارو أصبعه وحك الزاوية اليمنى لحاجز النار ثم نظر إلى أصبعه ليرى النتيجة، فوجده قد اسود قليلاً. ثم كرر العملية بأصبع آخر على الزاوية اليسرى من حاجز النار، ولكنه - هذه المرة - وجد أصبعه نظيفاً تماماً.

حدث نفسه وهو غارق في التفكير: نعم، نعم. نظر إلى المسئلة الضخمة، ثم مشى إلى النافذة. كانت النافذة تطل على سطح معدني مائل، خلفه بوارو سطح مزأب سيارات، ونحته ممر خلفي صغير. طريق سهل يستطيع الشخص أن يأتي منه ويذهب دون أن يرى من الغرفة رقم ٥. ولكن رغم ذلك، كان من السهولة أيضاً صعود الدراج بشكل عادي إلى الغرفة رقم ٥ دون أن يثير ذلك أي انتباه، ولقد فعلها بوارو آنه.

انسحب بوارو بهدوء، وأقفل الباب خلفه دون أي ضجة. ثم مضى إلى غرفته ليجد أنها باردة جداً. ولذلك عاد أدراجه إلى الطابق السفلي، وهناك تردد قليلاً، ثم دفعه زهمير تلك الأمية إلى التجوؤ على وتوج باب اللزلاء فقطع، حيث سحب كرسياً قرب الموقد وجلس.

كانت المعجوز الهائلة أكثر إثارة للربح عندما ينظر إليها الناظر عن قريب. كانت ذات شعر أشيب يلوّن الحديد، وشارب كث، وصوت عميق يثير انزعاج كما بدا حين تكلمت قائلة لبوارو: هذا البهو معجوز لتزلاء الفندق.

أجابها بوارو: أنا نزيل في الفندق.

فكرت المعجوز لحظات قبل أن تعاود هجومها، ثم قالت كمن بوجه نهمة: أنت أجنبي.

- نعم.

- يراي أن عليكم أن تعودوا جميعاً.

سألك بوارو: إلى أين تعود؟

أجابت المعجوز بشيء: إلى المكان الذي جتتم منه، ثم أضافت كعاشبة استداركية قائلة جانباً: "أجانباً"، وشغرت.

قال بوارو بشيء من الإذعان: سيكون ذلك صعباً.

- هراء! لقد خضنا الحرب لهذا البب، اليس كذلك؟ خضناها لكي يعود الناس إلى بيوتهم وأوطانهم ويقيموا هناك.

لم يدخل بوارو في جدال مع المعجوز، فقد تعلم بأن لكل شخص رأياً مختلفاً في موضوع «لماذا خضنا الحرب؟».

ساد جو من الصمت العدائي إلى حد ما، قطعت المعجوز بقولها: لا أدري ما الذي سنؤول إليه الأمور... حقاً لا أدري، إنني

آني وأتزل في هذا الفندق كل عام. فقد مات زوجي هاجندسة عشر عاماً. وهو مدفون هنا. إنني آتي لأقيم هنا شهراً في كل عام.

قال بوارو بأدب: حجج مبرور.

- وفي كل عام تزداد الأمور سوءاً عنى سوء. خدمة سيئة، والعمام لا يؤكل! ويسمونه «فيتا ستيت» أيضاً! إما أن تكون شرايح الستيك الحقيقية من أرداف البقرة أو من خاضعتها... لا أن يحضروا لك حصناً مُقدَّداً!

هز بوارو رأسه بأسف، ومضت المعجوز فائلة: الأمر الوحيد الوحيد هو أنهم أغلقوا القاعدة الجوية. فقد كانت مشيئة، مع مجيء كل أولئك الطيارين الشباب (أي هنا بصحة أولئك الفتيات المظلمات يا لهن من فتيات! لا أدري ما الذي تفكر به أمهاتهن في هذا الزمن إذ يتركنهن يتسكعن على ذلك النحو. إنني ألوم الحكومة التي ترسل النساء ليحمن في المصانع، ولا تعفيهن من ذلك إلا عندما يكون لديهن أطفال صغار. أطفال صغار. هذا هو النهار بعينه! إن يوسع أي امرئ أن يعتني بطفل صغير! فانطلق لا يخرج راکضاً خلف الجنود. إن الفتيات بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة هن من يحتاج إلى العناية والرعاية ويحتاجن أمهاتهن! لا أحد يعرف ما تفكر به الفتاة كأمها. الجنود والطيارون؟ هذا هو كل ما يفكرون به. أمريكيون؟ زوج! رعاي! بوشديون!

وصل السخط بالمعجوز في هذه النقطة إلى حد جعلها تسعل. وعندما أكملت توبة السعال مضت في حديثها لتورخ نفسها في توبة غضب مضحكة، مستخدمة بوارو هدفاً لغضبها: لماذا يضعون أسلاكاً

شائكة حول معسكراتهم؟ لمنع الجنود من الوصول إلى الفتيات؟ كلا. بل لمنع الفتيات من الوصول إلى الجنود! هكذا هم، فشيئات المعتول بالرجال! انظر إلى طريقة لبسهن. ليس البناطيل! وبعض الحمفاوات منهن ليسن الشورتات... ما كن لبقدمن على ذلك لو أدركن كيف تبدو أشكالهن من الخلف!

- إنني أتفر معك يا سيدتي، أتفر معك تماماً.

- وما الذي يلبسه فوق رؤوسهن؟ هل ليس قبعات مناسبة؟ كلا. بل بضمن خرقة مطوية هكذا إلى الأعلى، والوجوه مغمورة بالأصباغ والمساخيق. وتلك الفذارة على شفاههن والأصباغ على أطراف أيديهن؟

سكت الصوت المدوي للمعجوز. ونظرت إلى بوارو مترقبة، فتنهد وهز رأسه أسفاً، فيما مضت هي تقول: وحتى في الكنائس لا يضعن قبعات. بل إنهن أحياناً لا يضعن حتى تلك الشالات السخيفة، بل يدخلن بشعرهن الأشعث البشع المموج دائماً. الشعر؟ ما عاد أحد يعرف ما هو الشعر في هذه الأيام. عندما كنت شابة كان برسمي أن أجلس على شعري.

استرق بوارو نظره إلى خصلات شعرها الأشيب بلون الحديد. بدا له مستحيلاً أن هذه المعجوز الرهبة قد كانت يوماً ما شابة أبداً!

مضت المعجوز فائلة: أطلت إحداهن برأسها هنا قبل أيام، نعم، وقد لقت نفسها بوشح بوفقائي وكلها أصباغ ومساخيق. نظرت إليها فقط. فسارعت بالخروج! لم تكن من النزلاء. ويسرني أنه لا توجد نزيلات من طرازها هنا! ما الذي كانت تفعله عندما خرجت من

غرفة نوم أحد الرجال؟ إنه أمر مفرز. تحدثت بشأنه مع تلك الفتاة لبيبيكوت، ولكنها لا تقبل سوءاً عن الأخباريات، وربما سمعت أميلاً خلف أي لابس بطل

استبقت في عقل بوارو اهتمام بالهتة خفيف، فتأمل: خرجت من غرفة رجل؟

عادت العجوز لتكمل موضوعها محسنة: هذا ما فكرت لقد رأيته بأمر عيني... الغرفة رقم 5.

- في أي يوم كان ذلك يا سيدني؟

- في اليوم الذي سبق كل تلك الفجة حول مقتل رجل هنا من الشين أن يحدث شيء كهذا هنا! لقد كان هذا الفندق فيما مضى مكاناً محترماً من النوع القديم. أما الآن.

- في أي ساعة من النهار كان ذلك؟

- النهار؟ لم يكن نهاراً لمداه بل في الليل، وفي وقت متأخر من الليل أيضاً أمر محبب تماماً بعد العاشرة ليلاً إنني أذهب إلى النوم في الساعة العاشرة والربع وقد خرجت من الغرفة رقم 5 بسمي الوقاحة. ونظرت إلي، ثم دخلت ثانية إلى الغرفة وهي تضحك وتحدث مع الرجل هناك

- هل سمعت الرجل نفسه يتكلم؟

- أليس أقول لك ذلك؟ انسلت هي داخلية فصاح فيها قائلاً: آه، هيا، اخرجي من هنا. يكفي... يا لها من طريقة لطيفة في

التحدث مع فتاة. ولكنهن يتأهلن ذلك! عديسات الخلق!

- ألم تذكرني ذلك للشرطة؟

جمدته بنظرة قاتلة منها ثم نهضت متمايلة عن كرسيها، ووقفت هناك تنظر إليه من الأعلى وتقول: لم يسبق لي أبداً أن كان لي شأن مع الشرطة. هه، الشرطة! أنا أقف في محكمة الشرطة؟

ثم غادرت الغرفة وهي تهتز غضباً بعد أن رمت بوارو بنظرة ضمنية. جلس بوارو ليضع دفتان يداهب شاربه مفكراً، ثم ذهب ليمتحن بياتريس لبيبيكوت، التي قالت رداً على استفسار بوارو: آه، نعم يا سيد بوارو. أتمني السيدة ليدريتر العجوز! إنها أرملة كانون ليدريتر، وهي ثاني إلى هنا كل عام. ولكنها طبعاً - ولينق هذه بيت - مرمجة متجبة، وهي حقاً شديدة الوقاحة أحياناً مع الناس، ويبدو أنها لا تريد أن تفهم أن الأمور قد تغيرت هذه الأيام. لقد فازت الثمانين من عمرها بالطبع.

- ولكنها صليحة الذهن، وتعرف ما تقوله، أليس كذلك؟

- آه، بلى! إنها عجوز حادة الفكاهة تماماً، بل أذكى مما هو مألوف في بعض الأحيان.

- هل تعرفين من هي الشابة التي زارت القتل ليلة الثلاثاء؟

بدت بياتريس مذهولة وقالت: لا أذكر محبي. شابة لزيارته في أي وقت، كيف كان شكلها؟

- كانت ترتدي شالاً برتقالياً حول رأسها وأظن أنها كانت

نضع الكثير من المسحوق والأصباغ على وجهها كانت هي الغرفة رقم ٥ تتكلم مع أردن عند الساعة العاشرة والرابع من ليلة الثلاثاء.

- ليست عندي أية فكرة عن ذلك يا سيد بوارو.

مضى بوارو وهو منتقل الذهن ليبحث عن المقوض مبسر. أصغى مبسر صامتاً لفصحة بوارو. ثم اتكأ إلى الخلف في كرسيه وهز رأسه ببطء وقال: أمر غريب، أليس كذلك؟ كم يعود السره إلى الحكمة القديمة نفسها. «ابحث عن المرأة».

أنقضى مبسر هذه الحكمة بالفرنسية. وقد كان فخوراً بلغته الفرنسية رغم أنها لم تكن بمستوى فرنسية المرقب غريمز. بعض مبسر وعبر الغرفة ليعود وهو يحمل شيئاً في يده. كان ذلك أحمر الشفاه. وقد وضع في علبة كرتون ذهبية. وقال: كان لدينا طوائف الوقت هذا المؤشر على إمكانية نواظرة امرأة في هذا الأمر.

أخذ بوارو أحمر الشفاه ومسح به برفق على ظاهر يده. ثم قال: إنه من نوعية جيدة. أحمر قائم بلون الكرز. ربما كان يستعمل من قبل امرأة سمراء.

- نعم لقد عثروا عليه على أرضية الغرفة رقم ٥. وقد تدهرج تحت خزانة الأدراج، وربما كان هناك منذ زمن طبعاً. ما من بصمات عليه. طبعاً، لا توجد هذه الأيام تلك التشكيلة الواسعة من أحمر الشفاه كالسابق، فقط بضعة ألوان أساسية.

- هل أنت واثق من أنك قمت بتحريرياتك بهذا الشأن؟

ابسم مبسر وقال: نعم. لقد قمنا بتحريرياتنا كما أسيبتهنا

إن روزالي تستخدم هذا النوع من أحمر الشفاه. وكذلك لين مارتشمونت. أما فرانسيس فإنها تستخدم لوناً أفتح. السيدة ليونيل كلود لا تضع أحمر شفاه، والسيدة مارتشمونت تستخدم لوناً بنفسجياً باهتاً. أما بيترس ليبينكوت فيبدو أنها لا تستخدم شيئاً غالي الثمن إلى هذا الحد. وكذلك خادمة الغرف غلاديس.

ثم صمت. فقال له بوارو: لقد تعمقت في تحرياتك.

- لم أتعنى بما فيه الكفاية، إذ يبدو الآن كما لو أن امرأة غريبة متورطة في الموضوع. ربما كانت امرأة يعرفها أندرو في ورمزني فيل.

- وكانت معه في العاشرة والرابع من ليلة الثلاثاء؟

نعم.

ثم أضاف مبسر متنهداً: هذا يجعل ديفيد هنتر خارج الموضوع.

- أيجعله حقاً؟

- نعم. لقد وافق. سمعته، على الإذلاء أخيراً بإفادته. وذلك بعد أن تعب محاميه في إقناعه بالتصرف بمنطقية. وها هو تقريره من تحركاته.

أخذ بوارو مذكرة مطبوعة بشكل أنيق وقرأ فيها: «غادر لندن في قطار الساعة ١٦.٤ إلى ورمزني هيث، وصل هناك الساعة ٣٠.٥. متى إلى منزل فورويانك عبر الطريق الترابي».

تدخل المفوض سبنس قائلاً: كان سبب قدومه إلي هنا - كما قال - هو أخذ بعض الأشياء التي تركها: رسائل وفوراق ودفتير شبكات، ولروية ما إذا كانت بعض القمصان قد عادت من محل تنظيف الملابس... تلك القمصان التي لم تكن قد عادت بالطبع! يا إلهي، إن محلات تنظيف الملابس مشكلة هذه الأيام. لقد انقضت أربعة أسابيع منذ أن مروا آخر مرة بييتنا. لم نبق لدينا منشفة نظيفة واحدة، وزوجتي تغسل كل ملابسها الآن.

بعد هذا الإقحام الإنساني جذاً عاد المفوض إلي مسار حركات ديفيد: «غادر فورويانك الساعة ٧.٢٥. ويقول إنه ذهب للتنجول مشياً على الأقدام بعد أن غاثه قطار الساعة ٧.٢٠ ولم يكن ثمة قطار حتى الساعة ٨.٢٠».

سأل براوو: في أي اتجاه مشى؟

راجع المفوض أودافه وقال: يقول إنه مشى قرب غيضة داون، ثم ياتز هيل، ثم لونج ويدج.

- إنها - في الحقيقة - دورة كاملة حول منزل وايت هاوس!

- يا إلهي، ما أسرع ما أتقنت جغرافية المنطقة يا سيد براوو!

اينسم براوو وهز رأسه غافياً وقال: لا، أنا لا أعرف إلا ما كنتي ذكرتني، بل كنت أحسن.

- آه، تخمين، أليس كذلك؟

ثم أمال المفوض رأسه إلى الجانب وقال: ثم يقول ديفيد إنه

عندما وصل إلى لونج ويدج أدرك بأنه قد مضى الوقت بسرعة، فركض فاصداً محطة ورمزلي هيث عبر الحقل. وقد لحق بالقطار في آخر لحظة. ووصل إلى محطة فيكتوريا في لندن الساعة ١٠.٤٥ ثم مشى إلى شقة أخته في شيفرديز كورت حيث وصل إلى هناك في الحادية عشرة. وهذا الجزء الأخير من الإفادة يؤكد السبلة روزالين كلود.

- وماذا تعلمك من أدلة قطعية بخصوص باقي التحركات؟

- القليل القليل... ولكن توجد بعض الشواهد. فقد رآه راوولي كلود وآخرون وهو يصل إلي ورمزلي هيث. وقد كانت خدمات فورويانك في إجازة (وكان لديه مفتاحه الخاص طبعاً) ولذلك لم يشاهدته، ولكنهن وجدن عقب لفافة نسيج في المكتبة مما أثار فضولهن كما فهمت. كما وجدن الكثير من الاضطراب في خزانة البياضات. ثم إن أحد البستانيين كان يعمل هناك حتى وقت متأخر، وقد لمح به البستاني هناك، كما فاقته الأنسة مارتشمونت قرب ماردون وود عندما كان يركض للحاق بالقطار.

- هل رآه أحد وهو يغفل القطار؟

- كلا، ولكنه اتصل هاتفياً بالأنسة مارتشمونت من لندن فور وصوله في الساعة الحادية عشرة وخمسة دقائق.

- وهل تم التحقق من صحة ذلك؟

- نعم، لقد أجرينا تحقيقاً حول المكالمة من ذلك الرقم، وقد وجدنا مكانة في الساعة ١١.٠٤ إلى رقم ٣٤ في ورمزلي هيث، وهو رقم عائلة مارتشمونت.

نستم بوارو قاتلاً: هذا مثير جداً.

ولكن سبنس استمر في حديثه بمنهجية وحرص: لقد تركت
راولي كلود القليل أردن في الساعة التاسعة إلا خمس دقائق. وهو
يؤكد تماماً أن الوقت لم يكن قبل ذلك. وفي نحو الساعة وعشر
دقائق رأيت لين مارشمونت دقيقتي متر قرب ماردن وود. فإذا افترضنا
-جداً- أنه ركض الطريق كله من فندق ستاغ، فهل كان يستلك من
الوقت ما يسمح له بمقابلة أردن، والتشاجر معه وقتله والوصول إلى
ماردن وود؟ إننا نتحقق من ذلك، ولكنني لا أحسب ذلك ممكناً.
ولكننا نبدأ الآن من جديد على أية حال. فعلى انعكس من الفرضية
المقابلة إن أردن قُتل في الساعة التاسعة، ما نحن تعلم أنه كان حياً
عند الساعة العاشرة وعشر دقائق... هذا إن لم تكن عجوزك نحلم.
أي أنه إما أن يكون قُتل على يد المرأة التي سقط منها أحجر الشفاء،
ذات الشال البرتقالي، أو على يد شخص ما جاء بعد مغادرة المرأة
وقد قام ذلك الشخص -كائناً من كان- بزيادة عقرب الساعة عمداً
إلى التاسعة وعشر دقائق.

- وهو أمر كان من شأنه أن يشكل موقعاً بالغ العرج بالنسبة
لديفيد هنتر لو لم يصادف ثين مارشمونت في مكان غير متوقع
أبداً.

- نعم، صحيح إن قطار التاسعة والثلاث هو آخر قطار يغادر
ورمزلي هيث. وكان القطار يشد شيئاً غريباً، ودائماً ما يغادر لأعبو
غولف عاندين إلى المدينة على متن ذلك القطار. ولذلك ما كان
أحد يلاحظ وجود هنتر، والتحقيق أن مستخدمي المحطة لا يعرفونه

بشكل، وهو لم يستقل سيارة أجرة هناك في المدينة، ولذلك فليس
تدبيره ما يثبت وصوله إلى شقة أخته في شيفرديز كورت في الوقت
الذي يدعيه باستثناء شهادة أخته.

كان بوارو صامتاً، فأله سبنس: بماذا تفكر؟

- رحلة طويلة على الأقدام حول وايت هاوس، ثم لقاء في
ماردن وود. ثم مكالمات هاتية لاحقاً (ولين مارشمونت مخطوبة
لراولي كلود)... إنني أحب كثيراً أن أعرف ما قيل في تلك المكالمات
الهاتية.

- إن الجانب الإنساني هو ما يثير اهتمامك، أليس كذلك؟

- بنى، إنه دوماً الجانب الإنساني.

• • •

للورد إدوارد بسببها، واضطر إلى العيش في الخارج. نعم، إنها رياضة باهظة التكاليف.

ولكن نيرة الفخر كانت ما يزال في صوته. وقدو بوارو أن جيريبي نفسه يفضل رمي أمواله في الشارع بدل استثمارها في سباقات الخيل. ولكنه يكن إعجاباً واحتراماً في دجلة نفسه تجاه أولئك الذين يقدمون على مثل تلك المجازفة.

مضى جيريبي كلود قائلاً: بماذا أستطيع خدمتك يا سيد بوارو؟ إننا - العائلة - نشعر أننا مدينون لك بالعرفان، لعشورك على المبحر بورتر لتقديم شهادة تعریف بالقبيل.

- وتبدو الأسرة فرحة جداً بذلك.

- آه، الفرح سابق لأوانه الآن. ما يزال أماننا الكثير من الإحراجات؟ فموت أندوهي ثم ثقيله في أفريقيا في كل الأحوال، ومن الصعب جداً نفسي مثل هذه الفتاة، كما أن إعادة روزالين كانت جازمة تماماً.. جازمة جداً بالفعل. وقد خلقت انطباعاً سلباً لصالح إعادتها.

بدا وكأن جيريبي كلود لم يكن مستعداً للاعتماد على أي شخص في قرصه المستقبلية. ثم ما لبث أن قال: لا أحب أن أطلق حكماً في هذا الجانب أو ذاك، ولا أستطيع الجزم بكيفية سير القضية.

ثم نعى جانباً بعض الأوراق في إشارة قلق يكاد يبلغ حد نفاذ الصبر وقال: ولكنك أردت رؤيتي؟

الفصل الثامن

كان الوقت متأخراً، ولكن بوارو أراد القيام بزيارة أخرى إضافية، ولذلك فقد توجه إلى بيت جيريبي كلود

وهناك قاده خادمة صغيرة عليها ملامح الذكاء، إنني مكتب جيريبي كلود، وإذ ترك وحيداً نظر بوارو إلى ما حوله؟ رأى أن كل ما يحيط به قاتوني وجاف، وأن جيريبي كلود تقل ضيعة عمله إلى منزله. وضعت على المكتب صورة ضخمة لغوردن كلود، وصورة أخرى ياهنة للورد إدوارد نرينتن. وعندما دخل جيريبي كان بوارو يتفحص تلك الصورة الأخيرة، فأعاد الصورة المؤطرة إلى المكتب بشيء من الارتباك قائلاً: آه، عمواً

قال جيريبي وفي صوته أثر بسيط من التجميع والرضا عن الذات إنه والد زوجتي، بمنظري أحد أفضل خيوله، وقد حقق الثمرة الثانية في سباق ديربي عام ١٩٢٤. ألك اهتمام بسباق الخيل؟

- كلا، مع الأسف.

قال جيريبي بواقعية. هواية تكلف أموالاً طائلة. لقد أفلس

- كنت أريد أن أسألك - يا سيد كلود - إن كنت حقاً والتفتاً تماماً
من أن أخذك لم يتبدل وصية؟ أعني وصية وضعها بعد رواجه.

بدت الدهشة على جيريمي، وقال: لا أظن أن فكرة وجود
شيء من هذا القبيل قد خطرت أبداً لأحد. إنه - بالتأكيد - لم يكتب
وصية قبل مغادرته نيويورك.

- ربما وضع وصية خلال اليومين اللذين قضاهما في لندن.

- أتعني أنه ذهب إلى معانم هناك؟

- أو كتب وصية نفسه.

- وجعل عليها شهوداً؟ في الشهود؟

ذُكر بوارو فادلاً لقد كان في المنزل ثلاثة خدم ثلاثة خد
مانوا معه من نفس المدينة.

- هممم. نعم. ولكن حتى لو جدد أن صنع ما اقترحه، فإن
الوصية تكون قد أُلغيت هي أيضاً.

- هذه هي النقطة بالضبط. إن كثيراً من الوثائق التي ساد الاعتقاد
بانها أُلغيت تماماً قد تم تحليلها وقراءتها مؤخراً عن طريق جمعية
جديدة تم التوصل إليها وثائق كانت احترقت وأُحِلَّ حزبات التحديد
المنزلية مثلاً. ولكنها لم تنلف إلى حد يحول دون قراءتها.

- حسناً يا سيد بوارو. إن فكرتك هذه استثنائية تماماً، وسليمة
جداً للنظر. ولكنني لا أظن.. نعم، لا أظن حقاً أن فيها ما يمكن

الاعتماد عليه. فحسب علمي لم توجد خزانة حديدية في البيت في
شيلد تيراس. لقد كان غوردن يحتفظ بكل أوراقه المهمة في مكتبه،
ولم تكن في مكتبه أية وصية بالتأكيد.

تبع بوارو بإصرار: ولكن أليس موسع المرء أن يقوم بتحرياته؟
وأن يسأل مسؤولي الدفاع المدني مثلاً؟ هل أنت مستعد لتخويلي
بالتفاهم بذلك؟

وقبل أن يستطيع جيريمي الإجابة فُتح الباب ودخلت فرانسيس
كنود. جذب انتباه بوارو أمراً: الأول هو حقيقة أنها بدت مريضة إلى
حد مذهل. والثاني هو شبهها الكبير بوالدها في الصورة.

قال جيريمي دون أن يكون لقوله داع: لقد جاء السيد بوارو
لزيارتنا به عزيزتي.

حينه ولخص لها جيريمي مباشرة ما اقترحه بوارو حول
إمكانية وجود وصية بدت فرانسيس مرعوبة، وقالت: تبدو تلك
وصية مستبعدة تماماً.

- السيد بوارو ذاهب إلى لندن ليقوم - شكوكاً - بتحرياته.

قال بوارو: لقد فهمت أن المبحر بودتر كان مسؤولاً عن الوقاية
من القنارات النحوية في تلك المنطقة.

ظهر تعبير غريب على وجه السيدة كلود وسألت: من هو
المبحر بودتر؟

قال بوارو: ضابط متقاعد. يعيش براتبه التقاعدي.

- وهل كان حقاً في أفريقيا؟

نظر إليها بوارو بفضول وقال: بالتأكيد يا سيدتي. ولم لا؟

قالت بشروط لا أدري. لقد أثار حيرتي؟

قال بوارو. نعم يا سيده كلود؟ يوسف أن أفهم ذلك.

نظرت إليه بعدة، وفهر عني وجهها تعبير أقرب إلى الخوف. التفت إلى زوجها وقالت: جيريبي، إني أشعر بأمر كبير عني روزالين، إنها يسفدها في قورويانك ولا بد أنها شديدة القلق من اعتقال ديفيد. هل تمنع في أن أدعوها لتأتي وتقيم معنا؟

قال جيريبي بشيء من التشكك: هل تعتقدن حقاً يا عزيزتي أن ذلك مستحسن؟

- آه، مستحسن؟ لا أدري! ولكن المرأة لا تعلم إلا أن بحسب بالتعاطف. إنها امرأة باتسة تماماً.

- أشك في أنها مستقبل ذلك.

- يوسف - على كل حال - أن أعرض عليها الأمر

قال المحامي بهدوء: أفهمي ذلك إن كان من شأنه أن يجعلك أسعد حالاً.

- أسعد حالاً!

خرجت الكلمة منها بمرارة غريبة. ثم رجعت بوارو بظفرة أرتياب سريعة.

تمتم بوارو بأدب: "أستأذن بالذهاب الآن". فيما تبعته فرانسيس إلى الصانعة، وسألته: هل أنت مسافر إلى لندن؟

- سأسافر غداً، ولكن لفترة أربع وعشرين ساعة على أبعد تقدير. وبعدها أعود إلى فندق مشاغ، حيث ستجديني يا سيدتي إن أردت رؤيتي

سألته بعدة: ولماذا عساني أريد رؤيتك؟

ثم يجيبها بوارو، بل اكتفى بالقول: سأكون في فندق مشاغ.

في ساعة متأخرة من تلك الليلة تحدثت فرانسيس كلود مع زوجها في الظلام: لا أصدق أن ذلك الرجل ذاهب إلى لندن للسبب الذي سافه لا أصدق كل تلك الرواية عن إمكانية كتابة غوردون نوصية. هل تصدق ذلك يا جيريبي؟

أجابها صوت يانس متعجب: لا يا فرانسيس، لا إنه ذاهب لسبب آخر ما.

- أي سبب؟

- لا أدري.

- ماذا ستفعل يا جيريبي؟ ماذا ستفعل؟

وسرعان ما أجابها قائلاً: أفطن يا فرانسيس أن لدينا أمراً واحداً ينبغي فعله.



الفصل التاسع

استطاع بوارو بعد أن تسلم بكل الأوراق الثبوتية الضرورية من جبريمي كلود - أن يحصل على إجنات عن أسكنه. وقد كان رجال الدفاع المدني جازمين تماماً في معلوماتهم. إذ أكدوا إن المنزل دُفّر تماماً، وأن الموقع لم يتم نظفها وإزالة الأنقاض منه إلا مؤخراً بهدف إعادة بنائه. تم بيع من النصف أحد سوى ديفيد هنتر والسيدة كلود. وقد كان في المنزل ثلاثة خدم. فريدريك غيم وإليزابيث غيم وأبلين كوريس، وقد قتل الثلاثة جميعاً على الفور أما غوردون كلود فقد أخرجوه حياً. ولكنه توفي في الطريق إلى المستشفى دون أن يستعيد وعيه. أخذ بوارو أسماء أقرباء الخدم المقربين وعناوينهم ثم قال: ربما كانوا قد تحدثوا إلى أصدقائهم - على سبيل الإشارة أو التعليق - بأمر من شأنه أن يعطيني مؤشراً للوصول إلى محتومات أنا في أمسي الحاجة إليها.

أما المسؤول الذي كان بوارو يتحدث إليه فقد بدا في ريبة من ذلك. كان فريدريك غيم وزوجته إليزابيث من منطقة دورسيت، أما أبلين كوريس فقد كانت من منطقة كاونتي كورك.

نوجه بوارو بعد ذلك باتجاه منزل الميجر بورتر! فقد تذكر قور

بورتر بأنه كان أحد مسؤولي المراقبة من الغارات الجوية، وكان بوارو يتساءل فيما إذا كان بورتر على رأس عمله في تلك الليلة بالذات، وفيما إذا كان قد شاهد شيئاً من ذلك الحادث في شيفلد نيراس. وفوق ذلك كانت لدى بوارو أسباب أخرى لرؤية الميجر بورتر والحديث معه. وعندما انطلق عند زاوية شارع إيدغوي أدشنه رؤية شرطي يشاهد الرسمية يقف خارج البيت نفسه الذي كان متجهاً إليه، وكانت هناك حلقة من العبية الصفار والناس الآخرين وقد وقفوا يحذقون إلى المنزل. انطلق فؤاد بوارو وهو يفسر مغزى ما يراه.

اعترض الشرطي تقدم بوارو وقال: لا يمكنك الدخول إلى هنا يا سيدي.

- ما الذي حدث؟

- لا أنتك تسكن في هذا البيت، أليس كذلك؟

هو بوارو وأمه بالنسبة - فسأله الشرطي: من كنت قاصداً؟

- أردت رؤية رجل يدهي الميجر بورتر.

- أثبت صدقه يا سيدي؟

- لا، لا يمكنني وصف نفسي كصديق له. ما الذي حدث؟

- لقد أطلق الرجل النار على نفسه كما فهمت. آه، ها هو المفتش.

كان أياك قد قُنع وخرج منه شخصان، أحدهما مفتش الشرطة المحلي، والآخر مزيء بوارو، وهو الرقيب غريغز من شرطة وورملي

قيل. وسرعان ما ميز الأخير بدوره بوارو وقدمه للمفتش الذي قال:
الأفضل أن ندخل.

دخل الرجال الثلاثة إلى المنزل. قال غريفر: لقد اتصنوا بنا في
ورمزي فيل. وقد أرسلني المفوض سبنس إلى هنا.

- انتحار؟

أجاب المفتش: نعم، يبدو ذلك امرأة واضحاً لا شك فيه.
لا أدري إن كان اضطراؤه للإدلاء بشهادة في التحقيق قد أثر بشكل
مؤذ على عقله. يتصرف الناس بشكل غريب أحياناً في هذه المواقف.
ولكنني فهمت أنه كان مكتئباً مؤخراً، المصاعب المالية وغير ذلك.
أطلق النار على نفسه من مسدسه

- أسمعني بالصعود إليه؟

- كما تحب، رافقه إليها الرقيب

- حاضر يا سيدي.

ثماده غريفر صعوداً إلى الغرفة في الطابق الأول. كانت الغرفة
كما يتذكرها بوارو إلى حد بعيد. الألوان الباهتة للسجاد القديم.
والكتب. كان الميجر بووتر ملقى في الكرسي الضخم ذي الخراشيف.
وجلسه أشبه بالجلسة الطبيعية. بامتلاء تدلي الرأس إلى الأمام!
وكانت ذراعه اليمنى متدلّية إلى جانبه... وتحتها على السجادة، كان
المسدس. وكانت في الهواء بقايا رائحة خفيفة جداً لتسارود.

قال غريفر: يفنون أن ذلك كان قبل نحو ساعتين. ثم يسمع

أحد الطلقة. وكانت المرأة صاحبة البيت قد خرجت للتسوق.

كان بوارو غائباً وهو ينظر إلى الجسد الهادي والجرح الصغير
المحروق في الصدغ الأيمن. وسأله غريفر: أليس لك أية فكرة يا سيد
بوارو عن سبب إقدامه على ذلك؟

كان غريفر يعامل بوارو باحترام لأنه رأى المفوض يعامله
كذلك. مع أن رايه الخاص كان يقول إن بوارو هو واحد من أولئك
المتقاعدين المعجزة الفطحيين.

أجابه بوارو وهو شارد: نعم، نعم! يوجد سبب وجيه جداً.
تصبوية لا تكمن هنا.

ثم انتقلت نظره إلى طاولة صغيرة إلى يسار الميجر بووتر.
وعينها متفحصة زجاجية فضحة مع حلزون وحلبة ثقاب. ولم يكن هناك
شيء آخر. جالت عينه بوارو في الغرفة ثم سار إلى المكتب. كان
المكتب قريباً جداً. وقد وضعت الأوراق في خاناتها بكل ترتيب.
وعلى وسط المكتب نشافة حبر جلدية صغيرة، وحافظة أقلام فيها
قلم حبر وقلم رصاص ورزمة من ورق الملاحظات ودفتري طوابيع.
كان كل شيء مرتباً منظماً. حياة منظمة وموت منظم. طبعاً، ذلك
هو... ذلك ما كان ناقصاً؟

قال للرقيب غريفر: ألم يترك أية ملاحظة؟

هو غريفر رأسه بانثني وقال: نعم، لم يترك شيئاً. مع أنه أمر
يمكن للمرء توقعه من ضابط سابق.

- تعجب، هذا غريب جداً!

ورغم دقة الميجر بورتو وحرصه على الشكليات في حياته، إلا أنه لم يكن كذلك في حياته. ورأى بوارو أن عدم ترك بورتو لأية ملاحظة كان خطأ لا يستقيم مع المنطق.

فاز غريفر: إن التحاور بشكل صفة لعائلة كلود؟ فهو سعيدهم إلى البداية. سيعبر عليهم البحث مجدداً عن شخص آخر كان يعرف أندروهي عن قرب.

ثم نملل قلباً وقال: أتريد رؤية أي شيء آخر يا سيد بوارو؟

هز بوارو رأسه بالنفي وخرج خلف غريفر من الغرفة. وعلى الدرج تقابل الاثنان مع صاحبة المنزل. كان واضحاً أنها تستمتع بحالة الإثارة والانفعال التي نحس بها. وعلى الفور شرعت في حديث مهذار. وسرعان ما نأى غريفر بنفسه تاركاً بوارو يتلقى قبض الحديث وحده: يبدو أنني لم أجد أستطيع سحب أنفاسي. إنه القلب. هو المشكلة. الخناق الصدري. وقد توفيت أمي بسببه. سقطت ميتة عندما كانت تعبر سوق كاليدوتيان. وأنا نفسي كدت أسقط عندما وجدته. أه، لقد أزعجني ذلك! لم أشك بشيء من هذا الثقيل، مع أن معنوياته كانت عابطة منذ وقت طويل. أظنه كان غلقاً بشأن المال، ولم يكن يأكل ليفيم أود، ولم يكن يقبل من أبداً لغمه يأكلها. وفوق ذلك اضطر بالأمس للذهاب إلى مكان ما في أوستشير، اسمه وورملي قيل، ليبدلي بشهادة في تحقيق هناك. وقد عذبه ذلك، نعم. لقد عدت من هناك بحالة قطعية. أخذ يذرع الغرفة طول ليلة أمس، ذهاباً وإياباً. ذهاباً وإياباً. كانت قضية رجل مثنول، وهو صديقه. المسكين،

لقد أزعجه ذلك، وظل يروح ويحي، وعندما خرجت للمتسوق، حيث اضطرت للوقوف في صف طويل جداً لشراء السمك، عدت وصعدت لأري إن كان يريد كوباً من الشاي. فوجدته هناك. ذلك المسكين... والمسند ساقط من يده وهو منحرف في كرسيه. لقد شرب لي ذلك صدمة رهبة. وفوق ذلك الاضطراب لإحضار الشرطة، وكل هذه الضجة. ماذا سيحل بهذا العالم. هذا ما يعيرني؟

قال بوارو ببطء: إن العالم يبدو مكاناً تصعب فيه الحياة... إلا بالنسبة للقوي.



المحفلة التي رأيت فيها صورة أليك إن ملامح هائلتك متميزة شديدة التحديد. لا يمكن للمرء أن يشك بأنك وصاحب الصورة تشبهان لعائلة واحدة، وكان الشبه قوياً بنفس النسبة في حالة ذلك الرجل الذي جاء إلى هنا ممياً نفسه بإنوك آردن.

تهدت بحزن وعمق وقالت: نعم، نعم، أنت على حق. رغم أن تشارلز المسكين كانت له لحية. لقد كان أحد أبناء عموتي الأبعدين يا سيد يوارو. وكان - إلى حد ما - شقي العائلة. ثم أكن أعرفه بشكل جيد. ولكننا كنا نلعب معاً أيام الطفولة. وها أنا قد قدته الآن إلى مصرعه... إلى موت بشع قذراً!

سكنت لمحفلات. فقال يوارو بلطف: هل لك أن تخبريني عشت في حلقتها وقالت: نعم، لا بد من حكاية القصة. لقد كنا في عصر الحاجة إلى المال. تلك كانت البداية. كان زوجي كان روجيه في ورطة خطيرة... في أسوأ أنواع المورطات. كان المار، وربما السحر، بانتظاره. وهب ماير الآن بانتظاره أيضاً. والآن عليك أن نفهم هذا يا سيد يوارو. إن المحفة التي وضعتها ونفذتها كانت تعطيني أنا، ولا علاقة لزوجي بها. ولم تكن - على أية حال - من الخطأ التي يمكن أن يفذهها. إذ كان من شأنه أن يحبرها خطة تطوي على الكثير الكثير من المجازفة. أما أنا فتم أكن أهتم بخوض المحازلات. وأظن أنني كنت - دوماً - مستعدة ضعيفة التوراع إلى حد ما. دعني أقول أولاً إنني تقدمت من دون اثنين بطلب قرض. ولا أدري إن كانت مستعدة - لو تركت بمفردها - لأن تمنحني ذلك القرض أم لا. ولكن أخافا تدخل. وكان في مزاج سيء. فتصرف بشكل مهين

الفصل العاشر

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً. عذرا سيد يوارو. إنني فلتق متاع، ليجد ملاحظة أرسلتها لفرانسيس كلود تطلب منه فيها أن يأتي لزيارتها، لمخرج على الفور.

كانت تنتظره في غرفة الخفوس. ولم يكن قد رأى تلك العرفة من قبل. حيث كانت التوافد المفتوحة تطل على حديقة سبعة ذات أشجار مزعومة. وكان الأثاث القديم يلمع نتيجة ما استعمل في نظيفه من شمع ومن جهد كبير. ورأى يوارو أنها غرفة رائعة الجمال.

- لقد قلت إنني سأطلب يا سيد يوارو. وقد كنت محق تماماً بوجود شيء لا بد من قوله. وأظنك أقص من يقال له ذلك الشيء. - إنه من الأسهل دوماً يا سيدي أن تحبيري بالأمر شخصاً يملك فكرة واضحة تماماً عن ذلك الشيء.

- ألمعت أنك تعرف ما سأقوله؟

هز يوارو رأسه بالإيجاب. فقلت: ماذا مني؟

ثم تركت السؤال دون نهاية ولكنه أجابه بسرعة وجرم. هب

لا ضرورة له، أو أنني هكذا شعرت. وعندما فكرت بهذه الخطة لم يكن لدي أي وازع أبداً في تطبيقها.

ولتوضيح الأمور، علي أن أخبرك بأن روجي قد كور عنى مسامحي في العام الماضي معلومة مثيرة للاهتمام كان قد سمعها في النادي الذي ينتمي إليه. وقد كنت أنت هناك كما أظن، ولذلك لا حاجة لتكرارها ثانية بالتفصيل. ولكن تلك المعلومة فتحت احتمالاً في أن لا يكون زوج روزالين الأول ميتاً. وهي تلك الحالة لن يكون لها -بالطبع- حق في شيء من أموال غوردون. كان ذلك طبعاً احتمالاً غامضاً هامئاً، ولكنه بقي في أعماقي عقولنا، كسوء من أهداف الخارجية التي يمكن أن تتحقق.

وقد التفتت في ذهني فكرة أن شيئاً ما يمكن فعله باستحداً ذلك الاحتمال. كان تشارلز أحد أراء عموماني في هذا الشأن. وكان عاثر فحظاً يائساً. وقد أمضى فترة في السجن، إذ لم يكن شخصاً منضبطاً جنوفاً، ولكنه أبني بلاء حسناً في الحرب، وهكذا عرضت عليه الأمر. كانت العملية بالطبع عملية إرث لا أكثر ولا أقل، ولكنك ظننا أن هناك فرصة جيدة في أن ينجح بها ونخرج سالمين. ورايت أن ديفيد هتر - في أسوأ الحالات - سيرفض الدفع ثم أثار أنه سيذهب إلى الشرطة، فأخذته لا يحبون التعامل مع الشرطة.

تصلب صوتها ومضت قائلة: وقد سارت شعك عنى ما يرام، واقتنع ديفيد بها أكثر مما كنا متوقعين ونأمل. ثم يكر يوسع تشارلز أن يقدم نفسه بشكل حاسم على أنه «روبرت أندرهى» بالطبع. إذ أن روزالين يمكن أن تكشف ذلك بسرعة، ولكنها ساهرت إلى لحد.

تحسن الحفظ، مما ترك تشارلز فرصة أن يوحى -على الأقل- بأنه دوبرت أندرهى. وكما قلت، بدا أن الخطة قد انطلقت على ديفيد، وكان يترقب أن يأتي المال في الساعة التاسعة من مساء الثلاثاء. ولكن بدلاً من ذلك...

اضطرب صوتها، ثم قالت: كان علينا أن ندرك بأن ديفيد كان... شخصاً خطيراً. لقد مات تشارلز... بل قُتل. ولولاي لكان الآن حياً يرزق. لقد نسيت أنا في موقته.

سكنت لحظة ثم مضت تقول بصوت جاف: لك أن تتخيل شعوري منذ ذلك الحين.

فان لها بوارو. ومع ذلك كنت سريعة في رؤية تطور إضافي طرأ على خطتك، أليس كذلك؟ لقد كنت أنت من أقتع الميجر بورتر بالشهادة على أن ابن عمك هو «روبرت أندرهى»؟

ولكنها انتفضت قائلة على الفور: كلا، وأقسم لك على ذلك. كلا، هذا ما لم أقم به! ما من أحد أصابته الدهشة مثلاً... الدهشة؟ بل قتل -الصعقة- عندما تقدم ذلك الميجر وشهد بأن تشارلز... تشارلز... هو دوبرت أندرهى! لم أستطع فهم ذلك، وما أزال غير قادرة على فهمه؟

- ولكن أحداً ما ذهب إلى الميجور بورتر وأقنعه، أو رشاه، لكي يشهد بأن القاتل هو روبرت أندرهى؟

أجابته فرانيس بصوت جازم: لم أكن أنا ذلك الشخص، كما لم يكن جيريمي. لا أحد منا يمكن أن يقدم على مثل هذا الأمر. آه،

أظن ما أقوله قد يبدو مخيفاً بالنسبة لك؟ فانتِ تحسب أنني - وقد كنت مستعدة للقيام بعملية ابتزاز - يمكن أن أتحذر بنفس السهولة إلى ذلك التزوير وشهادة الزور. ولكن الأمرين - كما أراهما - مختلفان جداً إذ عليك أن تدرك بأنني شعرت (وما أزال أشعر في الواقع) بأن لنا حقاً في جزء من أموال غوردن. وقد كنت مستعدة للحصول بالطرق الممنوعة على ما لم أستطع الحصول عليه بالطرق النزيهة. أما أن ألجأ - عامدة - إلى تجريد روزالين من كل شيء بالخداع وبالتفتيش شهادة زور تعني في النهاية أنها لا تُعتبر قانوناً زوجة لغوردن كلود أبداً... أما هذا، فكلاهما سيد بوارو. لم أكن حقاً لأقدم على أمر كهذا أرجوك. أرجوك أن تصدقني.

قال بوارو ببطء: إنتي أعتزلك - على الأقل - بأن لكل امرئ خطايئه المصيبة. نعم، سأصدق ذلك.

ثم نظر إليها بحدّة وقال: هل تعلمين يا سيّدة كلود بأن المبحر بورتر أطلق على نفسه النار عصر اليوم؟

تراجعت إلى الخلف واتسعت عيناها رهباً وقالت: أه، كلا يا سيد بوارو، كلا!

- نعم يا سيّدي. لقد كان المبحر بورتر في جوهرة رجلان نزيهة مستقيماً. ولكنه كان يمر بوقت عصيب من الناحية المالية. وعندما راوده الإغراء فشل في مقاومتها، شأنه في ذلك شأن الكثيرين. ربما كان الأمر قد بدا له. أو أنه أقنع نفسه، بأن كذبه تكاد تكون مبرورة أخلاقياً. فقد كان - أساساً - متعباً في فراوة عقده ضد المرأة التي تزوجها صديقه أندريه. وكان يرى أنها تعاملت مع صديقه بشكل

مخزٍ. وها هي الآن صباغة الملايين هذه قد تزوجت مليونيراً، واستطاعت أن تخرج سالمة ومعها ثروة زوجها الثاني مما الحق ضرراً بأفراد عائلته الأقربين من لحمه ودمه. وبما بدا الأمر له مغرباً أن يضع عصا في عجلتها، إذ رأى أنها تستحق ذلك. وفوق ذلك فإن مجرد تعرفه على جثة رجل قتل من شأنه أن يؤمن حياته كلها للمستقبل. فعندما يحصل آل كلود على حقوقهم سياله نصيبه من المال. نعم، إن بوسعي أن أرى الإغراء الذي راوده. ولكنه - كالكثير ممن يتمنون إلى طبيعته - كان يفتقر إلى الخيال. كان ثعباناً باتساً جداً خلال الاستجواب. وكان بوسع المرء أن يلاحظ ذلك، ففي المستقبل القريب كان عليه أن يعيد كذبه مرة أخرى بعد أداء اليمين في المحكمة. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل لقد اعتقل رجل الآن. وأنهم بجريمة القتل. وكانت هوية القتل تقدم دافعاً مقنعاً جداً لتلك التهمة. لذلك فقد عاد إلى بيته وواجه الأمور بشرف ونزاهة، واختار المخرج الذي رآه الأفضل.

قتل نفسه؟

- نعم.

نمتت فرانسيس: أتم بقل من الذي... من الذي...

هز بوارو رأسه بالتمني متسهلاً وقال: كانت له معايير الخلقية. ثم يترك أية إشارة إلى هوية من حرضه على ارتكاب شهادة الزور.

راقبها بوارو ملياً. ترى هل سمح أتماً سريعاً لارتياح أو ارتخاء بعد توتر؟ نعم، ولكن ربما كان ذلك طبيعياً على أية حال...

نهضت ومشيت نحو النافذة قائلة: إذن فقد عدنا إلى حيث
كنّا.

ونسأل يوارو عن حقيقة ما تفكر به.

الفصل الحادي عشر

في صباح اليوم التالي استخدم المفوض مبنس نفس كلمات
فرانسيس تقريباً. إذن فقد عدنا من حيث بدأنا. ثم نهض وقال: علينا
أن نعرف الهوية الحقيقية لذلك الرجل، إيتوك آردن.

قال يوارو: بوسمي أن أتخبرك بذلك أيها المفوض؛ (إن اسمه
هو تشارلز تريتن).

- تشارلز تريتن؟

صفر المفوض استغراباً وقال: هممم! أحد أفراد أسرة تريتن.
أظن أنها هي التي حرضت على ذلك، أمني زوجة جيريمي كلود...
ولكننا لن نستطيع - على أية حال - أن نثبت علاقتها بالأمم. إذن فهو
تشارلز تريتن؟ يبدو أنني أتذكر هذا الاسم.

هو يوارو رأسه بالإيجاب وقال: نعم، إن له سجل سوابق.

- نعم، ظننت ذلك. كان يحتال على القنادي - ألم تخني
الذاكرة - في فندق ريتز، ثم يخرج ويشتري سيارة رولز رويس
على أن يقضي الصباح في تجربتها، وبعدها يتجول في السيارة

المنحمة إلى أرقى المحال وأغلاها ويشتري من بضائعها. وبالطبع فإن أحداً لا يشك في شيكات رجلٍ منتظم. برزولز خارج المحل لتتقل مشرياته إلى فندق فخم كفتقد ريتز! مدفوع ما يمنع به من أسلوب ومن أصل أرستقراطي يجعله غفلةً يمكنه من أن يسرع أو أكثر، وعندما تبدأ الشكوك كان يخفي بهلوسه ويبيع ما اشتراه بأسعار أرخص لرجال قد انتفاهم. نعم، تشارلز تروبي!

ثم نظر إلى يوارو وقال: إنك مكتشف ثمور، أليس كذلك؟

- كيف نسير قضيتك ضد ديفيد هتس؟

- سنضطر إلى إطلاق سراحه، فقد اب مع أردن امرأة في تلك الليلة بالفعل وذلك لا يستد فقط. إنما قالته تلك المعجوز الرهيبة، فقد كان جيمي بيرس عائداً إلى... فشاهد امرأة تخرج من فندق ستاغ وتذهب إلى كشك الهاتف مع مكتب البريد... كان ذلك بعد العاشرة تماماً. قال إنها لم تكن تعرفها، وأنه ظن أنها إحدى نزيلات الفندق. وقد وصفها هو بأنها غالية من لندن.

- هل كان قريباً جداً منها؟

- كلا، كان في الجانب الآخر من الشارع من همامها تكون هذه يا يوارو؟

- هل وصف لكم ملابسها؟

- قال إنها كانت ترتدي معطفاً صوفياً وشالاً يرتفالياً حول رأسها، وتلصق بغطاء، وتضع الكثير من مساحيق التجميل. وهذا يتطابق مع وصف المعجوز جيد.

- نعم، إنه يتطابق فعلاً.

نضرب يوارو جيئة مفكراً فيما سأله المفوض: حسناً، من تراها كانت، ومن أين جاءت وإلى أين ذهبت؟ إنك تعرف مواعيد قطاراتنا. قطار التاسعة والثلاث هو آخر قطار يذهب ليلاً إلى لندن، أما آخر قطار يصل منها فهو قطار العاشرة وثلاث دقائق. هل بقيت تلك المرأة تسكع طوال الليل ثم استقلت قطار السادسة وثمانية عشرة دقيقة صباحاً؟ هل كانت لديها لديها سيارة؟ هل وقفت على الطريق حتى وجدت سيارة تقفها معها؟ لقد أرسلنا من يسأل في كل المنطقة، ولكن دون نتيجة.

ماذا عن قطار السادسة وثمانية عشرة دقيقة صباحاً؟

- إنه مزدحم دائماً، رغم أن غالبية ركابه من الرجال. أعلن أنهم كانوا سيلاحظون وجود امرأة... وخاصة امرأة من هذا النوع. أحسب أنها ربما جاءت وغادرت بواسطة سيارة، ولكن السيارة نلاحظ في دومرني قبل هذه الأيام. فمنهم يحدون عن الطريق العام.

- ألم يلاحظ وجود سيارة في تلك الليلة؟

- سيارة الدكتور كلود فقط. كان خارجاً لعيادة مريض ما... هل طريق ميدلنغهم. لا بد أن شخصاً ما قد رأى امرأة غريبة في سيارة.

قال يوارو ببطء: ليس من الضرورة أن تكون غريبة. إن رجلاً يرى امرأة على بعد مئة ذراع في الظلام قد لا يميز فيها امرأة من نفس المنطقة. لم يكن يعرف هذه المرأة جيداً. ربما كانت امرأة غيتت عادتتها وأسلوبها في التلصق.

نظر إليه بنين متناحلاً. فقال بولرو: هل كان من شأن هذا الشاب جرس. أن يتوكل مارشمونت؟ لقد كانت مسخرة لعدة سنوات.

- كانت ابن مارشمونت في منزلها المسمى 'وايت هاوس' مع والدتها في تلك الساعة.

- هل أنت متأكد؟

- لقد قلت أشبه نيوبي كنود (أي تلك الذئبة البضطربة زوجة الطيب) قالت إنها اتصلت هاتفياً مع ابن في بيت الأخيرة عند الساعة العاشرة وعشر دقائق. ورواها كنود كانت في لندن أما زوجها جيريبي فأنسى له أرها أنها تفسر سقالات. كما أنها لا تصح كثيراً من المساجين، وهي فوق ذلك ليست شابة.

تقدم بولرو بحسن الالامه وقال: أوه هيا يا عزيزي! أليس لك الأمر في تلك مصلحة لا تثيرها إلا أمور الشارع الخافعة أن سير الشاب من الكهولة تحت فوط كتفه من المساجين؟

سمح بولرو، ما الذي عزمي إليه؟

عاد بولرو ليبدأ ظهره إلى مسد كريمة. لم يسمع عجب نصف إغمضة وقال: نطق، ومعطف صوفي، ووشاح برنقاني يلف الرأس، وكم كبير من المساجين على التوجه، وأخير شدة سافط في غرفة القليل. إنه لأمر موح.

زجر العوضي مسرراً قاذلاً أنظر نفسك اعرفه ويغني؟
رغم أنني لا أعرف من هو عراف ويغني جدها. ولكنها عادة ما

يتأخر ذلك الشاب غريفر بمعرفتها. رغم أنها لم تساعد كثيراً في عمله في الشرطة. هل لديك المزيد من التصريحات الغامضة يا سيد بولرو؟

- لقد قلت لك إن هذه القضية قد أخذت المظهر الخطأ. وقلت لك كذلك على ذلك إن القليل كان كله خطأ. وقد كان كذلك إذا ما اعتبرناه أندروهي. إذ يبدو واضحاً أن أندروهي كان شخصاً غريب الأطوار فروسى النزعة فدهم الطراز رجعيًا. أما ذلك الرجل الذي كان فداق ستاغ فقد كان مبتزاً. ولم يكن بأخلاق الفرسان ولا قديم التفكير ولا رجعيًا. كما لم يكن غريب الأطوار بشكل خاص... وتلك فاته لم يكن أندروهي. لا يمكن له أن يكون أندروهي لأن الناس لا يتخبرون. كان الأمر الشير هو قول بولرو عنه إنه أندروهي.

مما فادك إلى زوجة جيريبي؟

- إن الشبه هو الذي قادني إلى الميدة فرانسي كنود. إن شكل الوجه واللامع في عائلة ترينس نطقاً مميزاً تماماً. وإذا ما سمحت لي بأن ألعب قليلاً بالكلمات فقلت إن شارلز ترينس القليل كان هو الشكل الصحيح لهذه الجريمة. ولكن ما زالت هناك أسئلة تحتاج لأجوبة. لماذا سمع ديفيد هتر لنفسه بالخضوع للابتزاز بهذه السهولة؟ هل هو من ذلك الطراز الذي يترك نفسه يخضع للابتزاز؟ لا يمكن للمرء إلا أن يجيب بكل جزم: كلا. ولذلك فإن ديفيد أيضاً يصرفه خارج سياق شخصيته. وماذا عن روزالين؟ إن سلوكها كله لا يمكن فهمه... ولكن هناك امرأة واحداً أوة كثيراً أو أعرفه. لماذا هي غافلة؟ لماذا تظن أن شيئاً سيحدث لها الآن بعد أن لم يعد أخوها

موجوداً لحسابها؟ شخص من، أو شيء ما، ربح فيها هذا الخوف.
والأمر ليس مجرد خوفها من فقدان ثروتها. لا، بل هو أكثر من ذلك.
فهي خائفة على حياتها!

- يا إلهي يا سيد يوارو! هل تحب أن...

الفصل الثاني عشر

عندما غادر يوارو مركز الشرطة اقتربت منه على الفور تقريباً
العمة كاثي. كانت تحمل العديد من أكياس التسوق، وقد دنت منه
وهي تلهث لهفة وقالت: فطّيح ما جرى للمهاجر يوارو. لا أم لك إلا
أن أشعر بأن نظرتي للحياة كانت مادية جداً. إنها حياة المجتذبة كما
نعلم، تُضيق أفق المرء، ومع أنه قد أمضى جزءاً كبيراً من حياته في
الهند إلا أنه لم يستفد أبداً - كما أظن - من الفرص الروحية. لا بد أن
حياته هناك كانت محصورة كلها في دائرة الحياة العسكرية الضيقة.
لست أتيح له أن يجلس لتلميذ مُريد بين يدي مرشد روحي هناك!
يا لفرص الصائغة يا سيد يوارو، كم تثير من حزن!

هرت العمة كاثي رأسها أسفاً وأرخت قبضتها من أحد
أكياس التسوق. فسقطت من الكيس قطعة سمك وانزلقت إلى قناة
المجاري قام يوارو باسترجاعها، ولكن في حماة انفعالها انزلق كيس
آخر من يد العمة كاثي تسقط منه زجاجة صغيرة من مشروب ذهبي
وتدحرج في الشارع.

أخذت العمة كاثي من قطعة السمك قائلة: شكراً جزيلاً لك
يا سيد يوارو.

- نتذكر يا سبنس بأننا - كما قلت قبل قليل - عدنا إلى حيث
بدأنا. أي أن عائلة كلود قد عادت إلى حيث بدأت - فقد مات روبرت
أندره في إفريقيا، وحيمة وزائين كلود هي التي تفك حائلاً بينهم
وبين الشيخ بأموال غوردون كلود.

- أتحسب - حقاً - أن يوسع أحدهم أن يُفقد عن ذلك؟

- إنني أحسب التالي: إن وزائين في السادسة والعشرين من
عمره، ومع أنها غير مثيرة ذهنياً نوعاً ما، إلا أنها - من الناحية
الاجتماعية - قوية وبصحة جيدة وقد تعيش حتى تبلغ السبعين، أو حتى
أكثر. بعد كم من السنين سيكون ذلك؟ لنقل أربعة وأربعين عاماً. ألا
نرى معي أيها المفوض أن أربعة وأربعين عاماً قد تكون أطول بكثير
 مما يمكن لأمرى أن ينتظر!



ثم ركض خلف الشراب الذهبي فعدت لتقول: آه، شكرًا يا إلهائي، ولكنني كنت مترجعة حقًا. يا لذلك الرجل المسكين؟
أو، نعم؟ إنها دبقه، ولكن لا أحب استخدام مندليك، دعه نظيفًا.
هذا لطيف بالغ مثلك... كما كنت أقول، في الحياة تكون في الموت،
وفي الموت تكون في الحياة. لن أفانجأ أبدًا إذا ما رأيت الجسم
الأثري لأحدى صديقاتي المزيّنات اللاتي من من زمن بعيد، إذ
ربما مر المرء بهذه الأجسام الأثرية وهو في الشارع. وفيهم الغرابة؟
قبل ليال فقط ..

قاطعها بوارو قائلاً: هل سمعيني لي؟

ثم دس قطعة السمك بقوة إلى أعماق الكيس وقال: نعم، ماذا
كنت تقولين؟

عن الأجسام الأثرية... لقد طلبت قطعة نقدية لذهنك، إذ
كانت القطع عندي صغيرة لا تقي بالعرض، ورأيت وقتها أن الوجه
كان مألوفاً لدي، غير أنني لم أستطع تحديده. وما زلت غير قادرة
على ذلك، ولكنني أرى الآن أنه كان دون شك، وجه امرأة توفيت
ربما من زمن بعيد... بحيث كانت ذاكرتي مشوشة غير قادرة على
تمييزها. عجيب كيف يُرسل الناس إلى المرء وقت حاجته... حتى لو
لم تعد الحاجة قطعة نقدية صغيرة لاستخدام الهاتف، آه، يا لذلك
النصف أمام محلات بيكوك... لا بد أنهم يبيعون حلوى الترافيل أو
موسرول! أرجو أن لا أكون قد تأخرت!

ثم اندفعت السيدة ليونيل كلود عبر الشارع ووزعت نفسها في
نهاية صف النساء المتجهات خارج محل الحلويات.

مضى بوارو في شارع هاي، ولم يتعطف ليقصد فندق ستاغ،
بل سار باتجاه البيت الأبيض. كان يود كثيراً إجراء معاهدة مع لين
مارتشمونت، ولكن الشك ساوره في موافقتها على الحديث معه.

كان الصباح جميلاً، إذ كان صباحاً ربيعياً يحمل ربح الصيف،
وفيه من الإنعاش والحيوية ما لا يتوفر في أيام الصيف الحارقة.
انعطف بوارو عن الطريق العام، ورأى أمامه الطريق الترابي الذي
يجري بيت لونغ ويلوز إلى أعلى التلة فوق منزل فورويانك. لقد جاء
تشارلز تريتن من المحطة عبر هذا الطريق في يوم الجمعة الذي سبق
مقتله، وفي طريقه إلى أسفل التلة التقى بروزالين وهي تصعد، ولم
يميزها أو يتعرف إليها، وهذا لا يبحث على الاستغراب طالما أنه لم
يكن وويرت أندره، وهي طبعاً لم تتعرف إليه للسبب ذاته، ولكنها
أقسمت - عندما عرضوا عليها الجثة - بأن هيتها لم تقع على وجه
الرجل الذي قابلت على الطريق الترابي؟ إن كان الأمر كذلك لفيتم
كانت تفكر آنذاك؟ هل يحفل أنها كانت تفكر برولي كلود؟

انعطف بوارو ليأخذ الطريق الجانبي الصغير المؤدي إلى
وايت هاوس، الذي يمتد حديقته جميلة وقد تفتحت فيها الأزهار
وانزود. وفي وسط الممرجة العشبية للحديقة كانت توجد شجرة
تفاح قديمة ضخمة، ونحتها حلست لين مارتشمونت مسترخية على
مقعد خشبي. ففرت بعصية من المفاجأة عندما قال بوارو بصوت
رسمي: صباح الخير!

- لقد أفرغتي يا سيد بوارو، لم أسمعك وأنت قادم فوق
العشيب. إذن قأنت ما تزال هنا... في ورعولي فيل؟

- نعم، أنا ما أراق هنا.

- لماذا؟

رفع بوارو كتفيه وقال: إنه مكان جميل بعيد عن العالم يستطيع
المرء فيه الاسترخاء، وأنا استرخي.

- سعدني أنك هنا.

- أنت لا تقولين لي ما يقوله باقي أفراد أسرتك: امشي تعود
إلى لندن يا سيد بوارو؟ ثم يتفكرون الجواب بلهفة.

- هل يريدون منك العودة إلى لندن؟

- يبدو الأمر كذلك.

- أنا لا أريد هذا.

- نعم، إنني أدرك ذلك لماذا يا آنسة؟

- لأن إقامتك هنا تعني أنك غير مفتتح. أعني أنك غير مفتتح
بأن ديفيد هنتر هو الذي ارتكب الجريمة.

- وأنت ترغبين كثيراً في... أن يكون بريئاً؟

رأتى نورداً خفياً يصعد إلى وجهها تحت بشرتها البرونزية وقالت:
من الطبيعي أن لا أحب رؤية رجل يُسأل لجريمة ثم يرتكبها.

- من الطبيعي. آه، نعم!

- والشرطة متحيزون ضده لأنه أزعجهم وأغضبهم. هذا أسوأ
ما في ديفيد. إنه يحب استعداء الناس.

- الشرطة ليسوا بالتحيز الذي تظننه يا آنسة ماوتشمونت.
إن التحيز ضده كان في عقول هيئة المحلفين، فقد رفضوا اتباع
إرشادات المحقق، وأصدروا حكماً ضد ديفيد، وهكذا اضطر
الشرطة لأعتاقه. ولكن يوسمي أن أخبرك أنهم أبعد ما يكونون عن
الافتتاع بأنهم الموجهة إليه.

قالت بلهفة: ربما أطلقوا سراحه إذن؟

رفع بوارو كتفيه دون أن يجيب، فسألته: من الذي يظنون أنه
فعلها يا سيد بوارو؟

أجابها بوارو بتمهل: لقد كانت امرأة في فندق سناغ في تلك
الليلة.

صاحت لين: أن لا أهم شيئاً. عندما ظننا أن الرجل كان روبرت
أندرهي بدت الأمور كلها بسيطة مفهومة. لماذا قال المجرم بورتر
إنه أندرهي ألم يكن كذلك؟ ولماذا أطلق النار على نفسه؟ لقد عدنا
الآن إلى حيث بدأنا.

- أنت تالت شخص يستخدم هذه العبارة!

جففت لين وقالت: حقاً؟ ما الذي فعله أنت يا سيد بوارو؟

- أتكلّم مع الناس. هذا ما أفعله... مجرد الكلام مع الناس.

- ولكنك لا تطرح عليهم أسئلة حول جريمة القتل؟

وافق بوارو قائلاً: نعم، إنني... كيف أقول ذلك؟ إنني ألتقط
الإشارات فقط.

- وهل يفيد ذلك؟

- أحياناً يفيد. سيد هـ شك أن تعرفي مقدار ما عرفته عن الحياة اليومية في ورمزني فيل خلال الأسابيع القليلة الماضية. فلما أعرف من الذي مشى في اليوم التالي، وأين مشى، ومن قابل، وأحياناً ماذا قال الاثنان، إنني أعرف - مثلاً - أن ذلك الرجل، آرون، قد استقل الطريق انترابي إلى القرية مروراً بمنزل فور وبانك وسأل السيد راوولي كلود عن الطريق، وأنه كان يحمل حقيبة على الظهر، وأنه نكن لديه أمتعة. وأعرف أن روزالين قد قضت أكثر من ساعة في المزرعة مع راوولي كلود، وأنها كانت سعيدة هناك على عكس عاداتها.

- نعم، لقد أخبرني راوولي بذلك، وقال إنها بدت كشخص خرج لفشاء أمسية كرجازة

- أها! هل قال ذلك؟

- سكنت بوارو لحظة ثم مضى يقول: نعم، إنني أعرف الكثير مما يجري. وقد سمعت الكثير عن المصاعب التي يمر بها بعض الناس... مصاعبك ومصاعب أمك مثلاً.

- ليس من سر فيما يتعلق بأي منا. لقد حاولنا جميعاً استجداء المال من روزالين، أليس هذا ما تعنيه؟

- أنا لم أقل ذلك.

- حسناً، ولكنه صحيح! وأحب أنك سمعت أشياء عني وعن راوولي وديفيد.

- ولكنك مستزوجين براوولي كلود، أليس كذلك؟

- هل سأزوجه؟ ليتني أعرف. ذلك ما كنت أحاول اتخاذ قرار بشأنه في ذلك اليوم... عندما خرج ديفيد فجأة من الأكمة. كان الأمر أشبه بعلامة استفهام كبيرة في عقلي. هل أنزوجه؟ حتى الإفطار في الوادي بدا وكأنه يطرح نفس السؤال، فقد شكّل دخانه علامة استفهام رائعة في السماء.

- اكتسب وجه بوارو تعبيراً غريباً فسادت لبي فهمه فصاحت: أه، ألا ترى يا سيد بوارو أن الأمر كله صعب جداً؟ إنه ليس مسألة ديفيد أبداً، فالعلة في أنا؟ لقد تغيرت؟ لقد كنت في الخارج لثلاث سنوات أو أربع. والآن - وقد عدت - لم أجد الشخص ذاته الذي سافر من هنا. هذه هي المأساة في كل مكان. فالتاسيعودون لوطن وقد تغيروا، ويضطرون إلى تكيف أنفسهم من جديد. ليس بوسعك أن تسافر ونحيا حياة مختلفة دون أن تتغير!

- أنت مخطئة. إن مأساة الحياة هي أن الناس لا يتغيرون.

- نظرت إليه وهي تهز رأسها نفيًا، فأصر قائلاً: نعم، هي كذلك. لماذا سافرت أنت أصلاً؟

- لقد التحقت بسلاح البحرية، التحقت بالخدمة العسكرية.

- نعم، نعم. ولكن لماذا التحقت بالبحرية أساساً؟ لقد كنت خطيرة بقصد الزواج. وكنت تحبين راوولي كلود، كان بوسعك أن تعلمي هنا فلاحة في ورمزني فيل، أليس كذلك؟

- أظن أنه كان بوسعي ذلك، ولكنني أردت...

- لقد أردت أن تسألني؟ أردت أن تفهمي إلى الخارج وقرري الحياة وربما أردت أن تبعدني عن راولي كلود! وأنت الآن خلفه لا تهدين، وما زلت تريد... الذهاب! كلا يا أنسة! إن الناس لا يغيرون.

صاحت لين مبرزة: ولكنني حننت إلى الوطن وأنه في الشرق

- نعم، نعم، فالمرء يرغب أن يكون في المكان الذي نأى عنه، فكل بعيد جيداً وربما بقي أمرك هكذا دوماً لقد صحت لنفسك صورة - صورة لين مارتشمونت العائدة إلى وطنها ولكن الصورة لم تتحقق كما رسمها، لأن لين مارتشمونت التي تخيلتها ليست لين مارتشمونت الحقيقية، بل هي لين مارتشمونت التي تحب أن تكونها

سألت لين بغير رقة: إن قالت - حسب قولك - لن أقم أو أرفض في أي مكان؟

- أن لا أقول ذلك، ولكنني أقول إنك عندما سافرت كنت غير مفتحة لمخطبتك، وأنت الآن - لقد عدت - ما زلت غير مفتحة بمخطبتك.

فقطت لين ورقة شجر ولاكتها وهي تتأمل، ثم قالت: أنت فطيم في معرفة بوطن الأمور - أليس كذلك يا سيد بوارو؟

قال بوارو بتواضع: إنه صحتي، وأظن أنك لم تدركي - بعد - حقيقة أخرى.

قالت لين بحدة: إنك تعني ديفيد، أليس كذلك؟ أنت تظن أنني أحب ديفيد؟

نمتم بوارو بتحفظ: هذا ما تفرريه أنت.

- وأنا... لا أدري! في ديفيد شيء أعشاه، ولكن فيه شيئاً يشدني إليه أيضاً.

سكنت لحظات ثم مضت قائلة: كنت بالأمس أتحدث مع قائد العسكري السابق، فقد جاء إلى هنا عندما سمع باعتقال ديفيد ليرى إن كان يستطيع فعل شيء. كان يخبرني عن ديفيد، وعن مقدار جرأته العائفة قائلاً إن ديفيد كان واحداً من أشجع الرجال الذين عملوا تحت أمرته. ومع ذلك يا سيد بوارو، وبالرغم من كل ما قاله في مدحه، الذي شعور بأنه لم يكن واثقاً، لم يكن واثقاً تماماً من أن ديفيد لم يرتكب هذه الجريمة!

- وهل أنت غير واثقة من ذلك أيضاً؟

ابتسمت لين ابتسامة مثوبة تكاد تدعو للشفقة وقالت: كلا، أتعرف أنني لم ألق أيداً بديفيد، أيمكنك أن تحب أحداً لا تتق به؟

- مع الأسف، نعم.

- لقد كنت دوماً أجور على ديفيد... لأنني لا أثق به. حدثت الكثير من الإشاعات المحلية الدينية، تلميحات إلى أن ديفيد لم يكن ديفيد حتر أبدأ، بل مجرد عشيق لروزالين. وقد شعرت بالعار عندما قابلت قائده العسكري وحدثني عن معرفته بديفيد منذ أن كان صبياً في أيرلندا

قمتهم بوارو: إنه لمن المدهش كيف يمسك الناس العصا من الطرف الخطأ!

- ماذا تعني؟

- أعني ما قلته بالضبط. أخبريني. هل اتصلت بك السيدة كلود وأعني زوجة الطبيب- في الليلة التي وقعت فيها الجريمة؟

- العمة كاثي؟ نعم، اتصلت بي.

- ماذا كانت تريد؟

- تحدثت عن مشكلة تواجهها بخصوص بعض الحوادث.

- هل تحدثت من بيتها هي؟

- آه، لا. لقد كان هاتفها معطلاً فاضطرت للخروج إلى كشك هاتف.

- في الساعة العاشرة وعشر دقائق؟

- تقريباً، ساعتنا ليست دقيقة أبداً.

قال بوارو متأملاً: "تقريباً"، ثم مضى قائلاً بنطق: ولم تكن تلك المكالمات الوحيدة التي تلقيتها في تلك الليلة؟

أجابت لين باقتضاب: نعم.

- هل اتصل بك ديفيد هتر من لندن؟

قالت بصوت علت نبرته: نعم. وأحسبك تريد معرفة ما قلته؟

- آه، أنا - في الحقيقة - لن أدعي...

- سأخبرك بكل ترحيب. لقد قال إنه سيبافر ويخرج من حياتي. وقال إنه لا يصلح لي وأنه لن يستطيع أبداً أن يحيا حياة مستقيمة... ولا حتى من أجلي.

- وربما أن ذلك كان يحتمل الصحة فإن الأمر لا يعجبك.

- أتمنى أن يسافر بعيداً، هذا إذا أطلقوا سراحه تماماً! أتمنى لو سافر الاثنان إلى أمريكا أو غيرها. عندها ربما نستطيع التوقف عن التفكير بهما. مستسلم كيف نعلم على أنفسنا فقط، وسنكف عن الشعور بالضيق.

- الضيقة؟

- نعم. لقد شعرت بها أول مرة في إحدى الليالي عند العمة كاثي. كانت تمام حفلة. ربما بمناسبة عودتي من الخارج، وأحسست - يومها - بالضيق تماماً الجو حولنا. الضيقة تجاهها... تجاه روزالين. ألا ترى. لقد كنا نتمنى موتها... كلنا! نتمنى موتها وهذا أمر فظيع أن نتمنى موت شخص لم يؤذك أبداً.

قال بوارو بشرة مريضة حمضية: إن موتها - بالطبع - هو الأمر الوحيد الذي يمكن أن يفيدكم فعلاً.

- هل تعني أنه يفيدنا مالياً؟ إن مجرد وجودها هنا قد ألحق بنا أذى يكرر الطرق التي تشكل أهمية لبر جيداً للمرء أن يحسد شخصاً، ويحزن عليه، ويستجديه. وما هي الآن وحدها هناك، في قورويانك. تبدو كشبح، خائفة حتى الموت، تبدو... آه، إنها

يبدو كمن مستفقد عقلها. وهي لا تريد أن تسمح لنا بمساعدتها! ثم تقبل مساعدة أي منا. لقد حاولنا جميعاً طلبت منها أمي أن تأتي وتقيم معنا، ودعيتها للعمه فرانسيس إلى بيتها أيضاً. وحتى العمه كاتي ذهبت إليها هناك وعرضت عليها أن تبقى معها في فورويانك. ولكنها لا تريد أية علاقة معنا الآن. وأنا لا ألومها. لم تقبل حتى رؤية الضابط العسكري الذي كان مسؤولاً عن ديفيد. أظن أنها مريضة مريضة بالقلق والخوف واليأس. ونحن لا نفعل شيئاً لأنها تمنعت من أن نفعل أي شيء.

- هل حاولت أنت بنفسك؟

- نعم، لقد ذهبت إليها هناك بالأمس قلت لها: أهل من شيء. استطع فعله لك؟ فنظرت إليّ..

فجأة توفقت لين عن الكلام وارتعدت، ثم مضت تقول: أظنها تكرمني لقد قالت: أنت؟ أنت آخر من أقبل منه ذلك؟ أظن أن ديفيد طلب منها البقاء في منزل فورويانك، وهي تفعل دوماً ما يطلبه ديفيد. لقد أحرق راوولي لها بيتاً وزيده من منزله لونغ وينوز. أظن أنه الوحيد الذي تحبه بيننا. شكرته وقالت له إنه كان لطيفاً معها دوماً وراوولي لطيف حقاً بالجميع.

- يوجد أشخاص بشعر المرأة تجاههم بتعاطف عظيم وشفقة عظيمة، أشخاص لديهم من الأعباء ما ينوون بحمته. إنني أشعر بشفقة كبرى على روزالين. ولو استطعت لمساعدتها. وحتى في هذا الوقت، لو أنها كانت تصغي لثمنص...

ثم وقف يحزم مقايض وقال: هيا يا آنسة، لنذهب معاً إلى منزل فورويانك.

- أتريدني أن آتي معك؟

- إن كنت مستعدة لأن تكوني كريمة متفهمة.

صاحت لين: أنا مستعدة؟ مستعدة بالفعل.

* * *

أن روزالين لم تطع المكان بشيء من ميزاتها الفردية الخاصة، فقد عاشت في فورويانك كما يمكن لراثر أجنبي أن يقم في فندق رينز أو فندق سافوي.

بدأ بوارو بالتفكير: عجباً، هل الغرف الأخرى...

ولكن لين قطعت سلس أفكاره إذ سأله بماذا يفكر، ولماذا يبدو منجهماً على ذلك النحو، قال بوارو: يقال -يا آنسة- إن ثمن الخبثية هو الموت، ولكن يبدو أن ثمن الخطيئة يكون الشرف أحياناً. وانني لأنسأل ألم يكن ذلك الثمن أكثر فداحة من الموت؟ أن ينقطع المرء عن حياته الأسرية الخاصة، وأن لا يرى منها إلا لمحة واحدة حيث تكون طريق العودة إليها مغلقة!

ثم توقف عن الكلام إذ دخلت الخادمة راكضة إلى الغرفة وقد ذهب عنها عجبها وزهرها وفقدت مجرد امرأة مذكورة في أرواح عصرها، ودخلت تدمدم وتلعثم بكلمات لا تكاد تستطيع النطق بها: أه يا آنسة ماوشمونت! أه يا سيدي... السيدة فوق... بحالة سيئة جداً. لا تتكلم، ولا أستطيع إيقاظها، ويدها باردة جداً.

الثقت بوارو بحدته وهرع خارج الغرفة تبعه لين والخادمة. أسرع بالصعود إلى الطابق الأول، وأشارت الخادمة إلى الباب المفتوح الذي يواجه أعلى الدرج.

كانت غرفة النوم كبيرة جميلة يدخلها قدر وفير من أشعة الشمس من خلال النوافذ المفتوحة لتشرق على السجاد الفانج الجميل، وكانت روزالين تتمدد فوق السرير الضخم المزخرف كما

الفصل الثالث عشر

لم يستغرق وصولهما إلى فورويانك سوى خمس دقائق. كان مشى الحديقة يثقف صموداً وحوله سداك ورد زنبث بمنتهى العناية. وبدأ أن غودرون كلود لم يوفر أي جهد أو مال ليجعل فورويانك تحفة للناظرين.

بدأت الخادمة التي فتحت لهما الباب الأمامي مدهوشة لرؤيتهما براودها فهي -من الشك في إمكانية استقبال السيدة كلود لهما- قالت الخادمة إن السيدة لم تغادر فراشها بعد، ولكنها فادتهما إلى غرفة الجنوس، وصعدت حاملة رسالة بوارو.

نظر بوارو حوله وهو يحاول مقارنة هذه الغرفة بغرفة الجلوس الخاصة بفرانيس كلود، إذ كانت تلك الغرفة الأخيرة ذات جو حميمي يناسب صاحبها تماماً. أما غرفة جلوس فورويانك هذه فقد كانت خالية تماماً من أية لمسة شخصية، لا تشي إلا بالثروة التي ليها الذوق الرفيع. وقد حرص غودرون كلود على ذلك كله، فقد كان كل ما في الغرفة ذا نوعية جيدة وقيمة فنية، ولكن لم يكن ثمة أثر ثلاثانية، أو مؤشر على الذوق الشخصي لسيدة البيت. وبدأ

لو كانت نائمة، كانت رموشها الطويلة السوداء مستقرة على خديها، وقد امتدار رأسها بشكل طبيعي على الوسادة، وفي إحدى يديها منديل مكور في قبضتها. بدت أشبه بطفل حزين ما زال يبكي حتى غلبه النوم.

أخذ بوارو يدها وتحمها فاحمها بنفسها. كانت اليد باردة كالثلج، وقد أنبأ اختياره للتبضع بما كان قد ختمه أساساً. قال بهدوء للذين: لقد مائت منذ بعض الوقت، مائت أثناء نومها.

انفجرت الخادمة باكياً تقول: آه يا سيدي! آه! ماذا ستفعل؟

سأل بوارو: من كان طبيها؟

أجابته لين: خالي ليونيل.

قال بوارو للخادمة: اذهبي واتصلي بالدكتور كلود.

خرجت من الغرفة وهي ما تزال تتحجب.

تجول بوارو في أنحاء الغرفة. كان ثمة حبة كرتونية صغيرة قرب السرير أصقت عليها بطاقة تقول: حبة واحدة عند النوم. فتح بوارو العلبة مستخدماً منديل به فوجد فيها ثلاث حبات باقية. انتقل إلى إطار الموقد، ثم إلى طاولة الكتابة. كان الكرسي أمام الطاولة مدفوعاً إلى الجانب، وعلى الطاولة ورقة خريشت عليها كمئات كتب بخط طفولي غير متمرس:

لا أدري ماذا أفعل، لا أستطيع الاستمرار. لقد كنت سريرة جداً. ينبغي أن أخبر أحداً وأتأكد شيئاً من

الطمأنينة... لم أقصد أن أكون سريرة إلى هذا الحد في بداية الأمر، لم أعرف ما الذي سينتج عن ذلك الأمر. يجب أن أكتب —

انتهت الكلمات بتلك الشرطة المعترضة، وكان القلم مرماً حيث تم إلقاؤه. وقف بوارو ينظر إلى تلك الكلمات المكتوبة فيما بقيت لين قرب السرير تنظر إلى الفتاة الميتة. ثم ما لبث الباب أن انفتح بقوة واندفع ديفيد متراً لاهثاً إلى الغرفة.

صاحت لين وقد أجفلها دخوله وأرادت التقدم إليه: ديفيد، هل أطلقوا سراحك؟ إنني سعيدة جداً...

نحى ديفيد كلماتها جانباً ونحاها هي أيضاً عن طريقه بشيء من الخشونة. ثم انحى فوق الجسد الشاحب قائلاً: روزا، روزالين!

لمس يدها ثم التفت فجأة إلى لين ووجهه يشتعل غضباً، وهدر بكلمات عالية مقصودة: لقد قتلتموها إذن، اليس كذلك؟ تخلصتم منها أخيراً؟ وتخلصتم مني؟ أرسلتموني إلى السجن بنهمة ملفقة، وبعدها اتسرتن جميعاً ونحيتنموها عن الطريق! كذلك؟ أم أحدكم فقط؟ لا يهمني! أنت قتلتموها! أنتم أردتم المال القذر... وقد حصلتم عليه الآن! مونها حول المال إليكم! ستخرجون جميعاً من مشكلاتكم، وستكونون أغنياء كلكم... إنكم مجموعة من اللصوص الثقلة القذرين! لم تكونوا قادرين على لمسها طالما أنا بجانبها؟ فقد كنت أعرف كيف أحمي أختي، وهي لم تكن أبداً ممن يحسون حماية أنفسهم. ولكن عندما بقيت وحدها هنا، وجدتم فرصتكم سانحة.

توقف وتراجع قليلاً وقال بصوت ضعيف مرتجف: قتلة!

صاحبه ليس. كلا يا ديفيد. كلا أنت مخطئ. ما كان أحد من
يقتلها... ما كنا لنفعل شيئاً كهذا.

- لقد فعلها أحدكم يا ليس ما تشعرون. وأنت تعرفين ذلك
كما أعرفه!

- أقسم أنا لم تفعل ذلك يا ديفيد. أقسم أنا لم يرتكب شيئاً
من ذلك.

لأنت قليلاً نظرت الجامعة الغاضبة وفك: ربما لم تكوني ست
يا ليس...

- كلا يا ديفيد. أقسم على ذلك.

فقدم بوارو خطوة وتجنح إشعاعاً بوجوده فالتفت إليه ديفيد
قال بوارو: أخذت تباع قليلاً في درامية المفراضاتك لماذا قفرت
إلى النتيجة القليلة إنه أخذت فثبت قليلاً؟

- أتظنون إنها لم تقبل؟ هل أسمى هذا مولاً طيباً؟

وأشار إلى السيد الحميد في السريه. ثم قال: لقد كانت روزالين
تعانى من نوبات أعصابها. هذا صحيح. ولكن لم تكن بها عذة أو ضعف
جسمي. وقليلها كان شيئاً تاماً.

قال بوارو: ليلة أمس جلست روزالين قبل أن تلوي إلى فراشها
لنكتب هنا.

مشى ديفيد واتحنى فوق الورقة المكتوبة. فقبل بوارو محققاً
لا تلمسها!

أرجع ديفيد يديه إلى الخلف، وقرأ الكلمات وهو يقف بلا
حركه ثم أشار رأسه بحدّة ونظر إلى بوارو متفحصاً وقال: هل تلمس
إلى إمكانية الانتحار؟ ولماذا تتحرر روزالين؟

ولكن الصوت الذي أجاب على سؤاله لم يكن صوت بوارو.
فقد جاء صوت المفروض منس هادئاً عبر الباب المفتوح: لنفترض
أن السيدة روزالين كلود لم تكن في لندن ليلة الثلاثاء الماضي، بل
كانت في وورزلي قبل؟ ولنفترض أنها ذهبت لرؤية الرجل الذي كان
يسره؟ ولنفترض أنها قتله في نوبة عصبية وغضب؟

التفت ديفيد إليه بسرعة وفي عنيه تعجب وغضب وقال: لقد
كانت أغنى في لندن ليلة الثلاثاء. كانت هناك في الشقة عندما عدت
في الساعة الحادية عشرة.

قال ستر: نعم. هذه فصلك يا سيد ستر. والخليب الطزن أنك
ستتمسك بها. ولكنني لست ملتزماً بتديق تلك القصة. ثم ألا ترى
- حتى أنة حال - أن الوقت قد تأخر على هذا الحديث.

ثم أضاف وهو يشير إلى السريه: لم بعد ممكناً الآن إثارة أية
فضية في المحكمة.

• • •

الفصل الرابع عشر

جلس سبنس في غرفته في مركز الشرطة، ونظر إلى يوارو أمام مكتبه قائلاً: هو من يعترف بذلك، ولكنني أظن أنه يعرف أن أخته ارتكبت الجريمة. غريب كيف انصب اهتمامنا على حجة غيابها عن مسرح الجريمة، وكيف لم نفكر كثيراً بحجة غيابها هي. ومع ذلك، فلا يوجد ما يدعم ويؤكد وجودها في الشقة في لندن في تلك الليلة، وليس لديها - في هذا المصدد - سوى زعمه هو أنها كانت هناك لقد كنا نعرف - طوال الوقت - أن شخصين فقط يمكن الدفاع عنهما من أودن، وهما ديفيد وزوزالين. وقد أجهدت نفسي في متابعة أمره هو بينما أغفلتها تماماً.

والحقيقة أنها تبدو مخلوقة رقيقة جداً، بل حتى نافسة العقل. ولكن أظن أن ذلك يفسر - جزئياً - فعلتها ومن المرجح أن يكون ديفيد متورط قد استعجل إرسالها إلى لندن لهذا السبب حصراً، إذ ربما كان يدرك بأنها ستفقد أعصابها. وأنها من النوع الذي يصبح خطيراً عندما يغضب ويخاف. والأمر الغريب الآخر هو أنني كثيراً ما كنت أراها تتحول في وشاح يرتقاني من الكتان. كان يرتقاني أحد أثوابها المفضلة، فقد كان لديها وشاحات يرتقانية، وترب مقلم

بالبون البرتقالي، وقبعة برتقالية، ووجع ذلك كله لم أهتم - حتى عندما رصفت العجوز ليدتر شابة تلف رأسها بوشاح برتقالي - إلى أن تلك الفتاة لا بد أن تكون السيدة كلود نفسها. وبقيت أظن أن لا دور للفتاة في القضية غالباً، وأنها غير مسؤولة عن الجريمة بتاتا. يبدو من طريقة وصفك لرددها على الكتيبة أنها كانت قد أوشكت على فقدان عقلها نتيجة الندم والإحساس بالذنب.

قال يوارو: نعم، لقد كانت نحس بالذنب.

قال سبنس متأملاً: لا بد أنها هاجمت أودن في نوبة غضب وعصبية. وأحسب أنه لم يكن يدرك أبداً ما يُراد به، إذ لا يمكن أن يكون حذراً مطلقاً مع فتاة تهيلة رقيقة مثلها.

ثم ذكر بصمت للحظات وعاد ليقول: بقي أمر واحد لم يتضح لي تماماً. وهو من الذي لجأ إلى بورتر؟ ألم تقل أنت إنها لم تكن السيدة جيريمي كنود؟ ومع ذلك أراهم أنها كانت هي!

- كلا، ثم نكن زوجة جيريمي. لقد أكدت لي ذلك وأنا أصدقها يا إلهي. لقد كنت غيباً في هذا الأمر! كان علي أن أعرف من أنذني لجأ إلي الميجر؟ فالتجبر نفسه أخبرني بذلك!

- أخبرك؟

- آه، بشكل غير مباشر طبعاً، دون أن يدري أنه أخبرني.

- حسناً ومن هو ذلك؟

ماذ يوارو يرأسه قليلاً وقال: أيمكنني أولاً أن أسالك سؤالين؟

بدت اقدحشة على المفوض وقال: اسأل ما بدا لك.

- ماذا كانت تلك الحبوب في الحلية قرب سرير روزالين؟

ازدادت دهشة المفوض وقال: أه، تلك؟ كانت حبوباً غير مؤذية أبداً؟ حبوب يروعايد لتهدئة الأعصاب. كانت تأخذ حبة كل ليلة. وقد حللت الحبوب بالطبع ووجدناها عادية تماماً.

- من الذي وصف تلك الحبوب؟

- الدكتور كلود.

- متى وصفها؟

- أه، منذ فترة طويلة.

- وما هو السم الذي أدى إلى وفاتها؟

- لم نستلم التقرير بعد، ولكن لا أظن أن هي ذلك شكاً كثيراً.
إنه المورفين، جرعة ضخمة من المورفين.

- هل عُثر على أي مورفين بحوزتها؟

نظير سينر بفصول إلى بوارو وقال: لا ما الذي ترمي إليه
يا سيد بوارو؟

قال بوارو متنبهاً: سأنتقل الآن إلى سؤالتي الثاني. لقد أجرى
ديفيد هنر مكانة هاتفية من لندن مع لين مارشسموث في الحادية
عشرة وخمسة دقائق من ليلة الثلاثاء تلك. وقد قلت لي إنكم تحرير
أمر المكالمات. فهل كانت تلك المكالمة الوحيدة التي جرت من

الشفقة في لندن، أم استقبلت الشفقة مكالمات أخرى؟

- مكانة واحدة، في العاشرة والرابع، وكانت أيضاً من ورمزلي
قيل. وقد تم إجراؤها من كشك هاتف عصومي.
- أه، فهمت.

ثم صمت يوارو للحظات، فقال المفوض: ما الفكرة من ذلك
كله يا سيد بوارو؟

- هل تم الرد على تلك المكالمة؟ أعني هل تلقى عامل المنقسم
جواباً من هاتف الشفقة في لندن؟

قال سينر ببطء: فهمت ما تقصده، إذ لا بد أن يكون في الشفقة
شخص ما، وذلك لا يمكن أن يكون ديفيد. لأنه كان في المفطار
عائداً إلى لندن. ولذلك لا بد - كما يبدو - من أن تكون روزالين
هي الموجودة في الشفقة. وإذا كان الأمر كذلك، فإنها لا يمكن أن
تكون هي فتدق ستاغ قبل ذلك بدقائق، إن ما ترمي إليه - يا سيد
بوارو - هو أن الفتاة ذات الشال البرتقالي لم تكن روزالين، وإن كان
الأمر كذلك فإن روزالين ليست هي التي قتلت آردين. ولكن لماذا
انصهرت إذن؟

- الإجابة عن هذا السؤال بسيطة جداً: روزالين لم تنتحر، بل
قُتلت قتلًا.

- ماذا؟!

- لقد قُتلت عن عمد وبدم بارد.

- ولكن من انثي قتل أردن؟ لقد استعدنا دقيقتين.

- لم يكن دقيقتين.

- وما أنت الآن تستبعد روزالين؟ ولكنك - إذا ما نحينا جانباً كل الاعتبارات - نجد أن هذين الاثنين هما الوحيدان اللذان يتوفر لديهما دافع القتل!

- نعم، اندافع. إن ذلك هو ما ضلل خطراتنا، فإذا ما كان لدى دافعا قتل "أب" وكان لدى "ج" دافع قتل "د" فإن مما لا يشهد أن يعمد "أ" إلى قتل "د"، ويعمد "ج" إلى قتل "ب"، ألا ترى ذلك؟
دمدم سبتس قائلاً: هوئها يا سيد بوارو، هوئها، إنني لا تفهم ما تعنيه بكل حروفك هذه.

- الأمر معقد، معقد جداً. لأن لدينا هنا نوعين مختلفين من الجرائم، ولذا فلو لدينا، أو لا بد أن يكون لدينا، فئتين مختلفتين يدعيان القاتل الأول، ثم يدعيان القاتل الثاني.!!
- أرجوكم أن لا تستشهد بشكسبير؛ فهذه ليست مسرحية من العصر الإليزابيثي.

- نعم، ولكن الموقف شكسبيري جداً؛ فلدينا هنا كل العواطف، العواطف الإنسانية التي كان من شأن شكسبير أن يجد لها كبرى في استخدامها. لدينا حالات الحسد، والكراهية، والأفعال العاطفية السريعة. ولدينا أيضاً هنا الانتميازية الناجحة... وكما يقول شكسبير: وفي حجرة الخافي لبار - إذا استغل عند المد قاد إلى الحظ والنسي. فقد عمل أحدهم وفقاً لهذا القول فيها السخوض، ليتهمز

الفرصة ويحولها لخدمة أغراضه الخاصة. وقد تم تحقيق ذلك بنجاح، وأمام عينك ونظرك إذا صبح التعبير!

فرك سبتس أنفه بالزعاج وقال راجياً: تكلم بالعقل، أرجوكم يا سيد بوارو. قل لي ماذا تعني فقط، إن كان ذلك ممكناً.

- سأكون واضحاً معك غاية الوضوح. لدينا هنا ثلاث حالات وفاة، أليس كذلك؟ أنت توافقني على ذلك، أليس كذلك؟ ثلاثة أشخاص ماتوا.

نظر إليه سبتس بفضول وقال: بالتأكيد أوافقك. أرجو أن لا يكون في نيتك أن تجعلني أصدق أن واحداً منهم ما زال حياً؟

- لا، لا، إنهم ميتون، ولكن كيف ماتوا؟ أو بتعبير آخر: كيف تستطيع أن نصف موتهم؟

- حسناً، أنت تعرف رأيي فيما يخص ذلك يا سيد بوارو، جريمة قتل واحدة، وحاك انتحار. ولكنك ترى أن الانتحار الأخير ليس انتحاراً، بل جريمة قتل أخرى.

- أنا أرى أن أمام حادثة انتحار واحدة، وحالة قتل واحدة، وحالة موت نتيجة حادث.

- حادث، هل تعني أن روزالين سممت نفسها بالخطأ؟ أم تعني أن إيطالي المصير بورتر انتار على نفسه كان حادثاً عرضياً؟

- لا، لقد كان الحادث هو وفاة تشارلز تريتسن، أو إيثوك أردن إن شئت.

انفجر المفوض قائلًا: حادث؟ حادث؟ أتقول أن جريمة قتل
بالغة الوحشية قُسمت فيها جسيمة رجل بضريرات كانت حادثًا؟

ودون أن تزججه حساسة المفوض رد بوارو بهدوء: عندما
أقول إنه حادث فإني أقصد أن نية القتل لم تكن موجودة.

- لا نية للقتل ورأس الرجل مهشم؟ هل تعني أنه تعرض
لهجوم من شخص مجنون؟

- أظن أن ذلك قريب جداً من الحقيقة، ولكن ليس بالمعنى
الذي تقصده.

- كانت روزالين الوحيدة المضطربة عقلياً في هذه القضية،
لقد رأيتها أحياناً تغدو غريبة الألوان تماماً. كما أن في زوجة نيونيل
كلود شيئاً من الخلل العقلي طبعاً، ولكنها لا تتصرف بعنف أبداً. أما
زوجتي جيريمي فتمتلك من العقل ما يفوق الجميع وبالمناسبة هل
قلت إن زوجة جيريمي ليست هي من ربما السجور بورتو؟

- نعم، لم تكن هي، وأنا أعرف من رشا، وكان الميجر بورتو
- كما قلت - هو الذي أفسد ذلك، بعبارة بسيطة صغيرة. أما لن أغفر
لنفسى أبداً عدم انتباهي لتلك الملاحظة وقتها.

- وهل قام قاتلك المجهول المجنون أب ج بعد ذلك بقتل
روزالين؟

كانت التربة تردهد في صوت المفوض بسبب.

هز بوارو رأسه نافية بشدة وقال: أبداً في هذه النقطة يخرج

القاتل الأول ويدخل القاتل الثاني هذه جريمة من نوع مختلف تماماً؛
جريمة قتل متعمدة بأعصاب باردة، وأنا أرغب - أيها المفوض - في
رؤية قاتلها مشقوقاً جزاء فعله.

ثم نهض وهو يتكلم وتحرك باتجاه الباب، فصاح به سبنس:
انتظر. إلى أين؟ لا بد أن تعطيني بعض الأسماء لا يمكنك ترك
الأمر هكذا!

- سأخبرك بعد فترة قصيرة. نعم، ولكنني أنتظر شيئاً. وتوخيلاً
للدقة فإني أنتظر رسالة من خارج البلاد.

- لا تتكلم معي كلام المزافين! اسمع... بوارو.

ولكن بوارو كان قد انسَلَّ خارجاً. غير المساحة مباشرة وفتح
جرس منزل الدكتور كلود. فتحت الببدة كلود الباب وشهقت شهقتها
المعتادة لدى رؤية بوارو. قال لها دون أن يضيغ وقتاً: سيدني، أريد
أن أتكلم معك.

- أه، بالطبع. تفضل بالدخول. أخشى أنه لم يعد لدي وقت
للتنظيف ولكن..

- أريد أن أسألك سؤالاً: منذ متى أومن زوجتك العورفين؟

انفجرت العمة كاثلين باكياً على الفور وقالت: أثناء الحرب.
كان يُهتك نفسه بشكل فظيع وتتناهى ثوبات عصبية رهبة. ومنذ ذلك
الحين وهو يحاول تخفيف الجرعة، وقد خففها بالفعل، ولكن هذا
ما يجعله سريع الغضب وانعصبية أحياناً إلى درجة كبيرة.

- وذلك احد أسباب حاجته الى الحانة. اليس كذلك؟

- اظن هذا. آه، يا عزيزي السيد بوارو! لقد وعدت بان يذهب
لتنقي علاج ما.

- اعدني يا سدي وأجيبني عن سؤال صغير آخر: في الليلة
التي انصبت فيها مع لين مارشموت خرجت فلانصاع من كشك
الهاتف المقابل لمكتب البريد. اليس كذلك؟ هل قابلت أي شخص
في الساحة في تلك الليلة؟

- لا يا سيد بوارو! لم يكن في المكان أحد أبداً.

- ولكنني فهمت أنك اضطرت لأتواخى قطعة نقدية لثمانية
لأن القطع النقدية لديك لم تكن مناسبة.

- آه، نعم اضطرت لأن أطلب ذلك من امرأة خرجت من
كشك الهاتف. فأعطيتي قطعة نقدية مقابل ما يساويها من القطع
الصغيرة عندي.

- كيف كان شكل تلك المرأة؟

- كانت صالحة. إن كنت تهتم قصدي، بوشاخ يرتاحني حول
رأسه العريض التي أفقد أجرة أب القبا من قبل في مكان ما. وبدأ
وجهها مائلاً جداً. لا بد أن امرأة عمر مائة سنة قد. ومع ذلك
لم أستطع تذكر مكان معرفتي بها أو طبيعة تلك المعركة.

- شكراً لك يا سيدي كلود.

الفصل الخامس عشر

خرجت لين من المنزل ونظرت إلى السماء.

كانت الشمس تقترب من الغروب، وقد انحسرت من السماء
أشعة الحسرة. كل كان ثمة برقع ضوء غير طبيعي. كان مساء ساكناً
ثقيلاً عادياً. ونصرت لين أن ذلك الهدوء يستعقبه عاصفة.

حسناً. لقد أزم الوقت الآن، ولم يعد بمقدورها تأجيل الأمور
أكثر من ذلك. لا بد لها من الذهاب إلى تونغ ويلوز لتحرير راوئي.
فهي مدسة له بلذات على الأقل. بأن تحرره بنفسها. ولا تختار
الأسلوب الأسهل في كتابة رسالة.

كان عقلها قد اتخذ قراره. وقالت لنفسها إنها اتخذت القرار
دون رجعة. ومع ذلك، فقد أحسّت بتردد غريب. نظرت حولها
وفكرت: إنه التوداع لهذا كنه. لعالمي الخاص. وأسلوب حياتي
الخاص. ذلك أنها لم تكن تعتريها أية أوهام. فالحياة مع ديفيد
كانت مطمرة. مضادة تتساوى فيها فرص الغسل وفرص الشحاح.
وقد خذرها هو نفسه. حذرهما ليلة الجريمة، عبر الهاتف. وحذرهما
الأول، قبل ساعات قليلة. حيث قال لها: لقد أردت أن أخرج من

حياتك. وتقد كنت أحقق إذ تحببت أن أومعي أن أتركك خلفي
سأذهب إلى لندن وسأروح زواجه عاجلاً نحب. لن أعطيك فرصة
للتردد طويلاً. إن لك جذوراً هنا تشدك إلى هذا المكان. وعلى أن
أتركك من جذورك

ثم أضاف قائلاً: سطنع راؤولي على الأمر عندما تصبحين أسيدي
دفيد هتر. المسكين، إنها أفضل طريقة لإخلاقه على الأمر

ولكنها لم تتفق معه في هذه النقطة الأخيرة. مع أنها لم تقل
له ذلك في حينها. كلا... عليها أن تخبر راؤولي بنفسها. وما هي الآن
ذاهبة إليه!

كانت المعاصرة قد بدأت لتوها عندما فرغت لين باب منزل لونغ
وبلور فتح راؤولي الباب وبدأ دهشاً لرؤيتها قائلاً: أهلاً يا لين. لماذا
لم تصمئي وتقولني إنك قادمة؟ فربما لم أكن هنا

- أريد أن أتحدث معك يا راؤولي

تسبح جانباً لكي تدخل. ثم تبعها إلى المطبخ التواضع. كانت
بدايا عشائه على المائدة. قال: إنني أعطيت تركيب طباخ صخري،
فذلك أيسر لك. مع مجلى جديد فولاذي.

فاطمته قائلة: لا تضع خطاً يا راؤولي.

- الآن تلك الفتاة المسكينة لم تدفن بعد؟ أهذا ما تقصدينه؟
أحسب أن الأمر يبدو غريباً بعض الشيء. ولكنني لم أرفها أبداً
شخصاً سعيداً بالفعل. أحسب أنها كانت عذبة. ثم تسطح - قط -

الصلب على تحربة تلك الغارة الجوية القوية. على كل حال هذا حال
الغدا. إنها مئة الآن في قبرها. وما للفرق الذي يشكله ذلك بالنسبة
لي. فوبلاً أخرى. لنا نحن الاثنين.

التفتت لين أنفاسها وقالت: كلا يا راؤولي. لا يوجد الآن شيء
اسمه "نحن الاثنين"... هذا ما جئت لأقوله لك.

حرق إثها. ففأنت بهدوء لا كرامة نفسها ولكنها ثابتة فيما
اعتزمت. سأزوج ديفيد هتر يا راؤولي.

لم تكن تعرف تماماً ماذا تتوقع منه: احتجاجات، وربما انفجار
غضب. ولكنها - بالتأكيد - لم تتوقع من راؤولي أن يستقبل هذه
الأمر كما استقبلته. فقد حرق إثها لفحظات، ثم مشى عبر المطبخ
وغمر أصابعه على الفرن. ثم التفت أخيراً إليها بأسلوب يكاد يسم
بالبرود وقال: حسناً، لنفهم الأمر بوضوح. تريدان الزواج بديفيد
هتر لماذا؟

- لأنني أحبه.

- أنت تحبيني.

- لا كنت أحبك... عندما سافرت من هنا ولكن مضت عنى
ذلك أربع سنوات، وقد... وقد تغيرت. كلانا تغيرنا.

قال بهدوء: أنت مخطئة؛ أنا لم أغير.

- حسناً. ربما لا تكون قد تغيرت كثيراً.

- لم أغير أبداً. لم تكن لدي فرصة كافية لتغير. فقد اكتفيت

بالكدح هنا. فقلت أنا من هبط بالظلمات أو تسلق الصخور ليلاً أو
نصف ذراعته حول عنق رجل في الظلام وضعه.

• راؤولي!

- نسيتُ أنا من ذهب إلى الحرب. نسيتُ من حاربوا. ونسيتُ
ممن يعرفون ما هي الحرب! لقد عشت حياة أمنة مطمئنة هنا. هي
المزودة. راؤولي المحفوظ! أما زوجاً لك فلا بد أنني سأحصلك.

- كلا يا راؤولي، كلا! ليس هذا هو الأمر أبداً.

- ولكنني أقول لك إنه هو.

الترب منها وقد نجح الله في عروقي رقبته وبرزت ضرابين
جبهته. يا فتلك النظرة في عيبي! لقد رأيتها مرة عندما مرت أمامي
في الحفل. يلوي رأسه ويقرب بحذافره ويحضر بطن رأسه وفروجه
الهائلة، متحلاً في غضب مهم ويخط أهمي.

- مصمتي يا لين، أن لك أنت أن تستمعي إلي على سبيل التغيير
لقد فاتني ما كان يجب أن أفعله. فأنسي فرصة فقدان من أجل بلادي.
وقد رأيت أفضل أصدقائي يذهب ويقتل، ورأيت فتاتي فتاتي أنا.
لترتدي ملابس الحنونة وتساو في البلاد البعيدة. وقد كنت مجرد
الرجل الذي تركته خلفها. كانت حياتي جحيماً، ألا تفهمين ذلك
يا لين؟ كانت جحيماً لم يحدث بعد ذلك، وبعد ذلك التحين. اد
الجحيمة جحيماً منذ تلك الليلة عند البعثة كاتي حين رأيتك تظن
إني ضيقه هتتر غير المائدة ولكنك لي بأخيتك، هل سمعيني؟ إن
تم تكوني لي فإن أحداً لم يأخذك من تحتيتي أكون؟

صاحت لين: راؤولي.

كانت قد نهضت وأخذت تراجع خطوة بعد خطوة. كانت
مذعورة. فهذا الرجل لم يعد رجلاً، بل أصبح وحشاً كاسراً.

قالت راؤولي كلود: لقد قتل شخصين. فهل تظنين أن علي
المضي قدماً لأقتل الثالث؟

• راؤولي...

كان الآن قد أصبح فوقها واضعاً يديه حول حنجرتها.

• لم أعد أستطيع التحمل يا لين...

أطبقت اليدين حول رقبته بشدة. دارت الغرفة، الظلام،
الظلام الدائر والاختناق... كل شيء يغدو مظلماً. وبعد ذلك، فجأة،
سمع صوتاً نحيباً. صوت سمكة مقلبة مصطنعة بعض الشيء.

توقف راؤولي وانزعت يدها متدلّيتين بجانيه، وسقطت لين
بعدها كلف عنها كومة هامدة على الأرض. وأمام باب المطبخ تماماً
وقف هيركيول بوارو ينتحى كالمعتذر، ثم قال: أرجو أن لا أكون
مزعجاً باندخلي؟ لقد طرقت الباب. نعم؟ بالقفل طرقت الباب،
ولكن لم يجيني أحد. أظنك مشغولاً؟

كان الجو مشحوناً بالتوتر. حدق راؤولي. وبدأت تحفظه وكأنه قد
يقفز نفسه على هيركيول بوارو. ولكنه التفت مبتعداً في النهاية وقال
بصوت باهت قزح: لقد ظهرت... في الوقت المناسب تماماً.

عليه وقال: هنا.

ثم التفت إلى الخلف وسأل: أين القهوة؟

قال راولي: "جهازه"، وجاء بها، فسكب بوارو كوباً وقدمه إلى لين.

قال راولي: اسمعني، لا أظن أنك فهمت الموضوع... لقد حاولت حتى لين.

قال بوارو بصوت مترعج: "كفى، كفى"، وبدأ في قوله وكأنه يستنكر مجرد يادوة من راولي تفنفر إلى الذوق.

قال راولي: أنا أحمل في ضميري عبء وفائين، ولقد كادت وفاة لين أن تكون الثالثة لو لم تأت أنت.

قال بوارو: دعنا نشرب قهوتنا ولا نتكلم عن الموت، فذلك يؤذي الأنسة لين.

هتف راولي محدقاً إلى بوارو: يا إلهي!

ارتشفت لين قهوتها بصحوبة. كانت حارة مركزة، وسرعان ما شعرت بأنم حنجرتها يخف وبدأ السبه بأخذ مفعوله. سألها بوارو: هذا أفضل، أليس كذلك؟

هزت رأسه بالإيجاب، فقال بوارو: حسناً، يمكننا الآن أن نتكلم. وعندما أقول ذلك فأنا أعني أنني أنا الذي سبكتكم.

قال راولي محبطاً: ما هو القدر الذي تعرفه؟ أنعلم أنني قتلت

الفصل السادس عشر

كان الجو نقبلاً يموز بالخاطر فحاء بوارو ليدخل عليه جوه الخاص الذي انصف -عمداً- بالتهدة ونفيس الثور.

تساءل بوارو: الإبريق، أظنه يغلي؟

أجاب راولي بثقل وبخاء: نعم، إنه يغلي.

- ربما تكريمث - إذن - يصنع بعض القهوة؟ أو بعض الشاي إن كان ذلك أسهل.

أذهن راولي كرجل آلي. وأخرج بوارو حديلاً ضخماً نظيفاً من جيبه، فغمسه بالماء البارد ثم عصره وجاء إلى لين: هيا يا آنسة. نفي هذا حول عنقك... هكذا. نعم، لديني دبوس لتثبيتته. هناك، سيخفف هذا من الألم فوراً.

شكرته لين بحسرة خشنة. نظرت إلى مطبخ لونغ وبوارو وبوارو الذي راح يتجول فيه. كان ذلك كله أشبه بكايوس تعيشه شعرت أنها بأشوأ حال، وكانت حنجرتها تؤلمها بشدة. تكتن: نحاتت لتقف على قدميها، وفادها بوارو يهدوه إلى كرسي قانجسها

- نعم! لقد عرفت ذلك منذ زمن.

فتح الباب بعنف، وكان القادم ديفيد هنتر الذي صاح: "ليس، لم تخبرني أبداً...". ثم توقف حائراً وعينه تتفقد بين الحاضرين. وقال: ما المشكلة في ذلك؟

قال يوارو مخاطباً راوولي: اعطني كوباً آخر.

أخرج راوولي كوباً من الخزانة وأعطاه ليوارو الذي ملاء فهوته وقدمه لديفيد. وبمرء أخرى كان يوارو مبدد الموقف. قال مخاطباً ديفيد: اجلس. ستجلس هنا وتشرب القهوة، وستستمعون - أستم الثلاثة - إلى هيركيول يوارو وهو يلقي عليكم محاضرة في الإجرام. ثم أجال عصره فيهم وهو رأسه.

فكرت لين قائلة لنفسها: إنه كابوس حياتي. ليس ما أراه حقيقياً.

بدأ الـ الثلاثة جميعاً كانوا تحت سيطرة هذا الرجل الضئيل السخيف ذي الشاربين الضخمين جلسوا هناك جميعاً ضالعين راوولي القتال، ولين الضحية، وديفيد الرجل الذي أحبها. كلهم يحدون أكواب القهوة ويصفون إلى هذا الرجل الضئيل الذي سيطر عليهم جميعاً بطريقة غريبة. بدأ يوارو كلامه بسؤال بلاهي قائلاً:

ما الذي يسبب الجريمة؟ هذا سؤال مهم. ما هو الحد الأدنى المطلوب للجريمة؟ ما هي الطبيعة الخلقية والمزاجية التي ينبغي أن تتوفر حتى

تقع الجريمة؟ وهل كل امرئ قادر على ارتكاب الجريمة، أو ارتكاب جريمة معينة؟ وما الذي يحدث - وهذا ما كنت أطرحه على نفسي منذ البداية - عندما نرى أناساً كانوا محميين من الحياة الواقعية، ومن نفسها وكوارثها، وقد حرموا فجأة من تلك الحماية؟

إنني أتكلم عن أسرة كلود. ليس يتنا الآن إلا واحد من آل كلود. ولقدك استطيع التكلم بحرية. لقد أمرتني هذه القضية منذ البداية. فها نحن أمام عائلة حالت ظروفها دون أن نجعلها على الاعتماد على نفسها ولو لمرة واحدة. مع أن لكل فرد من أفراد العائلة حياته الخاصة - رجلاً كان أم امرأة - ولكل منهم مهنته. ومع ذلك فلو أنهم لم يستطيعوا التخلص من ظل الحماية الكريمة، كانوا - دائماً - يَحْشُونَ بالتحور من الخوف، وعاشوا دوماً في أمن وطنين. رغم أنه كان أمناً زائفاً غير طبيعي. كان غوردن كلود يفت هناك دوماً حلفهم.

ما أعنيه هو أن المرء لا يستطيع أن يحكم على الشخصية البشرية حتى يأتي الامتحان. إن غائيتنا يتمحورون لهذه الامتحان في مراحل مبكرة من حياتهم. والرجل منا سرعان ما تواجهه ضرورة الوقوف على قدميه والاعتماد على ذاته، ومواجهة الأخطار والمصاعب، والتخيار أسلوبه الخاص في التعامل معها. ربما كان ذلك الأسلوب مستحيماً وربما كان ملتوي... ولكن - كما أنما كان ذلك الأسلوب - فإن أهمه هو أن المرء يعرف عادة في وقت مبكر طبيعة معدنه. ولكن الفرصة لم تستح لأفراد عائلة كلود لمعرفة نقاط ضعفهم حتى أتى الوقت الذي أصبحوا فيه، فجأة، مجردين من الحماية، وأجبروا دون أي استعداد منهم على مواجهة المصاعب، شيء واحد شيء.

واحد فقط كان ينفذ حائلاً بينهم وبين استعادة أمتهم. ذلك هو حياة روزالين التي واثق تماماً في قرارة عقلي - بأن كل فرد من أفراد الأسرة قد فكر في وقت ما قتلها. طوّر روزالين أن سموت؟

ارتعشت ليس. وارتعفت يواو لتترك كلماته تنقر في عقولهم. ثم مضى قائلاً إن فكرة السموت، وأعني موتها، قد خطرت في ذهن كل منهم... وأنا واثق من ذلك. فهل خطرت أيضاً في ذهن أجددكم فكرة القتل الأبعد مدى؟ وهل مضت الفكرة - في حالة معينة واحدة - أبعد من التفكير لتصبح عملاً؟

ودون تغير هي نهجت استدار يواو إلى روزالين وحاضه قائلاً: هل فكرت أنت في قتلها؟

- نعم كان ذلك يوم أن حدثت إلى المزرعة، ولم يكن في المكان سواه. وفكرت يوماً بأنني أستطيع قتلها بكل سهولة. كنت عدتها ميرة، للشفقة وجسنة جداً. كنتك العجوز الصغيرة التي أرسلتها إلى السجون. لم أصلحك أن عسى ما تنبره تلك النحور من شفقة، وتكنفك لرمطها إلى المذبح معه ذلك. ومحبت حفا من أنها لم تكن حذرة، ولم عرفت ما يدور في عقلي حينها. - نعم - كانت الفكرة في عقلي حينها أخذت القداحة منها لأشعل نفاستها.

- وأحسب أنها نبت المداخلة، وهذا يعبر وحودها معك.

هز راوئي رأسه موافقاً ثم قال حائراً: لا أدري لماذا لم أقتلها؟ لقد فكرت في الأمر - كان يوسع المرء أن يخلق الأمر كحرف أو شيء من هذا القبيل.

- تلك لم تكن جريمة ثلاثم شخصيتك. هذا هو السبب. إن الرجل الذي قتلته إنما قتلته في نوبة غضب... وأظنك لم تعصد قتله حقاً. أليس كذلك؟

- لا والله لم أفعد. لقد لكنته فوقع إلى الخلف وخرب رأسه حافة الموقد الرخامية، ولم أضدق الأمر عندما وجدته ميتاً.

ثم نظر إلى يواو بذعر وقال: كيف عرفت ذلك؟

- أحب أني تخيلت تصرفاتك بشكل دقيق إلى حد بعيد. صبح لي إن كنت مخملاً: لقد ذهبت إلى فندق ستاغ، وأخبرتك بغيري تسكنوت عن الحديث الذي سمعته، أليس كذلك؟ بعد ذلك ذهبت - كما قلت أنت - إلى بيت عمك جيريمي كلود لتأخذ رايه في الحوض بوصفه محامياً، وعند ذلك وقع أمر ما - أمر جعلك تخرج رايك خصوصاً التشاور معه. وأظني أعرف ذلك الشيء. لقد رؤيته مموه.

هز راوئي رأسه موافقاً وقال: نعم، كانت الصورة على المكسب. وفجأة أدركت الشيء. وأدركت أيضاً لماذا بدا لي وجه الرجل مألوفاً إلى ذلك الحد. وتوصلت إلى أن جيريمي وفرنسيس يستخدمان أحد أقارب فرنسيس يقوم بتمارة للمحادثات على المال من روزالين. وقد أخصني ذلك، فحدثت من قوري إلى الفندق وصعدت إلى الغرفة رقم 5 واتهمته الرجل بأنه محتال، فضحك وعترف بذلك. وفاز لي ديفيد هتر كان في طريقه إليه في تلك الليلة نفسها معه. ثماني. وقد عقيبت تماماً عندما أدركت أن عائلتي أنا كانت تخدعني وتعمل من وراء ظهري كما رأيت الأمر وقتها. ولذلك نمت بأنه محتال.

وضربته. فوق كما قلت.

سند القصت قليلاً، فقال يوازي: وبعداً؟

قال راوتي بعده: كانت القداحة هي السبب سقطت من حبي (وكنتم أحملها معي بقصد إعادتها لروزالين). سقطت مني فوق الحقة، فرأيت الأحرف الأولى المحمورة عليها. هذا. وأدركت أن القداحة تديقيد وليست لها.

منذ تلك الحقة التي أقامتها العمة كاتي أدركت. ولكي لنرى هذا كله جانباً لقد كنت أظن أحياناً أنني سأحزن، بل ربما كنت محزنة بعض الشيء، بالتفعل. جاء أولاد هاب جوني، ثم الحوب. إنني لا أستطيع أن أتحدث عن مشاعري، ولكي شعرت أحياناً بأن الحصب والحنن يعمسانني. وبعد ذلك تأتي لي. وهذا الرجل.. سمعت حنة الرجل إلى وسط الغرفة وقلت على وجهه ثم أحدثت ذلك المنفذ الفولادي اللطيف. ولكن إن اتفحص في تعقيدات ذلك. مسحت آثار المسحات، ونظفت حافة الحرف المرحلية، ثم مسحت -منعد- عشارب الساعة على الساعة وعشر دقائق وحضمتها على حاشيتها ثم أخذت هويته وأوراقه. إذ رأيت أنه بالإمكان معرفة هويته من هذه الأوراق. ثم خرجت. وقد بدا لي أن القضية ستسري ديبها لساناً. حاصلة مع شهادة بياتريس عما سمعته.

قال يوازي: وبعداً حنت إنني كانت تلك مسرحية فكاهية عندما ملئتني عندي إذ طلت مني العطور على شاهد كان يعرف أندريه كان واضحاً لندي - أصلاً - بأن حبري كغود قد كور لعائلته القصة التي رواها الميجر بورتر. والسدة عامين تقريباً كانت العائلة كنيًا تعيش

على أمل مقصفر بإمكانية ظهور أندريه. حتى لقد أثرت تلك الأمانة على السيدة ليوتيل كلود في استخدامها للوح الكتابة المستخدم في تحطير الأرواح، وذلك بشكل غير شعوري، ولكن ذلك الحادث كان ذا مغزى كبير.

وهكذا قمت أنا بتأدية أحيلتي المسحرة. وكنت راضياً عن نفسي إذ استطعت انتزاع دهشتك فيما كنت -في الواقع- المفضل الأكبر. نعم، وهناك في بيت الميجر بورتر قال لك بعد أن قدم لي لفافة. أنت لا تدخن، أليس كذلك؟ فكيف عرف أنك لا تدخن؟ يفترض أنه لم يقابلتك إلا في تلك اللحظة. وأنا المفضل كان علي أن أرى الحقيقة وقتها.. حقيقة أنك والميجر بورتر قد قمتما بوضع خطفكم الصغيرة معاً ولا عجب من عصيته في ذلك الصباح. نعم، كان علي أن أكون المفضل الأكبر. وكان علي أن أن أحضر الميجر بورتر ليتعرف إلى الحقة. ولكني لا أستمع مغفلاً إلى الأبد. فأنا لست مغفلاً الآن، أليس كذلك؟

أجل بصره فيهم يتغضب ثم مضى قائلاً: ولكن الميجر بورتر دم - بعد ذلك - على تلك الخطوة. إذ لم يكن يريد أن يصبح شاهداً يودي باليمين في قضية قتل. وكانت خطورة القضية على ديبها تعتمد -إنني حد بعيد- على هوية القاتل. وهكذا تراجع الميجر بورتر.

قال راوتي مبهوماً: لقد كتب إلي يقول إنه لن يمضي قدماً في الأمر لأنه من مفضل أحقق! ألم يدرك أننا تقدمنا بحيث لا يمكننا التوقف؟ ذهبنا إليه محاولاً إقناعه، ولكنني وصلت متأخراً. كان قد قال إنه يفضل إضلاق النار على نفسه على التورط بشهادة زور عندما

يتعلق الأمر بجريمة قتل ثم يكن الذنب الأمامي متفلاً، فدخلت
ووجدته ليس بمسحي أن أشرح ما شعرت به. شعرت كما لو أنني
قتلت مرتين. لو أنه انظرني فقط. لو أنه أقبح لي أن أتحدث معه!

سأله يوازيو: كانت توجد رسالة وأنت أخذتها، اليس كذلك؟

- بلى، لقد كنت متورطاً في الأمر، وكنت مستعداً للتضحي
في الأمر حتى النهاية. كانت الرسالة مكتوبة للمحقق، وقد ذكر فيها
بساطة أنه أدلى بشهادة زور في التحقيق، وأنا القليل لم يكن أندريه
أخذت الرسالة وألقيتها.

ثم ضرب رأسي بغضبه على الطاولة وقال: كان ذلك أشبه
بحلم سيء. كنوس رهيب! فقد بدأت بالأمر وأصبحت مضطراً
للتضحي فيه. أردت المال حتى أتزوج لين، وأودت لديفيد هنري أن
يشق وبعد ذلك... لم أستطع فهم ما يجري. فقد تداعت القضية
المروعة ضده. قصة ما عن امرأة. امرأة كانت مع أردن بعد ذلك.
لم أستطع فهم الأمر، وما رأيت لا أفهم أية امرأة تلك؟ وكيف لامرأة
أن تكون هناك وتتحدث مع أردن بعد مذبحة؟

قال يوازيو: لم توجد امرأة أبداً.

فأنت لين بصرفه المستخرج، ولكن يا سيد يوازيو، تلك
العجوز رأيتها وسعيتها.

قال يوازيو: أه، ولكن ما الذي رأيته؟ وما الذي سمعته؟ رأيت
إنساناً ينس بنظراً ومعتقاً صوفياً، ورأيت رأساً ملفوفاً تماماً بوشاح
مخالي ووجهاً تغطيه المساحيق وفماً يعلوه أحمر الشفاه ورأت ذلك

كله في أضواء خافتة. وهذا سمعت؟ لقد رأيت «الغائبة» تعود لتدخل
الغرفة رقم 5 وسمعت من داخلها صوت رجل يقول: «أخرجني من
هنا يا امرأة!»، حسناً، لقد كان رجلاً ما رأيته ورجلاً ما سمعته!

ثم انتفت يوازيو إلى ديفيد هنري وأضاف قائلاً: لقد كانت الفكرة
عقريّة يا سيد هنري.

سأل ديفيد بعده: ماذا تعني؟

- والآن سأحكى قصة لك أنت. لقد جئت إلى فندق سناغ
في الساعة التاسعة تقريباً. ولم تأت لتقتل بل لتدفع، لماذا وجدت؟
وجدت الرجل الذي كان يبتزك ممدداً على الأرض مقتولاً بأسلوب
وحشي جداً. إن بوسعتك أن تفكر بسرعة يا سيد هنري، وقد أدركت
هوراً أن الخطر محقق بك. ثم يكن أحد قد رأى تدخل الفندق
وكان أول ما خطر ببالك أن تخرج دون إبطاء وتلحق بقطار التاسعة
والثلث عائداً إلى لندن وتحلف ألا تخطئ الأمان بأنك لم تقترب يوماً
من ورميني قبل. وحتى تلحق بالقطار كانت فرصتك الوحيدة هي
الركض عبر النيسابن، وفيما أنت تصنع ذلك التفتيت - على غير توقع -
بالأسرة مونتسمونث. كما أدركت بأنك لن تستطيع اللحاق بالقطار
إذ كنت قد رأيت دخانه ينطلق في الوادي. وكانت هي أيضاً قد رأيت
الدخان رغم عدم معرفتك بذلك، ولكنها لم تدرك بوجودها الظاهر
أن رؤيتها للدخان إنما تشير إلى أنك لا تستطيع اللحاق بالقطار
وعندما أخبرتها بأن الساعة كانت التاسعة والربع تقبلت ذلك دون
أن يراودها أي شك، وحتى تطيح في ذهنها الفجاعة بأنك لحقت
بالقطار اخترعت خطة عقريّة جداً. كان عليك في الحقيقة أن تضع

خطة جديدة كلياً لتبعد الشكوك عنك وهكذا عدت إلى فورويتك قدخلت مستخدماً معارك بكل هدوء. وأجبت أحد وشاحات أعتك وأحد أقلام أحمر شذاهها. ومصبت في وضع السباحين على وجهك بأسلوب مسرحي جداً. بعد ذلك عدت إلى فندق ستاغ في وقت مناسب واستعرضت شخصيتك أمام المحور التي كانت تحلس في قاعة التزلز فقط. والتي كانت أحوارها الغربية مدار الأقويل في الفندق. ثم صعدت إلى الغرفة رقم ٥. وعندما سمعتها تصعد تتأوي إلى فراشها. خرجت أنت إلى الممر. ثم اسحبت بسرعة لتدخل الغرفة ثانية. ثم قلت بصوت عالٍ: "الأفضل لك أن تخرجي يا امرأة"

توقف برازو ثم قال معلفا أداء محبتي جداً

صاحبت أليس: أهذا صحيح يا ديفيد؟ هل هو صحيح؟

دمده ديفيد فنادا لقد كنت أرى نفسي صاعداً في أداء الأدوار النسوية. يا أليس، كان عليك أن تروى وجه تلك المحور الخبيث!

سألت لين بحيرة. ولكن كيف يمكن أن تكون هنا في الساعة العاشرة ثم تنصلي بي من لندن في الحادية عشرة؟

نحى ديفيد هذا السؤال وقال: كل التفسيرات لدى هيركيون برازو. الرجل الثاني يعرف كل شيء. يجب فعلت ذلك؟

قال برازو: الأمر بسيط جداً! اتصلت بأختك في الشقة من مكتب الهاتف العمومي وأعطيته بعض التعليمات الدقيقة. في الساعة الحادية عشرة وأربع دقائق بالضبط طست أختك مكانة هاتفية

معدة الممدى إلى رقم ٣٤ في ورمزني قبل. وعندما جاءت الأنسة هارتشمونت إلى الهاتف تأكد عامل المقسم من الرقم ثم قال دون شك: "مكانة من لندن". أو "الكلمة يا لندن". أو شيئاً من هذا القبيل. أليس كذلك؟

هزت لين رأسها بالإيجاب، فمضى برازو قائلاً: عندها سدت دوزاين الخط. وقت أنت - في الوقت المناسب تماماً - بطلب الرقم ٣٤. وعندما فتح الخط قلت بصوت متكرر مختلف: "لندن تريدكم". ثم تحدثت أنت. إن فترة انقطاع دقيقة أو دقيقتين ليست أمراً مستغرباً في المكالمات الهاتفية هذه الأيام ونحن نتظر إليها الآنسة هارتشمونت إلا كمسبة إعادة وصل للخط.

قالت أليس بهدوء: من أجل ذلك اتصلت بي - إذن - يا ديفيد؟

شيء ما في صوته جعل ديفيد يلتفت إليها بحدة. ثم التفت إلى برازو وفاد بحركة استسلام وقال: ما من شك في أنك تعرف حقاً كل شيء! وتوحيًا للمحقيقة فقد انحنى قليلاً رعباً. وكان على التفكير في طريقة ما. وبعد أن اتصلت بلين مشيت خمسة أميال إلى محطة دائري ثم دعت إلى لندن من هناك بقطار الصباح الباكر. وصلت إلى الشقة في وقت سمح لي أن أقمد ترتيب سريري وأتناول الإفطار مع روزالين. لم يخطر في بالي أبداً أن الشرطة سيطلبون أنها هي التي ارتكبت الجريمة. كما أنني - بالطبع - لم أكن أعرف أبداً من الذي قتل الرجل! لم أستطع - ببساطة - أن أتحميل مصلحة لأحد في قتله. فما من أحد أبداً كان يملك الدافع لارتكاب الجريمة - كما كنت أراه. إلا أنه وروزالين

فإن بوارو، وهذا كانت تكمن في صعوبة الكبرى الدافع! كان
لديك أنت وأختك الدافع تقتل أردن، وكان لدى كل فرد من أسرة
كلود دافع تقتل روزالين.

قال ديفيد بعده: إذن فقد قُتلت فتلاً! لم يكن الأمر انتحاراً؟

بالتأكيد، كانت جريمة أُعِد لها وخُطِّط لها بكل عناية. لقد
أُعِدَّت حبوب مُسمِّك البرومايد التي تناولها روزالين، وأُضِعَّت
بدلاً منها في فخر العلية حبة واحدة تحتوي على كمية قاتلة من
المورفين.

نجمه ديفيد وقال: في الحبوب؟ لا أظنك تفقد الدكتور
ليريل؟

قال بوارو: أه، لا. في الواقع فإنّنا من أفراد عائلة كلود كان
بوسعنا - عملياً - أن يندس المورفين الحبة كئي كان يوسع البحث
لتحجرب قبل أن تخرج الحبوب من انهميدية، وراولني كان بأحد
الزبدية والبيض روزالين في فوروسك. والسيدة مارتشموت هتت
بني هناك وكذلك زوجة جبرجي كلود. وحتى لين مارتشموت
زارت روزالين وكل واحد من هؤلاء لديه الدافع.

صاح ديفيد: ليس لدى لين دافع.

قالت لين: لدينا جميعاً دوافعنا. وهذا ما نعبه؟

أجابها بوارو: نعم، وهذا ما جعل القضية صعبة. لقد كان لدى
ديفيد هتت وروزالين دافع تقتل أردن... ولكنهما لم يقتلوا! وأنه
جميعاً - يا معشر كلود - كان لديهم دافع تقتل روزالين، ومع ذلك

لم يقتلها أحد منكم! كانت هذه القضية مقلوبة رأساً على عقب منذ
الابتداء. لقد قُتلت روزالين كلود على يد الشخص الذي يخسر أكبر
خسارة حولها.

ثم أدار رأسه قليلاً وقال: أنت قتلها يا سيد هتت!

صاح ديفيد: أنا؟ ولماذا عساني أقتل أختي؟

- قتلها لأنها لم تكن أختك! لقد ماتت روزالين في لندن
نتيجة قصف العدو قبل عامين تقريباً. إن المرأة التي قتلها كانت
خادمة أيرلندية شابة اسمها آيلين كوريجن، وقد استلمت صورتها
من أيرلندا اليوم.

ثم أخرج الصورة من جيبه وهو يتكلم. وبسرعة البرق انزعها
ديفيد منه وقفز إلى الباب ثم قفز منه إلى الخارج وأطلق خلفه بلموة،
فرمحه راوولي واندفع خلفه مباشرة.

وهكذا بقي بوارو ولين بمفردهما، صاحبت لين: هذا ليس
صحيحاً... لا يمكن أن يكون صحيحاً.

- بلى، إنه صحيح. لقد رأيت الحقيقة من أحد طرفيها ذات
يوم عندما تخيلت أن ديفيد هتت لم يكن أخاها. انقري إلى الموضوع
من منظور مختلف، وستبين أن الأمر كله يتضح تماماً. إن روزالين
هذه كانت كاثوليكية بينما لم تكن زوجة أندريه كاثوليكية، وكانت
مُعَدَّية الضمير ومتعلقة بشدة بديفيد. تخيلي مشاعر ديفيد في ليلة
الغارة المعجوبة تلك إذ عانت أخته وكان غوردن كلود يتنازع سكرات
الموت... وبدا أن كل تلك الحياة الجديدة برفاهيتها وأموالها مُتَّسِع

منه. ومجاناً يرى هذه الفتاة في نفس عمر أخته تفرينة. وهي الناجية الوحيدة باستثناء جوء. ولقد أصبحت وفدت الوعي. لا شك أنه كان على علاقة سابقة بها وكان يوسع مدون شك. أن يحصلها على فعز ما يريد.

ثم أضاف بوارو دون أن ينظر إلى شيء الذي تورد خداه من عبارته: لقد كان له أسلوب في إغواء النساء! وهو تنهاري استغل فرصة الحظ التي واثته: قدمها لرجال الإنقاذ باعتبارها أخته، ولما استمادت وعيها وجدته إلى جانب سريره، فأقنعها بالكلام المعسول حتى قبلت تمثيل ذلك الدور.

ولكن تخيلي الرعب الذي أحدهما عندما استلما أول رسالة ابتزاز. لقد كنت أسأل نفسي طوال الوقت: هل ديفيد هتر من ذلك النوع الذي يحقق الابتزاز بسهولة؟ كذا بدأ أيضاً أن ديفيد لم يكن متأكداً عالياً مما إذا كان الرجل الذي يتره هو فعلاً روبرت أندرومي أم غيره. ولكن كيف لا يكون متأكداً؟ إن يوسع روزلين أن تخبره فوراً إن كان الرجل زوجها أم لا، فتسأله إذن يستعمل إرسالها إلى لندن قبل أن تنح لها فرصة إلقاء نظرة واحدة على الرجل؟ لأنه لم يكن لذلك إلا سبب واحد. وهو أنه لا يستطيع المجازفة بالسماح للرجل أن يلمسها ولو مرة واحدة... إذ لم تكن روزلين كلود؟ ولذلك لم يكن أمامه إلا حل واحد. إعطاء الرجل دفعة تحمله على السكوت. ثم الهرب سراً والسفر إلى أمريكا.

بعد ذلك يقتل الغريب المبتز على غير توقع، ويشهد الميجر بورتر بأنه أندرومي، ويجد ديفيد هتر نفسه في وضع لم يشهد أشد

أو أصعب منه في حياته! ومما زاد الأمر سوءاً أن الفتاة نفسها بدأت تتصدع وتنهار، وتنامي لديها تأنيب الضمير، وبدأت تظهر عليها مؤشرات انهيار عصبي وشيك. ولذلك كانت ستعترف عاجلاً أم آجلاً وتروي القصة كلها مما يجعله عرضة للعقوبة الجرمية. وفوق ذلك كله بدأ يرى أن مطالبها وأعباءها أصبحت تزداد صعوبة وتعقيداً. وقد وقع في حبله أنت، ولذلك قرر تقليل خسائره والقضاء على آيلين، فوضع مادة المورفين في إحدى الجيوب التي وصفها لها الدكتور كلود، ثم شجعها على أن تتناول حبة كل يوم، وأوحى لها بالمحافوف من عائلة كلود. ما كان أحد ليشك في ديفيد هتر طالما أن مورت أخته يعني عودة أموالها إلى عائلة كلود. لقد كانت تلك هي ورقة «الجوكرة» التي يحملها: غياب الدافع. وكما قلت لك: إن هذه القضية كانت درماً مقلوبة رأساً على عقب.

فتح الباب ودخل الصغرض سبباً. فقال له بوارو بصراحة: حسناً، ماذا وراء ذلك؟

«كل شيء، على ما يرام! لقد أمسكتها»

قالت لين بصوت خافت: هل... هل قال شيئاً؟

أجابها المفترس: قال إنه دخل مقامرة متعة من أجل المال! غريب كيف يعرفون دوماً في الوقت غير المناسب! لقد جذبتاه بالطبع، وسردنا عليه حقوقه، ولكنه قال: «كف عن هذا يا رجل، صحيح أنني مقامرة، ولكنني أدرك تماماً متى أكون قد خسرت رهائي الأخير؟»

تسمع بوارو: وفي حياة الناس تبار. إذا استغل عند المذبح. فإني
الحق والمعنى... نعم. ثم يجرف، ولكن مقابل المذبح جزوا
ربما حمل المرء إلى أعماق البحار.



الفصل السابع عشر

صباح يوم الأحد التالي فتح راوولي كلود باب بيته استجابة لقرع
على الباب ليجد لين تنتظر في الخارج. تراجع خطوة إلى الخلف
هائلاً: لين!

- هل يمكنكى الدخول يا راوولي؟

تراجع قليلاً إلى الخلف لتمر وتدخل إلى المطبخ. كانت
ترتدي قبة جديدة. ورفعت يديها يطاء فزعنتها ووضعنها فوق
حافة النافذة، ثم قالت: لقد عدتُ إلى بيتي يا راوولي.

- ماذا تعنين بالله عليك.

- أعني ما قلته تماماً! لقد عدت إلى بيتي. هذا بيتي! هنا،
معك. كنتُ معقولة إذ لم أدرك ذلك من قبل، إذ لم أدرك انتهاء رحلة
تجوالي حين انتهت. ألا تفهمني يا راوولي، لقد عدت إلى بيتي!

- أنت لا تدركين ما تقولين يا لين. لقد... لقد حاولت
قتلك.

- أعرف ذلك

ثم عيبت ووضعت أصابعها حول عنقها ساخرة، وأصافت:
عملياً لم أبدأ بإدراك مقدار الحماسة والبلاهة التي أصابتي إلا عندما
حسيت أنك قتلتي.

- لا أفهم شيئاً.

- آه، لا تكن أحمق. لقد أردت دوماً الزواج بك، أليس
كذلك؟ ثم ابتعدت أنا قليلاً، فقد بدوت لي ذليلاً جداً، خنوعاً جداً.
وشعرت أن الحياة معك ستكون آتة جداً، ومستهة جداً. وقد تعلقت
بديفيد لأنه كان غطيراً وجذاباً، ولأنه -بصراحة- كان يعرف المرأة
تمام المعرفة. ولكن شيئاً من ذلك لم يكن حقيقياً. وعندما أطلقت
على عتقي وقلت إنني إما أن أكون لك أو لا أكون لأحد - عندها
أدركت بأنني امرأتك! ولكن -شوه الحظ- بدأ الأمر وكأنني كنت
مأدرك ذلك بعد فوات الأوان، لولا أن بوارو دخل وأنقذ الموقف
لحسن الحظ. وأنا الآن امرأتك يا راوولي!

هز راوولي رأسه بالرفض وقال: مستحيل يا لين! لقد قتل
رجلين... قتلتهما.

صاحت لين: هراء. لا تكن عبيداً ولا تهون الأمور. فإذا ما
تساجرت مع رجل ضخم الجسم ولكمته فوقع وارطم رأسه بحافة
موقد فإن ذلك لا يعتبر قتلاً. حتى قانوناً لا يعتبر ذلك قتلاً.

- إنه، في لغة القانون، قتل دون تصميم، والشرع يسجن
بسيبه.

- ربما. وإن كان الأمر كذلك فستجديني عند عتبة باب السجن
لدي خروجه.

- والميجر بورتر أيضاً... أنا مسؤول أخلاقياً عن وفاته.

- لا، أنت مسؤول. لقد كان رجلاً راشداً بكامل فواء العقلية،
وكان يوسعه أن يرفض عرضك. لا يمكن للمرأة أن يلوم الآخرين على
أشياء قرر فعلها بسوء وعيه وإرادته. لقد اقترحت عليه الكذب فوافق
ثم تاب واختار إنهاء حياته. لقد كان مجرد شخصية ضعيفة.

هز راوولي رأسه بعناد وقال: لا فائدة يا عزيزتي، لا يمكنك
الزواج برجل من نزل السجون.

- لا أظنك ستسجن. ولو كان الأمر غير ذلك لوجدت شرطياً
جاء لتخليك منذ فترة.

حدف راوولي إليها وقال: نأ! ماذا عن القتل دون سابق تصميم،
ورشوة بورتر.

- وما الذي يحملك تعتقد أن الشرطة يعرفون شيئاً عن كل
ذلك، أو أنهم سيعرفون عنه أي شيء؟

- ذلك الرجل، بوارو، يعرف.

- إنه ليس من الشرطة. سأقول لك ما يظنه الشرطة: إنهم يظنون
أن ديفيد هتر قتل آردين كما قتل روزالين، فهم يعرفون الآن أنه كان
في دزمرلي في تلك الليلة ومع ذلك فإنهم لن يتهموه بذلك
التهمة لأنها غير ضرورية. قتل شخص واحد مسألة كافية للإدانة.

وفوق ذلك، اعتقد أنه لا يمكن اعتقاد امرئ مرتين بنفس التهمة.
ولكن، طالما أنهم يقضون أنه هو التفاعل فإنهم لن يحشوا عن أي
شيء آخر.

ولكن ماذا عن ذلك الرجل، بوارو؟

- لقد أخبر المفوض بأن مقتل أردن كان حادثاً، وقصته بأن
المفوض اكتفى بالفحك على تلك النظرية. وإن أردت رأيي، فأظن
أن بوارو لن يخبر أحداً بشيء. إنه رجل منهم للعنف.

- كلا يا ابن، ليس بوسعي أن أعرفك بهذه المجازفة. وبغض
النظر عن أي اعتبار آخر، هل بوسعي أن ألق بخصي؟ ما أعبه
هو أن الأمر لن يكون أمثالاً بالنسبة لك.

- ربما. ولكنك تعرف يا راؤولي أنني أحبك فعلاً، وقد مررت
أنت بوقت عصيب جداً، كما أنني لم أهتم كثيراً - في أي وقت - بأن
أكون أمينة.

• • •

The End